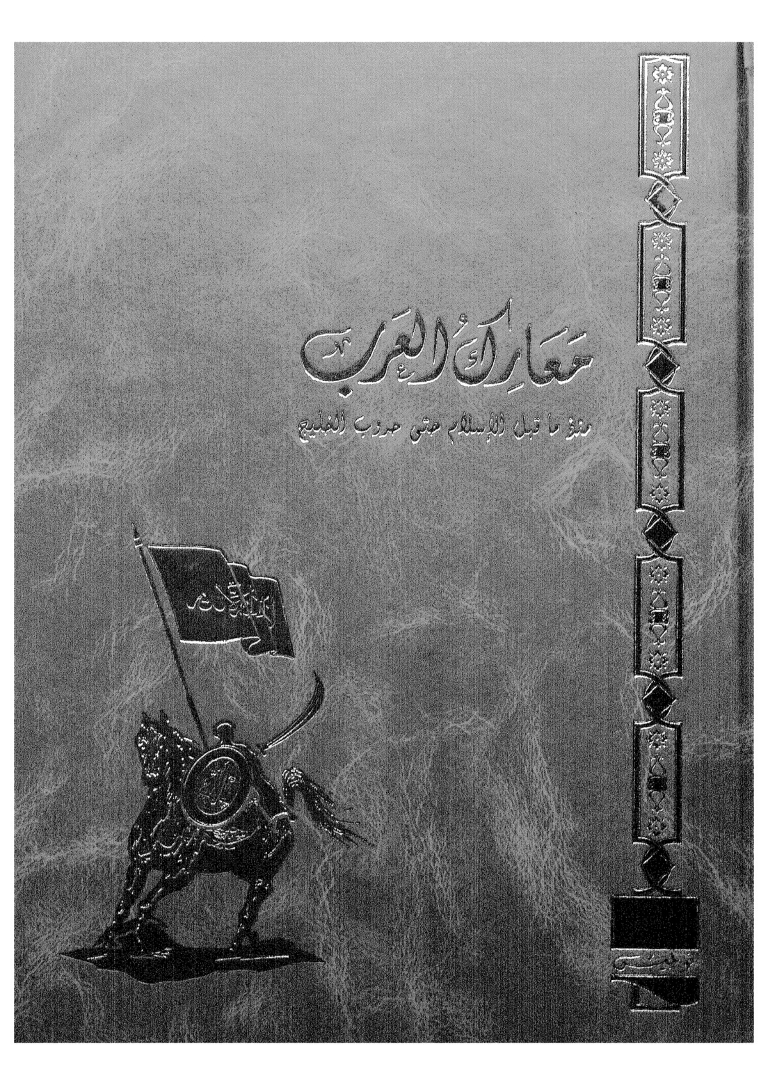

معارك العرب
منذ ما قبل الإسلام حتى حروب الخليج

معارك العرب 22

اسم الموسوعة : معارك العرب
منذ ما قبل الإسلام وحتى حروب الخليج
اسم الكتاب : الحروب العربيّة الإسرائيليّة (2)
المؤلّف : العميد الركن أبو طلال الفغالي
قياس الكتاب : 20x28 سم
عدد الصفحات : 360
عدد صفحات الموسوعة : 5920
مكان النشر : بيروت – لبنان
دار النشر والتوزيع : دار نوبِليس
تلفاكس : 961 1 58 34 75
هاتف : 961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني : NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى : 2007

العميد الركن أبو طلال الفغالي

ماجستير في التاريخ

معارك العرب

منذ ما قبل الإسلام
وحتى حروب الخليج

المجلّد (22)

الحروب العربية - الاسرائيلية (2)

NOBILIS
2007

المقدّمة

دخلت الجيوش العربية فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨ لتقاتل اليهود الطارئين ولكن كان ينقصها السلاح والعتاد والعزم والإخلاص والتعاون الصادق والقيادة الصالحة. فكانت النتيجة أن خسر العرب معركة فلسطين وخسروا الألوف من آبائهم وأبنائهم ودفعوا الثمن باهظاً من حاضرهم ومستقبلهم، وتوسّعت حدود دولة العدو الجديدة حتى أصبحت كما تبدو عند توقيع الهدنة.

ان أطماع العدو لم تنتهِ عند هذا الحد الذي وصلت إليه. ولم يكن إنشاؤها هو نهاية البرنامج الصهيوني، فقد كان قيامها نهاية مرحلة وبداية مرحلة أخرى بالنسبة لليهود. وأهداف هذه المرحلة الجديدة هي ان تتوسّع دولة اسرائيل وتحتل مزيداً من الأراضي العربية.

ويقول حاييم وايزمن في أول تصريح له عقب إبلاغه نبأ انتخابه رئيساً للدولة، «اليوم تحقق الصهيونية أول خطوة في برنامجها».

ويخطب «بن غوريون» أول يوم لقيام الدولة فيقول، «ليست هذه نهاية كفاحنا بل اننا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضي لنحقق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها...». وتتكرّر التصريحات من مختلف المسؤولين وفي شتّى المناسبات وكلّها تشير إلى تصميم وعزم اليهود على تحقيق حلمهم المنشود.

بعد هدنة حرب ١٩٤٨، لم تألو اسرائيل جهداً في تجييش طاقاتها كلّها رجالاً ونساء، فقد أصبحت ثكنة عسكرية

ضخمة، كلّ فرد فيها مستعد للقتال، ومخزناً لمختلف أنواع الأسلحة الحديثة، ومركزاً تنهال عليه الخبرة من كلّ مكان.

ان الهزيمة التي حلّت بالدول العربية المجاورة لفلسطين عام ١٩٤٨، لم تكن بسبب قوّة الميليشيات اليهودية ولا بسبب ان العرب لم يقدّروا الخطر اليهودي حق قدره، بل لأنهم دخلوا الحرب مستخفّين لا مبالين ومتفككين لا متّحدين. إن قوّة اليهود الحقيقية تكمن في ان العرب مختلفون، متناحرون، وهذه القوّة لن تزول ولن يتخلّى عنها العرب إلاّ عندما يقابلونها جادين غير هازلين ومتحدين غير متفرّقين. ان الدولة الاسرائيلية عندما تفكّر بالتوسّع والامتداد، فإنها لا تعتمد على قوّة السلاح فحسب بل انها تعتمد في الدرجة الأولى على التفكّك وتوزيع الجهود، للدول العربية عن طريق التجسّس والتخريب التي تزرعها هنا وهناك لإثارة الخلافات والاضطرابات، مما يضعف الجبهة الداخلية ويسهّل لليهود السيطرة عليها.

خلال السنوات الأولى من الخمسينات، تفاعلت التطوّرات التي شهدتها المنطقة العربية، إلى حدّ أصبحت معه المواجهة المسلّحة بين الدول العربية والعدو الاسرائيلي أمراً شديد الاحتمال. فإسرائيل لم تكتف بما استولت عليه في حرب ١٩٤٨ من أراضي فلسطين، بل تابعت سياستها الاستعمارية التوسّعية بهدف الاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية. ففي سنة ١٩٥١، حاولت تجفيف بحيرة الحولة الواقعة في المنطقة المجرّدة من السلاح، وذلك خرقاً لاتفاقية الهدنة مع سوريا. وفي السنة ١٩٥٣، أعادت اسرائيل الكرّة وبنيّتها نقل مياه الأردن إلى النقب. وأخيراً احتلّت المنطقة المجرّدة من السلاح وجفّفت بحيرة الحولة السنة ١٩٥٦.

السنة ١٩٥١، هاجمت اسرائيل مثلّث العوجا المنزوع السلاح بموجب اتفاقية الهدنة بينها وبين مصر وطردت العديد من السكان العرب من بدو النقب، ثمّ احتلّت المثلّث نهائياً السنة ١٩٥٥ خرقاً للهدنة، وفي شباط هاجمت قطاع غزة بحجّة الانتقام من الفدائيين العرب بسبب عملياتهم العسكرية التي أحدثت هجماتهم داخل اسرائيل الذعر والهلع. ويبقى العامل الاستراتيجي

الأهم في توجيه سياسة اسرائيل العدوانية التوسّعية، حرصها على أن تبقى الدولة الأقوى في المنطقة، تلوّح بعصاها الحربية في وجه الشعوب والحكومات العربية لفرض سيطرتها التامة، وما الحروب التي وقعت بين العرب وإسرائيل، من حرب ١٩٥٦ إلى حروب ١٩٦٧ و١٩٧٣ واجتياح لبنان لمرّتين متتاليتين إلاّ برهاناً ساطعاً لما قلناه سابقاً.

القسم الأول

الحرب العربية الإسرائيلية الثانية ونتائجها (١٩٥٦)

الفصل الأول
المخطّط الانكلو-فرنسي الاسرائيلي ضد مصر وأسباب الحملة على سيناء

١ - توطئة

ابتداءً من العام ١٩٥٢، بدأت المنطقة العربية تشهد مدّاً قومياً تحررياً بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر الذي فرض على بريطانيا الجلاء نهائياً عن مصر في ١٢ حزيران ١٩٥٦، وكسر طوق احتكار التسلّح الذي فرضته الدول الغربية على المنطقة وتوجّه نحو المعسكر الاشتراكي ليعقد مع دوله اتفاقيات عسكرية واقتصادية وثقافية فكان من الداعين الأوائل إلى مؤتمر دول عدم الانحياز السنة ١٩٥٥ وهذا ما شكّل إزعاجاً شديداً إلى اسرائيل، كما قاد جمال عبد الناصر الحملة ضد سياسة ربط المنطقة العربية بالأحلاف الاستعمارية الغربية، وأبرزها حلف بغداد، الأمر الذي شجّع الملك حسين ملك الأردن، في أول آذار ١٩٥٦، على إقالة الجنرال غلوب القائد البريطاني للجيش الأردني، وبالتالي تعريب الجيش. كما عقدت مصر سلسلة من الاتفاقات الثنائية أو الثلاثية للدفاع المشترك مع عدد من الدول العربية، شمل سوريا والأردن والسعودية واليمن. وبالإضافة إلى ذلك فقد بادرت مصر إلى تقديم مختلف أشكال العون المادي والعسكري والسياسي إلى الثورة الجزائرية المشتعلة ضد الاستعمار الفرنسي، مما أثار حنق وغضب فرنسا على نظام عبد الناصر. وفي ٢٦ آب ١٩٥٦، أعلن الرئيس المصري تأميم قناة السويس من أجل الاستفادة من عائداتها لبناء السد العالي على نهر النيل.

٢ – أسباب حملة سيناء

قال دافيد بن غوريون في اجتماع لحزب «المابـاي» في السـنـة ١٩٥٢ «أوافـق عـلـى تشكيل الوزارة بشرط واحد وهو استثمار كلّ الجهود للتوسّع في الجنوب»، ألم تكن حملة سيناء ١٩٥٦ مجرّد تحقيق التعهّد؟

في ١٢ شباط ١٩٥٢، أعلن موشي دايان بصفته رئيساً لأركان الجيش الاسرائيلي من الراديو «على الشعب أن يتهيّأ للحرب وعلى الجيش الاسرائيلي أن يقوم بالقتال وهدفه الأسـمـى هـو بـنـاء الامبراطـوريـة الاسـرائـيـلـيـة...». وفي ١٢ تشرين الأول ١٩٥٥، قال مناحيم بيغن رئيس حزب «حيروت» وعضو البرلمان والحكومة في الكنيست «... اؤمن إيماناً عميقاً بشن حرب وقائية على الدول العربية دونما إبطاء. فإذا فعلنا ذلك أحرزنا هدفين: الأول هو محو القوّة العربية والثاني توسيع أراضينا...».(١) وأعلن ناطق آخر بلسان حزب «حيروت» في نيويورك السنة ١٩٥٦، أي قبل حملة سيناء بأشهر «السلام مع البلدان العربية أمر مستحيل مع الحدود الراهنة لإسرائيل التي تجعل اسرائيل عرضة للهجوم، وعلى اسرائيل أن تبدأ بالهجوم فوراً للاستيلاء على النقاط الاستراتيجية على الحدود بما في ذلك قطاع غزّة ثمّ عليها أن تستولي على مملكة الأردن التي تساندها بريطانيا...».(٢)

وبناء على هذه التصريحات الحديثة بالإضافة إلى التصريحات السابقة لقيام دولة اسرائيل، لا يستطيع العرب إلاّ أن ينظروا بعين الريبة إلى المخاطر التي يمثّلها خلق اسرائيل بالنسبة إلى الأراضي العربية والسلام العربي. وهناك أعمال عدوانية حيث تثبت مخاوف العرب.(٢)

وهناك أسباب عديدة أخرى من وجهة النظر اليهودية. ففي السنة ١٩٥١، تدفّق على الدولة الاسرائيلية ما يقارب السبعماية ألف مهاجر جديد، وهو عدد جاوز الحدّ المسموح لدولة صغيرة في العدد والمساحة.

---

(١) الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني، منشورات خاصة عن العرب واسرائيل، ١٩٧٧ – ١٩٧٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

لقد أثقل هذا العدد من المهاجرين، الحكومة والاقتصاد الوطني الاسرائيلي: فعلى المسؤولين تغذية كلّ واحد منهم وإيجاد المأوى له والعمل، وبالرغم من كلّ هذه الصعوبات أبقت الحكومة على حرية الهجرة.[1]

إن العداء المستفحل ضد الدول العربية أزّم الأمور كثيراً، فليس في نية اسرائيل التفاوض على إيجاد معاهدة سلام دائمة، لذلك فهي تبقى بصورة مستديمة على أهبة الاستعداد للقتال وهذا ما يزعج ويتعب الحكومة والشعب اليهودي على السواء إلى جانب صرف الأموال الباهظة لبقاء القوات بحالة الجهوزية العملانية التامة. الشيء الذي كان ينعكس على الشعب.[2] وأيضاً لقد لعبت سياسة المقاطعة العربية دوراً بارزاً في هذه الصعوبات المادية. أما إقفال قناة السويس في وجه اسرائيل فقد زاد في الطين بلّة.

يقول ارييل شارون انه «في بداية العام ١٩٥٥، دفعت الغارات المتواصلة التي قام بها مظليونا، مصر إلى حافة الأزمة. فالضربات المتزايدة شدّة ضد جيش عبد الناصر ومصداقيته وضعته في وضع لا يطاق. لكنه بدلاً من أن يوقف الارهاب القاتل الذي كان السبب لتنامي العنف العسكري بين البلدين فضّل البحث عن تحالفات خارجية. فبعد عملية غزّة بوقت قصير باشر إقامة اتصالاته الأولى بالاتحاد السوفياتي. كان يظن ان الاتحاد السوفياتي قد يؤمّن له التفوّق العسكري الذي سيسمح له أخيراً بمجابهة اسرائيل في أرض المعركة، كما كان يحلم...».[3]

في السنة ١٩٥٥، أغلقت مصر مضائق تيران، نقطة الاتصال الوحيدة بين اسرائيل من جهة وافريقيا الشرقية وآسيا من جهة أخرى وفي أيلول من السنة نفسها أعلن عبد الناصر عقد اتفاق مع تشيكوسلوفاكيا يوفّر

(١) Burt Hirsehfeld, Israël, Etat Miracle, Alsatia, Paris - Colmar, 1969, P 163.

(٢) Burt, op. cit., p 162 - 163.

(٣) شارون ارييل، مذكّرات، مكتبة بيسان، بيروت ١٩٩٢، ص ١٥٤.

لمصر عدداً كبيراً من الدبابات وبطاريات المدفعية والطائرات المطاردة والقاصفة والأسلحة الخفيفة الحديثة. وهكذا فقد توازن القوى، وبدت قدرة اسرائيل الدفاعية والهجومية مهدّدة... والله أعلم.(١)

كان العام ١٩٥٦ أيضاً سنة صعبة على اسرائيل، فالفدائيون الفلسطينيون الآتون من غزة تحت حماية القوات المصرية هناك والمتعاظمة يوماً بعد يوم، راح يزداد جرأة ويزداد معه عدد ضحاياه اليهود. فكلّ الجزء الجنوبي من اسرائيل وصولاً إلى تل أبيب والقدس، كان تحت رحمة هجماتهم الباسلة. فكان اليهود عند هبوط الظلام لا يتجاسرون على الخروج من منازلهم، وغدت قيادة السيارة في الليل، مغامرة محفوفة بالمخاطر.(٢) إلى جانب كلّ هذا، لقد صرّح حسن البكري، وزير الثقافة المصري في إذاعة القاهرة ما يلي: «لا أرى أي سبب يمنع العمليات الفدائية ضد العدو الاسرائيلي، في قلب اسرائيل، لتسميم حياة هؤلاء الأعداء».(٣)

في العام ١٩٥٦، قصفت المدفعية المصرية المستعمرات اليهودية: كيسوفيم، عين هاشلوشا، ناحال اوز وميريم، وكانت المدافع والذخيرة الحديثة من إنتاج المصانع الشيوعية.(٣) في هذا الوقت أيضاً ابتاعت اسرائيل من فرنسا ٢٤ طائرة حربية من نوع «ميستار» (Mystère).

وفي ميدان الأطماع الاسرائيلية، كانت اسرائيل تستعد عسكرياً لغزو سيناء وبعض المسؤولين المصريين يكتفون بالتصاريح الرنانة والطنانة دون الانتباه إلى خبث اسرائيل: لقد صرّح قبل فترة قصيرة، وزير الدفاع المصري عبد الحكيم عامر «... بالنسبة لنا فاسرائيل لا تشكّل أي خطر، فالجيش المصري لديه القوّة الكافية والقدرة على شطب هذه الدولة اليهودية عن سطح الأرض...»(٣) وبعد شهر من هذا القول،

(١) شارون، مرجع سابق، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) مماثل، ص ١٥٤.

(٣) Burt, op. cit., p 168.

أعلن عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس في ٢٦ آب ١٩٥٦، موجّهاً ضربة مباشرة إلى فرنسا وبريطانيا العظمى. هذا القرار الذي مدّد الحصار البحري على اسرائيل ومنعها من المرور عبر القناة، جذب الانتباه العالمي إلى العمليات العسكرية المستقبلية للمصريين في خليج العقبة.(١)

٣ – غزو سيناء والوصول إلى الممرات

٣١ - توطئة:

ان الأسباب التي أوردها الاسرائيليون لتبرير عمليتهم هذه، كانت واهية ومتفاوتة، ففي البلاغ الذي صدر عشية الغزو وصفت وزارة الخارجية الاسرائيلية الحملة بأنها من قبيل «الحرب الوقائية والغارة الثأرية». وجاء في أمر موشى دايان وزير الدفاع لجنوده «اليوم ستقاتل القوات الاسرائيلية الجنوبية عبر الحدود وستحاصر جيش النيل في بلاده». (٢) وعشية بدء الغزو، جمع بن غوريون مجلس وزرائه لمشاركته مخططه في غزو سيناء وقطاع غزة، قاعدة الفدائيين العرب، ومن ثم احتلال شاطىء خليج العقبة بغية تأمين حرية العبور وأضاف: «لا أعلم ماذا سيكون مصير سيناء إذا انتصرنا. ان هدفنا الأول هو شاطىء ايلات (العقبة) والعبور إلى الممرات. فإذا احتلينا الصحراء، فأعتقد اننا سنجبر على إخلائها. فهناك الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والأمم المتحدة وافريقيا وآسيا سيعارضون، ولكن خوفي الأكبر هو من الولايات المتحدة. إنما الأهم هو أن تتأمّن لنا حرية المرور البحري، حتى ولو لم نحتلّ الأرض...».(٣)

٣٢ - المخطط الاسرائيلي البريطاني الفرنسي (١٩٥٦):

لم تكن فكرة القيام بعمل فرنسي اسرائيلي ضدّ مصر جديدة، فقد جرت محادثات سريّة بين فرنسا واسرائيل في

(١) Burt, op. cit., p 168.

(٢) الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني، مرجع سابق.

(٣) Burt, op. cit., p 169.

مناسبات سابقة عديدة، للقيام بخطة من هذا القبيل، لأن فرنسا كانت تشعر بأن مصر تؤيّد الثورة الجزائرية وتمدّها بالمال والسلاح بالإضافة إلى الدعاية. ولذلك أرادت أن تقوم بعمل انتقامي ضد مصر يضعفها من ناحية، ويؤدّي إلى وقف المساعدات المصرية للثورة الجزائرية من ناحية أخرى. ولهذا كثر إرسال الأسلحة الفرنسية الثقيلة إلى اسرائيل والبعثات التدريبية في الفترة التي سبقت حرب السويس، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تظهر تردّداً في تزويد اسرائيل بالسلاح. وفي نفس الوقت كانت فرنسا دائبة على تنسيق خطة العمل المشترك ضد مصر مع حليفتها انكلترا، واحتفظت فرنسا بتكتمها في الخطة الفرنسية - الاسرائيلية، إلى أن علم بها المسؤولون البريطانيون في العاشر من تشرين الأول ١٩٥٦.(١) ذهب بن غوريون إلى باريس ومعه شيمون بيريز مدير عام وزارة الدفاع الاسرائيلية وأجرى اتفاقاً مع المسؤولين الفرنسيين على عملية عسكرية يحقّق فيها كلّ من هذه البلدان أهدافه الثلاثة. كان الهدف الاسرائيلي غزو سيناء لفك حصار مضائق تيران وتدمير قواعد الفدائيين في غزة وتبديد أحلام الرئيس جمال عبد الناصر في زعامة العالم العربي - وربما التسبب أيضاً في سقوطه. أما فرنسا وبريطانيا فيقيمان من جديد سيطرتهما على قناة السويس.(٢) ويقال ان اسرائيل انتزعت من حكومة باريس تعاونها في القطاع النووي عندما اشترطت ذلك لتشارك في حرب السويس السنة ١٩٥٦. لقد باغت شمعون بيريز محادثيه الفرنسيين بهذا الطلب في ٢٤ تشرين الأول ١٩٥٦ قبل ساعة من توقيع بروتوكول الاتفاق السرّي حول مشاركة اسرائيل في حرب السويس. وقال بيريز «ان اسرائيل تقوم بمجازفة كبرى وتتعرّض بذلك لتهديدات كلّ العالم العربي... ويمكن لفرنسا أن تساعدها لامتلاك وسائل ردعية...». وبعد خمسة أيام أعطى رئيس

(١) تشرشل، ونستون الابن، سقوط ايدن، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٩، ص ١٣٦.
(٢) شاورن، مرجع سابق، ص ١٨٠.

الحكومة الفرنسية آنذاك الاشتراكي موريس بورجيس مونوري موافقته على بروتوكول أول لاتفاق يقضي بتسليم اسرائيل كميات من اليورانيوم ٢٣٥. وتعهّدت فرنسا رسمياً في ١٢ كانون الأول بتسليم اسرائيل مفاعلاً نووياً بطاقة ١٤٠ ميغاواط وكذلك تسليمها حوالي ٣٨٥ طناً من اليورانيوم ٢٣٥ بدءاً من ١٩٦٠ «لأغراض سلمية». وبني هذا المفاعل في ديمونة في وسط صحراء النقب. ونصّ اتفاق ثانٍ أبرمه بيريز في ٢٣ آب ١٩٥٧ على تعاون بين البلدين في مجال الأبحاث وتطوير أسلحة نووية.(١) كلّ ذلك حصل سرّاً عن الولايات المتحدة.

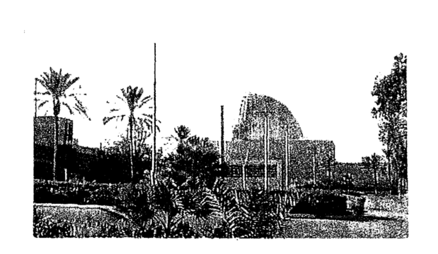
اتفق على التمهيد للحملة بمناورة منسّقة بعناية. تنزل اسرائيل كتيبة من المظليين على مقربة من قناة السويس، على بعد كاف لإعطاء الانطباع بوجود «تهديد» ضد الممرّ المائي. في هذه المرحلة توجّه فرنسا وبريطانيا إنذاراً إلى الفريقين، يطلب منهما ابتعادهما عن منطقة القناة. فتقبل اسرائيل فوراً. وبالطبع سترفض مصر، فتتدخّل القوات الفرنسية والبريطانية حينئذٍ لإعادة تشغيل القناة على نحو سوي. وبعد انتهاء هذه المرحلة، تتابع اسرائيل أهدافها الخاصة بتدمير القوات المصرية في سيناء.(٢)

كانت العملية ملحوظة في ٢٩ تشرين الأول، وكان على الحلفاء الأوروبيين تدمير المطارات المصرية واحتلال مدينتين القناة - بور سعيد وبور فؤاد. لقد كان الجيش المصري قوياً بما فيه الكفاية ومجهّزاً بأسلحة سوفياتية وطيرانه الحربي أقوى من الطيران الاسرائيلي.

---

(١) جريدة البلد اللبنانية، العدد ٧٠٧ تاريخ ٢٤ كانون الأول ٢٠٠٥، نقلاً عن الصحيفة الاسرائيلية «يديعوت احرونوت» الصادرة بتاريخ ٢٢ كانون الأول ٢٠٠٥.

(٢) شارون، مرجع سابق، ص ١٨٠.



مفاعل «ديمونة» النووي في اسرائيل

الفصل الثاني

العمليات العسكرية في سيناء - الجلاء (٢٩ تشرين الأول - ٦ كانون الأول ١٩٥٦ - ١٨ آذار ١٩٥٧)

١ - أرض المعركة[١]

يخترق صحراء سيناء عدّة طرق للوصول إلى الضفة الشرقية لقناة السويس:

- الطريق الساحلي: يمتدّ على طول ساحل البحر المتوسّط من غزة وصولاً إلى العريش وهو معبَّد. ومن العريش حتى القنطرة يوجد سليل يمكن للآليات العسكرية استعماله ولكن بصعوبة قليلة، خاصة من جرّاء كثبان الرمل الموجودة عليه. ومن العريش يوجد طريق معبّد يصلها بأبو عجيلة مروراً ببير لحفن ومنه إلى جبل لبنى إلى طريق الأتراك.
- طريق الوسط: تمتدّ من بئر السبع حتى غزة ومن بئر السبع إلى العوجا إلى أبو عجيلة إلى الاسماعيلية (طريق الأتراك) وأيضاً يوجد طريق تصل العوجا بالقسيمة ومنها إلى النخل ومنها إلى صريح إلى السويس. ومن أبو عجيله إلى بير حسنة إلى النخل. ومن القسيمة إلى الكونتلا إلى رأس النقب (العقبة) إلى تمادا إلى النخل إلى صريح إلى السويس.

وهناك طريق الحجاج في الوسط الجنوبي، تمتد من العقبة إلى تمادا إلى النخل إلى ممرّ ميتلا إلى السويس ومن السويس جنوباً إلى شرم الشيخ. ويوجد طرقات عرضية بين القسيمة وبير الحسنة ومنها إلى طريق الحجاج. وبين

(١) الخارطة رقم ٢.

العقبة وشرم الشيخ يوجد ممر طبيعي لكنه صعب الاجتياز يقع بين مرتفعات سيناء إلى الجنوب وخليج العقبة.

٢ – القوات المتجابهة[١]

٢١ – المصريون:

- بين مدينة بورسعيد على شاطىء المتوسّط وعلى طول قناة السويس وصولاً إلى بور فؤاد على البحر الأحمر، ركّز الجيش المصري فرقة المشاة الثامنة على الجبهة الشمالية من الاسماعيلية إلى بور فؤاد. للدفاع عن هذه البقعة.
أما في القطاع الأوسط، من الاسماعيلية حتى السويس فكان يدافع عنه لواء المشاة الثالث.
- قوّة مصرية من ٥٠٠٠ عسكري متمركزة في منطقة أبو عجيلة دون مدفعية ومدرّعات (من نخبة المشاة).
- دعم جوي لا بأس به وأقوى من الدعم الجوي الاسرائيلي.
- لواء مشاة معزّز في جيب غزة (طائرات (ڤامبير وايليوش) (Vampire).
- لواء مدرّع احتياط لديه ٣٨ دبابة روسية الصنع لذلك سمي اللواء الروسي.

٢٢ – الاسرائيليون:[٢]

- لواء المشاة ٢٧ (بقيادة لاسكوف).
- لواء المشاة ٣٧.
- اللواء ٧ المدرع.
- اللواء المظلي ٢٠٢ (بقيادة شارون).
- لواء مدرّع (بقيادة يوفي).
- لواء المشاة ١٠.
- لواء المشاة ٤.
- دعم جوي طائرات فرنسية ميستير وميتيور ومزيج من الطائرات المختلفة (حوالى مئة طائرة).

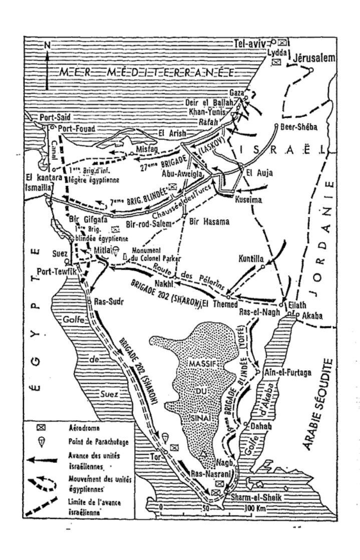
---

(١) Azean, Henri, Le piege de Suez, Robert Laffont, Paris 1968, p 435 - 436.

(٢) بحوزة القوات الاسرائيلية حوالى ١٠٠ دبابة أميركية وفرنسية إلى جانب ٨٥ طائرة حربية منها٣ ٦ من نوع ميستر.

الخارطة رقم ١ (١)

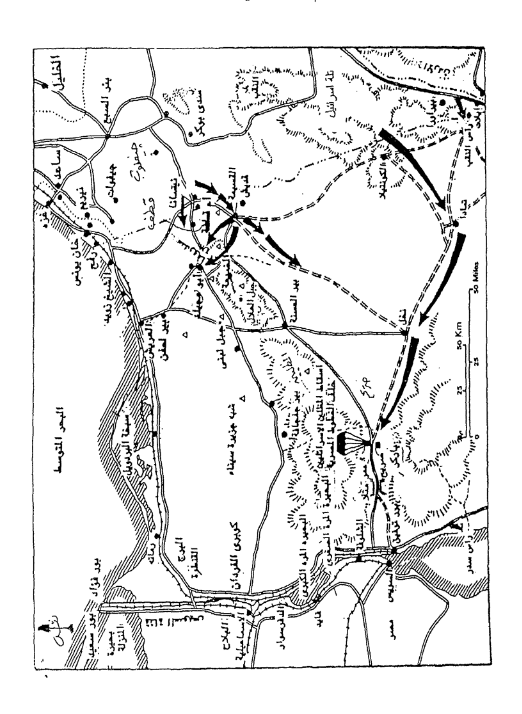
الهجوم الاسرائيلي في سيناء



(١) Azean, op. cit., p 435.

الخارطة رقم ٢

الهجوم الاسرائيلي في سيناء



٣ – سير القتال(١)

٣١ – عند اليهود:

- ابتدأت حرب سيناء بالاعتداء على طائرة قائد الجيش المصري المشير عبد الحكيم عامر ومحاولة إسقاطها لدى عودته من دمشق إلى القاهرة، وقد أدّى الاعتداء إلى إصابة الطائرة المرافقة لطائرته وسقوطها في البحر ومقتل من فيها من مساعدين له ومعاونين.
- في الساعة ١٦,٠٠ من يوم ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، عبر اللـواء المظلّـي الاسرائيلي ٢٠٢ الحدود المصرية لتنفيذ مهمته في عمق سيناء إلى جانب باقي القوى الاسرائيلية وذلك قبل ساعة واحدة من انطلاق ١٦ عشرة طائرة داكوتا ونورد من مطار تل نوف، حاملة كتيبة المظليين من اللواء نفسه الرقم ٨٩٠ بامرة المقدّم رفول ايتان. اتجهت طائرات النقل هذه، تحت حراسة المقاتلات الاسرائيلية، من طراز ميتيور، إلى ممر متلا، على بعد ٢٤٠ كيلومتراً خلف الحدود المصرية. وكان قد لُحظ في البدء أن يقفز المظليون فوق الطرف الغربي للممر المذكور قرب القناة. لكن طلعات طائرات الاستطلاع، التي تمّت عشية الاقلاع، كشفت وجود خيم وشاحنات مصرية، مما اضطرّ قيادة الجيش الاسرائيلي إلى استبدال خطتها وإنزال المظليين عند طرف الممر الشرقي، قرب النصب العمودي الفرعوني المعروف باسم «مسلة باركر» على إسم حاكم بريطاني قديم لسيناء شيّدت المسلة تكريماً له. وقد تبيّن فيما بعد أن هذه الخيم والشاحنات كانت تابعة لوحدة لوجستية وليس لوحدة قتالية.(١)
- كان هدف اللواء ٢٠٢ بقعة «الكونتيلا» على بعد عشرات الكيلومترات من الحدود المصرية والتي كانت تدافع عنها وتحرسها وحدة مصرية من القوّة المتحرّكة الخفيفة والتي كانت تجهل ما ينتظرها.

(١) أنظر الخارطة رقم ١ و٢.

(٢) كان عديد الكتيبة المظلية ٢٠٢ حوالى ٣٥٠ مقاتلاً.
- شارون، مرجع سابق، ص ١٨٤.

وقد أراد الاسرائيليون احتلال «كونتيلا» والقاعدتين اللتين تسدّان طريق «ممر متلا»، ثمد ونخيل بأسرع ما يمكن، كي يتمكّن اللواء من الوصول إلى «ممر متلا» حيث كان مظلّيو الكتيبة ٨٥٠ منعزلين، وقد تكون قوات مصرية مختبئة وراءهم إلى الشمال أو أمامهم في الممر. وكان على اللواء اجتياز بأقصى السرعة الـ٢٤٠ كيلومتراً التي تفصله عنهم.

- في مساء ٢٩ تشرين الأول، استولى اللواء ٢٠٢ على «كونتيلا» بعد أن أرسل قائده سريتين إلى خلف القاعدة حتى يتسنّى لهما الهجوم والشمس وراء ظهرهما. وفي نفس الوقت كان المظليون قد نزلوا في «ممر متلا». بقي اللواء ٢٠٢ مسمّراً في مكانه حوالى الخمس ساعات قبل أن يتابع تقدّمه باتجاه الهدف، وذلك بسبب العرقلة التي أحدثتها الآليات العسكرية المبعثرة على مسافة كبيرة في الصحراء.

- قبل منتصف الليل، تمكّنت طائرات سلاح الجو الفرنسي المنطلقة من قبرص، من إنزال كمية من مياه الشرب والوقود إلى اللواء ٢٠٢ وكمية من الأرزاق والعتاد للمظليين المتمركزين بالقرب من «مسلة باركر». والعتاد كان كناية عن بطارية من الهواوين عيار ١٢٠ ملم وعدد من سيارات الجيب.(١)

- في منتصف الليل، تمكّن اللواء ٢٠٢ من متابعة تحرّكه فوصل عند الساعة الرابعة صباحاً أمام المراكز التي تحيط بنقطة مياه «ثمد»، «وهي واحة للبدو تحيطها حقول الغام وجهاز دفاع محيطي تتولاها سريتان من المشاة المصريين ليس بحوزتهم لا مدفعية ثقيلة ولا دبابات».(٢) انقضّت على الواحة هذه، كتيبة من اللواء بحركة التفاف دائرية سريعة اشتركت فيها المجنزرات والدبابات ثم اخترق اللواء خطوط الدفاع المصرية في رتل واحد، فسقطت «ثمد» بعد «كونتيلا». ما كادت

---

(١) Azean, op. cit., p. 436 - 437.

(٢) شارون، مرجع سابق، ص ١٨٥.

- Azean, op. cit., p. 440.

الطلقات النارية تتوقف حتى حطت طائرات «البيبر» على الرمال لتجلي الجرحى، فيما طائرات الدكوتا تنزل الوقود والعتاد إلى اللواء ٢٠٢.[1] فقد اضطرّ الاسرائيليون إلى ترك صهاريج الوقود في الوديان وكثبان الرمل على طريق الكونتيلا. في هذه الأثناء كانت المطاردات المصرية تحلّق فوق المنطقة هذه فلم يستطع اللواء الاسرائيلي تجميع آلياته لملئها بالوقود وتوزيع المؤن على الوحدات والقطع المنتشرة، فمعظم الآليات كانت مبعثرة في الوديان وعلى الذرى، خوفاً من النفاثات المصرية التي تتعقّبها.

- كانت «نخل» تقع في منتصف الطريق إلى ممر «متلا» وهي على عكس كونتيلا وثمد، تبدو كقرية حقيقية تضمّ عشرة إلى خمسة عشر بناء، منها مركز عسكري يأوي القيادة العامة لكتيبة مصرية. هاجمتها كتيبة من اللواء وسيطرت عليها بعدما استعملت المدفعية بشكل مكثّف. أبقى الاسرائيليون سرية قتال في «ثمد» وأخرى في «نخل» وتقدّم اللواء ٢٠٢ غرباً بسرعة إلى ممر متلا، على بعد ١١٠ كلم، للالتقاء بكتيبة المظليين التي من المحتمل أن تكون قد تجمّعت قريباً من الممر المذكور.

٣٢ - **عند المصريين:**

في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، الساعة ١٨,٣٠، ساعتين ونصف بعد اقتحام اللواء ٢٠٢ الأراضي المصرية وساعة ونصف بعد إنزال المظليين قرب «مسلة باركر»، دعى جمال عبد الناصر وزرائه إلى اجتماع طارىء وكانوا جميعاً تحت صدمة المفاجأة. وبعد التداول قرّر مجلس الوزراء المصري مواجهة هذا التهديد المباشر بإرسال تعزيزات إلى جبهة السويس كالآتي:[2]

- نقل لواء مشاة إلى ممرات متلا لاحتواء المظليين الاسرائيليين.
- نقل كتيبة مشاة إلى الشمال، نحو العريش لدعم وتعزيز الدفاعات الساحلية.
- نقل مجموعتي دبابات ثقيلة (T 34) تشيكوسلوفاكية الصنع، نحو شرقي

(١) شارون، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(٢) Azean, op. cit., p. 441.

القتال عن طريق جسر الفردان[1] وعدد من المدافع الروسية المتحرّكة (Su 100) مع بعض وحدات من المشاة لمرافقتها.

انتقل العظيم من هذه القوات نحو الحدود على الطريق الوسطي، المسمّاة «طريق الأتراك» إلى بير جفجافة.[2]

٣٣ - معركة ممر متلا (٣٠ تشرين الأول):

في تمام الساعة ٢١,٣٠ ليلاً أمّن اللواء ٢٠٢ أول اتصال مع كتيبة المظليين التي كانت قد هبطت وتنتظر، متحصّنة في أرض صعبة المسالك فوق المرتفعات المسيطرة على ممر «متلا»، بعد ٣٠ ساعة من اختراق الحدود الاسرائيلية المصرية. في اليوم نفسه عانت هذه الكتيبة هجمات الطيران المصري وكذلك قذائف الهواوين يطلقها المشاة المؤلّلون المصريون الذين كانوا قد اجتازوا الطر الغربي غير المحروس لممر «متلا». لقد تمكّن الطيران الاسرائيلي خلال هذا النهار من تدمير آليات الرتل المصري. وقد أكّد الطيّارون اليهود، ان الممر بات حراً ولم يشاهد فيه أي حضور مصري مرئي.[3]

استناداً إلى هذه المعلومات قرّر قائد اللواء ٢٠٢ التقدّم نحو الممر المسيطر على طرفيه وللتمركز فيهما وقد طلب من قيادته ان تؤمّن له الدعم الجوي عند الفجر. في تمام الساعة ٣,٠٠ صباحاً ابلغ برقيا ان القيادة لن تتمكّن من تأمين هذا الدعم. وفي الساعة ٦,٠٠، موعد الانطلاق، برزت أربع مطاردات مصرية في السماء وحلقت فوق الرتل الاسرائيلي ثمّ انقضّت عليه وقصفته. ولم يطل الوقت حتى وصلت طائرات ميتيور اسرائيلية إلى سماء الممر فوقعت معركة جوية انتهت بتدمير ثلاث طائرات مصرية. لقد دارت رحى معركة جوية كبيرة حول منطقة الممر، فقد قام المصريون بحوالى ٤٠ إلى ٥٠ غارة جوية

(١) أنظر الخارطة رقم ٢.

(٢) أنظر الخارطة رقم ٢.

(٣) Azean, op. cit., p 442.

- شارون، مرجع سابق، ص ١٨٧ - ١٨٨.

بطائرات الميغ الروسية وطائرات الفامبير الانكليزية واستعمل الاسرائيليون طائرات الميستير الفرنسية التي زوّدت فرنسا اسرائيل بـ ٣٦ طائرة منها خلال شهر تشرين الأول فقط. وقد أفاد الطيارون اليهود قيادة اللواء ٢٠٢ ان الممر يبدو خالياً من قوات مصرية ولكن يوجد لواء مدرّع مصري يتجه باتجاه الممر آتياً من بير جفجافة وهو لا يزال على بعد ٦٥ كيلومتراً، الأمر الذي أثار القلق في نفس شارون. خاصة وان عديد اللواء ٢٠٢ لا يتعدّى الألف ومائتي مقاتل وبعض مدافع الميدان وثلاث دبابات AMX وعدّة مدافع غير مرتدّة فرنسية الصنع أنزلت بالمظلات من قبل الفرنسيين للكتيبة التي كانت بقرب الممر.[١] كلّ ذلك لم يكن كافياً لصد لواء مدرّع يدافع مستميتاً عن أرضه. الأرض مكشوفة تماماً ولا توفّر وسيلة دفاع طبيعية ضد دبابات ومشاة مدرّعين. لذلك قرّر قائد اللواء ان يدخل الممر بقواته ويتخذ مراكز دفاعية في الأماكن التي تشكّل فيها الاجراف والمضائق عوائق طبيعية ضد الدبابات المصرية المتقدّمة.[٢]

أعطيت إشارة التقدّم نحو الممر. وما ان توغّلت القوات الاسرائيلية قرابة ألف وخمسمائة متر في الممر حتى تلقّت المجنزرة الأولى وابلاً من الرصاص الصادر من مواقع خلفية واقعة في أعلى سفوح الممر. قتل السائق على الفور، وانتقلت المجنزرة إلى جانب الطريق. ولدى تقدّم مجنزرة أخرى أصابها ما أصاب الأولى. وعندما تقدّم المظليون لإخلاء الضحايا، وجدوا أنفسهم في خضم معركة لا ترحم. وفي أثناء ذلك هاجمت اللواء مطاردات مصرية عند المدخل وكانت من نوع Vampire بريطانية الصنع، طالت المعركة. وفي ٣١ تشرين الأول ازدادت المعركة اتساعاً ولم يتمكّن الاسرائيليون من إخلاء الجرحى والقتلى. عندها انطلقت وحدة استطلاع من المظلّيين الاسرائيليين مكتنفة الموقع المصري حول المرتفعات اليمنى في محاولة لمفاجأة القوات

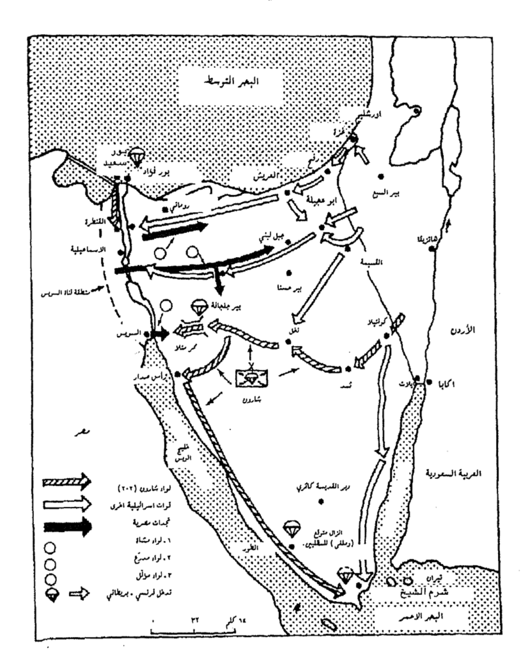
---

(١) الخارطة رقم ٣.

(٢) شارون، مرجع سابق، ص ١٨٨.

الخارطة رقم ٣[١]

حملة سيناء ١٩٥٦



(١) شارون، مرجع سابق، ص ١٩٥.

المصرية من الوراء ومهاجمتهم من الأعلى.

وبعد أن بلغ اليهود القمة وتحضّروا لنزول المنحدر، جوبهوا بوابل من الرصاص الآتي من المغاور والنتوؤات في الجهة المقابلة. ولعجزهم عن تحديد دقيق لمصدر إطلاق النار نزلوا بسرعة من المنحدرات الصخرية. وهناك قتل العديدون منهم فيما حوصر الباقون بين نيران صادرة عن المراكز المصرية السفلية وعن مراكزهم في المنحدرات المقابلة. أحبط المصريون هذا الهجوم اليهودي واستمرّوا يطلقون النار إلى أسفل في اتجاه المظليين الذين كانوا يتدرأون ما أمكنهم ذلك خلف أي نتؤ أو قلع صخري. بعد الظهر وصلت قوّة تعزيز اسرائيلية مؤلّفة من دبابتين وبعض الجنزرات وراحتا تغطّيان بنيرانهما الغزيرة الجنود الاسرائيليين متيحة لهم التخلّص من هذا الكمين الذي وقعوا فيه.

حدّد الاسرائيليون المواقع المصرية. وبعد هبوط الظلام تقدّمت وحدتان على طول السفحين الصخريين للممر ببطء على امتداد الجرف الشديد النتؤات وراحتا تسكتا المغاور واحدة بعد الأخرى في معركة بالسلاح الأبيض.[1] وظلّت أصداء المعركة تدوّي في الممر طوال ساعتين وحوالى الساعة الثامنة خفّ الضجيج شيئاً فشيئاً.

انتهت معركة ممر «متلا» مع إطلالة خيوط الفجر البيضاء. أما في الشمال فقد تأكّد أن اللواء المدرّع المصري قد انسحب نحو الضفة الغربية للقناة، تحسّباً للتهديد البريطاني الفرنسي بالتدخّل.

والجدير ذكره ان المقاتلات المصرية لعبت دوراً مهماً وفعالاً في هذه المعركة فقد دمّرت لليهود عدداً كبيراً من الآليات وصهريجي وقود. بعد ذلك أعطي اللواء ٢٠٢ أمراً بمتابعة تقدّمه نحو قناة السويس.

٣٤ - القتال على جبهتي الوسط والشمال (٣٠ تشرين الأول):

في تمام الساعة ١,٣٠ من صباح ٣٠ تشرين الأول، بدأ لواء المشاة ٣٧

(١) شارون، مرجع سابق، ص ١٩٢ -١٩٣.

.Azean, op. cit., p. 458 –

الاسرائيلي بالهجوم، لكنه فشل فشلاً ذريعاً واضطرّ للتراجع إلى الوراء تحت ضغط هجوم مصري مضاد. أعاد الكرة في الساعة ٤,٣٠ وفشل من جديد، فتدخّل الطيران الحربي الاسرائيلي في المعركة وقصف المرتفعات التي تسيطر على مراكز القوات المصرية بقذائف «النابلم» الحارقة. أعطت القيادة المصرية أمر الانسحاب لقواتها فتراجعت بانتظام كلّي من ميدان المعركة إلى معاقل أبو عجيلة المحصّنة، يدافع عنها حوالى الخمسة آلاف مقاتل مزوّدين بالأسلحة والعتاد اللازمين. فالهجوم على هذه البقعة الحصينة من قبل لواء مشاة اسرائلي، كان يعتبر بمثابة انتحار أو خسارة معيبة ستلحق به. لذلك سحبت القيادة الاسرائيلية اللواء ٣٧ من جبهة القتال ليحلّ مكانه اللواء المدرّع السابع الاسرائيلي الذي قام بهجوم جبهي على هذه المعاقل، لكنه ردّ على أعقابه بعدما دُمّر له دبابتين «شيرمان» وخمس مجنزرات، إنما تمكّن من تفجير القساطل التي تزوّد أبو عجيلة بالمياه.[١] والأهم من كلّ هذا ان الاسرائيليين اكتشفوا «سليلاً» وعراً من غير الممكن استعماله لسير الآليات. هذا السليل سمح لهم باكتناف موقع المعاقل والوصول إلى وراء المدافعين في نفس الوقت الذي قاموا بهجوم جبهي جديد.[١] وعند المساء وصل لواء اسرائيلي جديد إلى أرض المعركة هو لواء المشاة الرابع، فتمّ به الحصار الكامل للموقع. بالرغم من هذا التبدّل الجديد، بقيت المدفعية المصرية تقوم بدورها على أكمل وجه، مكبّدةً القوات الاسرائيلية الخسائر الفادحة. في ٣١ تشرين الأول فجراً بقيت الأمور كما هي رغم الطوق والحصار المضروبين على أبو عجيلة إنما سيتحسّن الوضع المصري في حال وصول اللواء المصري المدرّع (اللواء الروسي)،[٢] إلى أرض المعركة والذي يتقدّم على طول طريق الأتراك، لمؤازرة الحامية المحاصرة.

أما على الجبهة الشمالية، جبهة اللواء الاسرائيلي ٢٧، فقد بقي الوضع هادئاً في هذا اليوم، (٣١ تشرين الأول).

(١) Azean, op. cit., p. 448.

(٢) أعطيت له هذه التسمية بسبب دباباته الروسية الصنع والمقدّر عددها بحوالى ٣٠ دبابة.

٣٥ - القتال على الجبهات في ٣١ تشرين الأول:

بينما كان اللواء ٢٠٢ يدخل ممر متلا بعدما تراجع عنه المصريون، كان اللواء التاسع المؤلّل الاسرائيلي المؤلّف من ١٨٠٠ مقاتل وحوالى مئتي آلية، يتقدّم عبر الطريق الساحلي الشاق باتجاه رأس الطرف الجنوبي لشبه صحراء سيناء (شرم الشيخ). لم يكن هذا اللواء يتوقّع قتالاً فعّالاً قبل الوصول إلى رأس النصراني حيث يوجد حامية عسكرية مؤلّفة من حوالى ٢٠٠٠ مقاتل، حوّلها المصريون بكلّ معنى الكلمة إلى قلعة حصينة. وبين هذه المدينة وشرم الشيخ (حوالى ١٨ كلم) كانت الطريق وما حولها مزروعة بالاطمات. وفي الساعة السابعة صباحاً وصل اللواء التاسع إلى «النجب».(١)

أما على جبهة الوسط، فقد تمكّنت الوحدات المصرية الصغيرة التي كانت تدافع عن عقدة طرق القسيمة، من التراجع والانسحاب بانتظام بعد معركة قصيرة مع لواء اسرائيلي كان قد تاه في الصحراء وأضاع طريقه وخسر عدداً كبيراً من آلياته في الرمال المتحرّكة.

قليلاً إلى الشمال، كانت حامية أبو عجيله لا تزال صامدة تقاتل مانعة كلّ تقدّم اسرائيلي في هذا القطاع، خاصة أمام معتصم ام شيهان ومعتصم سدّ روفا.(٢)(١)

ابتدأ الاطباق الاسرائيلي على حامية أبو عجيله في ٣١ تشرين الأول عند الفجر واستمرّ طيلة النهار. وعند الساعة ٢٠,٠٠ سقط معتصم السّد. وبعد نصف الليل بقليل ابتدأ المصريون بالانسحاب من مراكزهم بمجموعات صغيرة لا تتعدّى الرهط الواحد، لكن الطريق نحو الغرب كانت قد قطعت، فتاهَ عدد كبير منهم في الصحراء. وهكذا فتحت طريق الاسماعيلية أمام تقدّم القوات الاسرائيلية. واعتباراً من مساء ٣١ تشرين الأول، تقدّمت طلائع اللواء السابع المدرّع باتجاه الغرب لملاقات

---

(١) الخارطة رقم ٤.

(٢) Azean, op. cit., p 460.

الدبابات المصرية الثقيلة التابعة للواء المدرّع أو اللواء الروسي الذي كانت قد هاجمته في الليلة السابقة طائرات الميستير التابعة لسلاح الجو الفرنسي وأنهكته.(١) شوهد هذا اللواء يبدّل اتجاه مسيره نحو الجنوب، باتجاه المظليين الاسرائيليين التابعين للواء ٢٠٢ الذي كان يكافح في ممر متلا. بعد ذلك شوهد الرتل المصري المدرّع يصعد نحو الشمال باتجاه «بير جفجافة». في مساء ٣١ تشرين الأول، وصلت وحدات طليعة الرتل المصري إلى «بير رود سالم»، إلى الشرق من بير جفجانة.(٢) في هذه الأثناء، توجّه اللواء الاسرائيلي نحو الجنوب مما يعني ان معركة قاسية بالدبابات ستقع في اليوم التالي على جبهة الوسط.

في جبهة الشمال، لم يحدث أي شيء مهم؛(٣) ففي مساء ٣٠ تشرين الأول، حاولت عناصر الهندسة، في اللواء المدرّع ٢٧ الاسرائيلي لواء لاسكوف، نزع الالغام وفتح ثغرة في الدفاعات المصرية في مدينة «رفح»، لكنهم أخفقوا في ما يبدو، ذاك انهم أدخلوا في ٣١ الشهر أربع كتائب من لواء المشاة الأول إلى أرض المعركة فتكبّدوا الخسائر لكنهم تمكّنوا من الوصول إلى غالبية أهدافهم الموجودة في المواقع الدفاعية الخارجية لمدينة رفح ومنها خاصة التي تتحكّم بطريق العريش.(٤) وقد رأت القيادة الاسرائيلية ان السيطرة التامة على المحور المحصّن لمدينة رفح لا يمكن أن يتم إلاّ بالتدخّل الفعّال لمدفعية الميدان وهذا التدخّل طلبه الاسرائيليون من البحرية الفرنسية التي أرسلت بالفعل فرقاطة حربية بقيادة النقيب البحري كابينه. اقتربت الفرقاطة هذه من ساحل مدينة رفح وقصفت الحامية بحوالى أربعماية قذيفة من فوهات تسعة مدافع عيار ١٥٢. لم تتمكّن الحامية من الصمود أمام هذا الجحيم الناري، خاصة وان القصف بدأ عندما وصلها أمر بالانكفاء

(١) Azean, op. cit., p 462.

(٢) الخارطة رقم ١.

(٣) Azean, op. cit., p 462.

(٤) أنظر الخارطة رقم ٤ – ٥ – ٦.

عن رفح وكانت تنفّذه فعلاً. بعدها تدخّل اللواء المدرّع ٢٧ الاسرائيلي وتابع قتاله فوصل بعد بضع ساعات إلى محطة رفح فأكمل بذلك دائرة الحصار حول الفرقة الثامنة المصرية الباقية في جيب غزة.

أما العناصر التي كانت تدافع عن رفح وتراجعت نحو الغرب فقد انضمّت إلى اللواء المصري المؤلّل (يقال له اللواء الالماني) الذي وصل إلى مدينة ميسفاك،(١) على بعد ٨٠ كيلومتراً غربي العريش والذي أعطي له الأمر أيضاً بالتراجع فاتجه نحو القنطرة على شاطىء القناة المصرية. فالقوات الاسرائيلية لا يمكنها التعامل معه قتالياً لأنه وصل بسرعة إلى خط الـ١٦ كيلومتراً من شاطىء القناة.

أما الفرقة الثامنة المصرية، فكانت الوحيدة المظلومة من قبل القيادة المصرية والقوات الاسرائيلية، فهي محاصرة في جيب غزة. ولم تكن فرقة بالمعنى الكامل للكلمة فكانت مؤلّفة فقط من: لواء من الحرس الوطني (نصفه ميليشيا والنصف الباقي من الشباب الاغرار) ولواء فلسطيني (مسيّس) من اللاجئين. ولم يبق له من نقاط المدافعة إلاّ حامية خان يونس.

في الأول من تشرين الثاني مساء، كانت رفح بيد اللواء المدرّع ٢٧ الاسرائيلي وخان يونس محاصرة، مما سمح لهذا اللواء بالتحرّك نحو العريش على بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الغرب حيث فاجأ وحدات مصرية منسحبة، فاستولى بكلّ بساطة على كافة المواقع ومن ضمنها مخزناً مهماً للمعدات الروسية الصنع. وفي الثاني من الشهر نفسه، وصل الاسرائيليون أمام الخط ١٦ كلم. كان مخزن المعدات هذا يحتوي على رادارات وكمية كبيرة من الوقود وأعتدة لا تستعمل إلاّ في القطب الشمالي.(٢)

٣٦ - القتال في البحر:

لم يكن بحوزة البحرية المصرية سوى عدد قليل من مدمّرات المواكبة

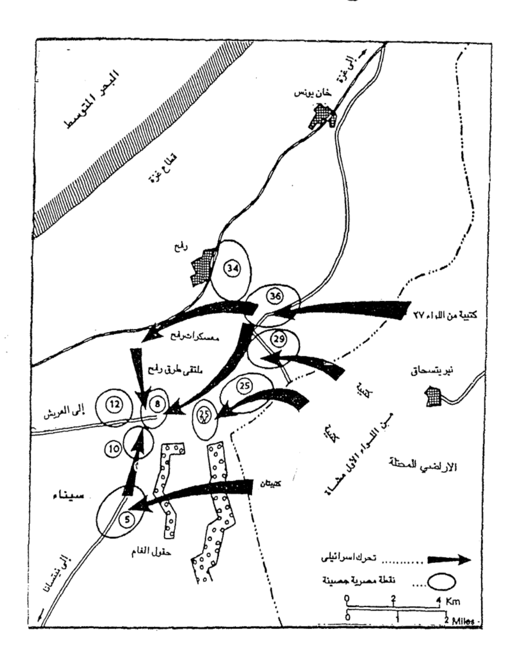
---

(١) أنظر الخارطة رقم ٦.

(٢) Azean, op. cit., p 490.

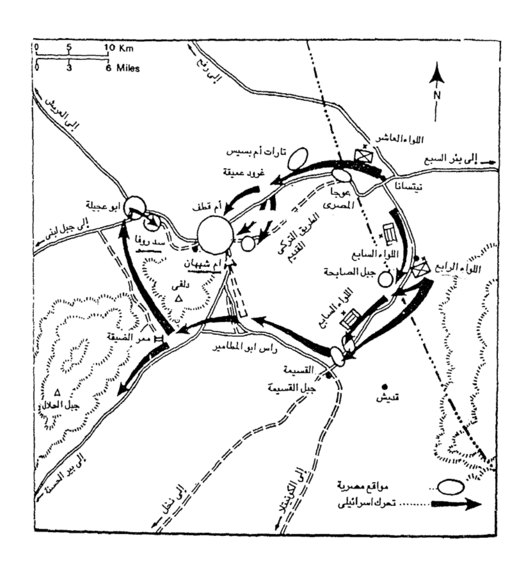
الخارطة رقم ٤

معركة رفح، ٣١ تشرين الأول - ١ كانون الأول



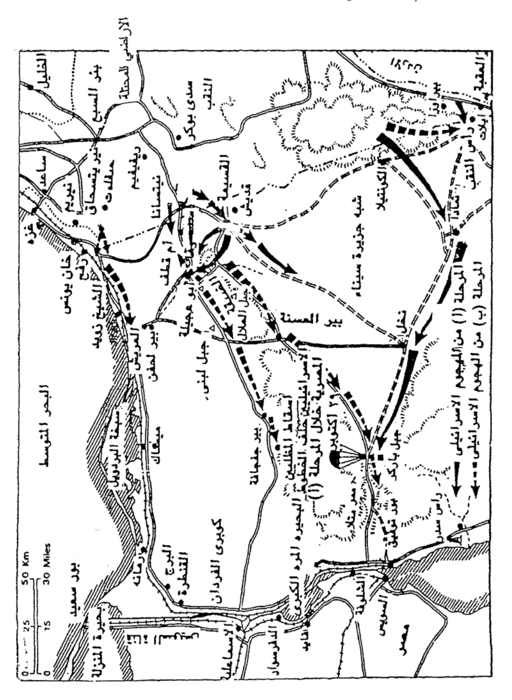
الخارطة رقم ٥

معركة موقع أبو عجيلة الحصين،١٣ تشرين الأول ١٩٥٦



الخارطة رقم ٦

الهجوم الاسرائيلي ٣١ تشرين الأول - واحد كانون الأول ١٩٥٦



(Destroygers) والفرقاطات (Frégates)، لذلك لا يمكن أن ننتظر معارك بحرية حاسمة بين المصريين والاسرائيليين. لكن اسرائيل كانت تخاف من تهديد بقصف مدفعي بحري على مدن الساحل الاسرائيلي. لذلك ومن خلال الملحق العسكري اليهودي في باريس العقيد نيشري (Nishiri)، طلبت حكومة تل أبيب من فرنساتعزيز بحريتها فعزّزتها بعمارة بحرية (Escadre) خفيفة مؤلّفة من ٣ مراكب قتال هي «سورقوف» (Surcouf) وبوقات (Bouvet) وكيرسان (Kersaint)، وأرسلت إلى شرم الشيخ، في البحر الأحمر، سفينة الاتصال «غزال» (Gazelle).(١)

في ٣٠ تشرين الأول، عند الساعة ٣،٣٠، قبل ساعة واحدة من الانذار الفرنسي البريطاني للدولتين المتحاربتين، مصر واسرائيل، اعترضت كيرسان، المدمّرة المصرية «ابراهيم الأول» التي كانت منزلقة في وسط دورية بحرية من الأسطول السادس الأميركي. أطلقت كيركان نيرانها على ابراهيم الأول لكنها لم تصبها، وعندما انفصلت المدمّرات الأميركية عنها، أطلقت ابراهيم الأول نيرانها على المدمرة الاسرائيلية فلم تصب هدفها هي أيضاً. أبقت كيرسان تماسها مع ابراهيم الأول واستدعت دورية من البحرية الاسرائيلية. وفي صباح اليوم التالي، تكاثرت المراكب البحرية ضدها فاستسلمت، فجرتها المدمّرات الاسرائيلية قبالة مدينة حيفا. وقد أدّعت اسرائيل كذباً وبهتاناً ان ابراهيم الأول حاول قصف حيفا فأسرته البحرية الاسرائيلية.(٢)

٤ – تداعيات تأميم قناة السويس

انعقد في لندن مؤتمر حول عملية تأميم القناة، في١٩ و٢٠ أيلول ١٩٥٦، ووضع المؤتمرون تفاصيل مشروع إنشاء جمعية المنتفعين بالقناة، وأعلن قيام الجمعية رسمياً

---

(١) Azean, op. cit., p 462.

(٢) مماثل، ص ٤٦٣.

في الأول من تشرين الأول، وأعلنت ١٥ دولة انضمامها للجمعية، ولكن إنشاءها لم يؤدِّ إلى ما كانت تريد بريطانيا، فقد رفضت مصر الاعتراف بها، كما رفضت التعاون معها بأي شكل من الأشكال.(١)

ومرّت سبعة أسابيع على إعلان تأميم شركة القناة، ووجدت فرنسا وبريطانيا انهما لم تخطوان خطوة واحدة إلى الأمام، ولكنهما وجدتا نفسيهما في وضع عسكري، يمكّنهما من نيل حقوقهما بأيديهما. ولكن الرأي العام في داخل بريطانيا نفسها وفي خارجها كان قد تغيّر عما كان عليه حين إعلان تأميم شركة القناة. كما ان مرشدي القناة الجدد أثبتوا مقدرتهم وكفايتهم، وأظهروا للملأ ان مصر تستطيع تسيير الملاحة بالقناة والقيام بالتزاماتها بموجب مؤتمر الأستانة العام ١٨٨٨.

أحيلت القضية إلى مجلس الأمن وهذه الإحالة كانت مجازفة، «فالفيتو» الروسي خطر دائم في مجلس الأمن، ثم ما الذي ستتذرّع به بريطانيا وفرنسا للتدخّل في مصر، في حالة عدم رضا الدولتين عن قرار مجلس الأمن، سوى هجوم اسرائيلي على مصر.

كانت وجهة النظر الأميركية، تخالف تماماً وجهة نظر «ايدن رئيس وزراء بريطانيا»، وأعلن دالاس، وزير الخارجية الأميركي، في مؤتمر صحفي، قبل اجتماع مجلس الأمن بثلاثة أيام، ان السياسة الأميركية تجاه مشكلة السويس تخالف السياسة الانجلو-فرنسية، وأعلن كذلك ان الولايات المتحدة لا توافق مطلقاً على استخدام القوّة.(٢)

إنعقد مجلس الأمن في ٥ تشرين الأول وبعد ثلاثة أسابيع من بدء الاجتماع، سقط مشروع القرار الذي اقترحته بريطانيا وفرنسا، أمام الفيتو السوفياتي.

وهنا لم يبق أمام بريطانيا وفرنسا سوى طريق واحد لمعالجة الأزمة: التدخّل العسكري، فاتفقت مع اسرائيل على خطة محدّدة، كنا قد ذكرنا تفاصيلها سابقاً.

---

(١) تشرشل الابن، مرجع سابق، ص ١٣٠.

(٢) تشرشل الابن، مرجع سابق، ص ١٣٢.

واستناداً إلى هذا الاتفاق، وقف ايدن في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر اليوم الثلاثين من تشرين الأول، أمام مجلس العموم البريطاني في لندن، يعلن ان القوات الاسرائيلية الزاحفة في سيناء أصبحت قريبة من شواطىء القناة وان قتالاً جوياً وبرياً يجري على مقربة من القناة أو عند القناة نفسها. وفي مساء اليوم نفسه وقف المستر لويد وزير الخارجية أمام النواب ليقول ان القوات الاسرائيلية موجودة على بعد بضعة أميال من القناة، وانها ماضية في تقدّمها نحو السويس. ولم يطل الوقت وحسب الخطة المرسومة، وجّهت بريطانيا وفرنسا إنذاراً للمصريين والاسرائيليين. أعلنت اسرائيل قبولها له بعد ٤ ساعات من تسلّمها إياه، كما جاء جواب مصر بالرفض بعد ٩ ساعات وبدأت بريطانيا هجومها على مصر بعد ١٥ ساعة من إرسال الإنذار. وقد استطاع سلاح الجو البريطاني من شلّ حركة سلاح الجو المصري في مدّة ٣٦ ساعة وكان ذلك في الخامس من تشرين الثاني ١٩٥٦.

٥ – العمليات العسكرية في وسط وجنوبي سيناء (١ تشرين الأول إلى ٥ كانون الأول)(١)

في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني، بدأت القوات الاسرائيلية في تنفيذ خطة عسكرية جديدة، فقد طلب من قائد اللواء ٢٠٢ (شارون)، بإرسال كتيبة من المظليين نحو الجنوب الشرقي إلى خليج السويس من أجل احتلال رأس «سدر»، مدينة مصافي البترول، ثمّ التقدّم على طول الخليج في اتجاه شرم الشيخ في الجنوب. وفي نفس الوقت أنزلت كتيبة من المظليين فوق «طور» الواقع على أحد سفوح الشاطىء نفسه. وبينما كان المظليون يقتربون من ضفة قناة السويس، كان اللواء التاسع المدرّع الاسرائيلي ينطلق

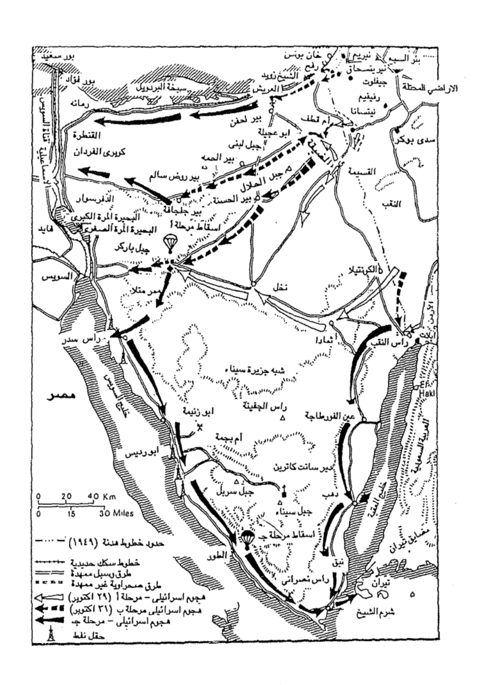
(١) الخارطة رقم ٣ و٧.

– شارون، مرجع سابق، ص ١٩٦.

– Azean, op. cit., p 503 - 504.

الخارطة رقم ٧

الهجوم الاسرائيلي، مرحلة ٢ - ٥ كانون الأول ١٩٥٦



بسرعة كبيرة من ايلات، متخطياً كلّ الحواجز على امتداد خليج العقبة. وكان الرتلان يتسابقان للوصول أولاً إلى شرم الشيخ، هذا الموقع المصري الحصين. وكانت الطريق بين ايلات وشرم الشيخ وعرة المسالك مليئة بالصخور. أما طريق اللواء ٢٠٢ فكانت أسهل كثيراً.

عندما تمّ إنزال المظليين على الطور، دبّت الفوضى والذعر والخوف في صفوف القوة المصرية هناك الأمر الذي مكّن الاسرائيليين من تطويق هذه القوة المصرية من الخلف ومن ثمّ القضاء عليها تماماً.

عندما كان اللواء ٢٠٢ على أهبة الاستعداد لإنزال مظليين على شرم الشيخ، أفيد بأن اللواء المدرّع التاسع سوف يقتحم هذا الموقع لذلك رأى ان تدخّل المظلّيين بات عديم الجدوى.(١)

وصل اللواء المدرّع التاسع الاسرائيلي إلى «نبق» حيث قضى على سرية من الهجانة وتابع تحرّكه نحو «راس النصراني» فوصل إليها صباح الرابع من تشرين الأول وراح الطيران اليهودي يقصفها دون هوادة أو توقّف. وهكذا واعتباراً من مساء الثالث من تشرين الأول ١٩٥٦ تكون القوات الاسرائيلية قد تمكّنت من احتلال شبه جزيرة سيناء بأكملها باستثناء موقعي رأس النصراني وشرم الشيخ، وحققت أهدافها تنفيذاً للمخطط الذي اشتركت اسرائيل بوضعه مع حليفتيها، فرنسا وبريطانيا.(٢)

كان عديد القوات المصرية في رأس النصراني حوالى ١٥٠٠ عسكرياً، فقرّر القائد المصري ان أية نجدة لن تصل إليه من القاهرة في مثل هذه الظروف الميدانية، لذلك عدل عن المتابعة بالدفاع عن الموقع ومقاومة الاسرائيليين وتمكّن من إجلاء القسم الأكبر من قواته بحراً إلى شرم الشيخ حيث ستقع المعركة النهائية والأخيرة في شبه الجزيرة.(٣)

(١) شارون، مرجع سابق، ص ١٩٧.
- Azean, op. cit., p 505.

(٢) Azean, op. cit., p 510.

٣() قدّر عدد هذه الحامية بحوالى ١٥٠٠ مقاتل: Azean, op. cit., p 511.

في هذا اليوم أيضاً، تركت سفينتا الشحن، التي كانت اسرائيل قد استأجرتهما من الحبشة، العاصمة مصوع باتجاه شرم الشيخ وراس النصراني لإيصال المؤن والعتاد اللازمة إلى القوات الاسرائيلية في هذين الموقعين. وقد وصلتا بالفعل إلى هناك في صباح الخامس من الشهر نفسه، في الوقت الذي سقط فيه موقع النصراني بيد اليهود. حوّلت هاتان السفينتان إلى فرقاطتين حربيتين، ثمّ انطلقتا وعلى متنيهما عدد كبير من الجنود الاسرائيليين لاحتلال جزر مضيق تيران التي تتحكّم في المدخل الشرقي لخليج العقبة.

في تمام الساعة التاسعة والنصف من الخامس من تشرين الثاني وتحت ضغط القصف المدفعي والجوي الكثيف والمتواصل استسلمت حامية شرم الشيخ لقائد اللواء التاسع المدرّع الاسرائيلي، العقيد «يوفي» وحُقق التلاقي مع المظليين التابعين للواء ٢٠٢ (شارون). وهكذا باتت كلّ شبه الجزيرة الآن في يد اسرائيل.

٦ - بداية النهاية - الانسحاب من سيناء

في ٥ تشرين الثاني، تلقّى رئيس وزراء اسرائيل بن غوريون من المارشال بولغانين رئيس حكومة الاتحاد السوفياتي، رسالة شديدة اللهجة يطلب فيها «أوقفوا الاعتداء واسحبوا قواتكم من الأراضي المصرية». وبعد ٣ أيام تلقّى بن غوريون رسالة من الرئيس الأميركي ايزنهاور يطلب فيها بحزم انسحاب القوات الاسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة والانصياع التام لقرارات الأمم المتحدة.

أمام هذه الضغوط الدولية الحازمة والجادة من الدولتين: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، ومن كتلة الدول الافرو-اسيوية وبعض الدول الأوروبية في الأمم المتحدة، أوقفت بريطانيا وفرنسا عملياتهما الحربية، واتمّتا سحب قواتهما قبل آخر سنة ١٩٥٦. أما اسرائيل، فقد تلكأت في الانسحاب، وماطلت، وجعلت انسحابها على مراحل. جلت عن معظم صحراء سيناء خلال شهري كانون الأول ١٩٥٦

وكانون الثاني ١٩٥٧. وكانت كلّ مرحلة من مراحل الانسحاب تقتضي المفاوضات والأخذ والرد حول توقيت الانسحاب ومداه. وتشبّثت اسرائيل بإبقاء إدارة إسرائيلية في قطاع غزة، وقوات اسرائيلية في شرم الشيخ.

وبعد مفاوضات مكثّفة مع الأمم المتحدة وإلحاح من الرئيس الأميركي ايزنهاور، تمّ الجلاء في ٨ آذار ١٩٥٧، ودخلت قوات الطوارىء الدولية المنطقتين، وعادت الإدارة المصرية إلى قطاع غزة.

٧ – نتائج العدوان الاسرائيلي

لم تستطع اسرائيل البقاء في شبه جزيرة سيناء ولا الاحتفاظ بقطاع غزة وشرم الشيخ ولكنها ضمنت لسفنها المرور في خليج العقبة والوصول إلى ميناء ايلات من دون اعتراض عشر سنين أي إلى ٢٣ أيار ١٩٦٧، قبيل حرب حزيران.(١)

وزعم بن غوريون ان حملة سيناء لم تكن سدى وانها كانت من ألمع المعارك في التاريخ، وانها أضافت إلى مجد السلاح الاسرائيلي، وان اسرائيل لم تعد في نظر العالم قوّة مهملة، وهذا الزعم نشكّك في صحته.(١)

وسجّلت مصر انتصاراً سياسياً ودولياً وقويت زعامتها في العالم العربي.

أما بالنسبة إلى الدول العربية، فقد كانت حملة سيناء منطلقاً جديداً في التعامل مع القوى العالمية والعدو الاسرائيلي، على أساس الحق والقوة والعدالة.

أما بالنسبة إلى الفلسطينيين، في داخل الوطن المحتل وخارجه، فقد جاءت حرب ١٩٥٦ ومواجهة الاحتلال الاسرائيلي ومقاومته للمرة الأولى منذ ١٩٤٨، وما سبقها من عمليات فدائية كانت قد نظّمت تحت إدارة ضباط مصريين، بمثابة صدمة مثيرة وفاتحة عهد من الشعور بالجدارة الشخصية والوطنية معاً. فقد وجد الفلسطينيون وخصوصاً سكان غزة، أنفسهم أمام عدوّهم وجهاً لوجه يتعرّضون للقتل والتدمير وسياسة الانتقام الجماعي.

---

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٥٢.

القسم الثاني

الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة

ونتائجها (١٩٦٧)

الفصل الأول
الوضع العربي والاسرائيلي عشية الحرب

١ - توطئة

رافق الانسحاب الاسرائيلي من سيناء وغزة السنة ١٩٥٧، إصرار من الولايات المتحدة أن يظلّ خليج العقبة مفتوحاً للملاحة الاسرائيلية، وأن تضمن فيه حرية الملاحة الدولية. وقد مكّن هذا إسرائيل من أن يكون لها طريق بحري مباشر إلى العالم الخارجي، وخصوصاً إلى عالم شرق افريقيا وجنوبها وجنوب شرق آسيا. ولا سبيل إلى التقليل من أهمية هذا الأمر بالنسبة إلى ما كسبته اسرائيل اقتصادياً وسياسياً، وخصوصاً قبل أن يعير العرب العالم الافريقي حقّه من الاهتمام والعناية. ولا يجب أن يغيب عن البال خروج بريطانيا وفرنسا من منطقة الشرق الأوسط بضغط من الولايات المتحدة أولاً والاتحاد السوفياتي ثانياً. وترتّب على هذا ان الولايات المتحدة جاءت لتحلّ محلّها وتملأ الفراغ في المنطقة، وقد أوحت إلى السوفيات بأنها قد تلجأ إلى الحرب لمنعهم من الوصول إلى الشرق الأوسط وإلى دعم الحكومات الصديقة لواشنطن في مواجهة النهج الناصري التحرري[١] وإغرائها بمساعدات إقتصادية وعسكرية من أجل الارتباط علناً بالولايات المتحدة. وكانت السياسة الأميركية إذن تنظر إلى هذه القضية من زاوية موقفها من الاتحاد السوفياتي، فلم تهتم بالنزاع العربي الاسرائيلي إلاّ من هذه الزاوية. اتجه عدد

(١) نسبة إلى الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

من الدول العربية - مصر والعراق وسوريا - شطر موسكو للتسلّح والحصول على الدعم الاقتصادي، وازدادت اسرائيل ارتباطاً بالولايات المتحدة، وقصة تسليح واشنطن لإسرائيل طويلة لكنها معروفة. ويمكن القول ان الأمر كان في أوله الادعاء بحماية اسرائيل، فانتهى بأن انتقل الدعم الأميركي إلى جعل اسرائيل أقوى من الدول العربية مجتمعة، وإلى إقرار هذا المبدأ شرطاً أساسياً للسلام في المنطقة.(١)

هذا بالإضافة إلى صفقات الأسلحة والمساعدات الاقتصادية والعسكرية التي قدّمتها المانيا الاتحادية وفرنسا، بالتنسيق مع واشنطن، والتي مكّنت اسرائيل من بناء أكبر قوّة ضاربة متطوّرة في المنطقة، كما انها أرست القاعدة اللازمة لتطوير نشاط اسرائيل الذري لاحقاً، ببناء المفاعل الذري في ديمونة.

من جهة أخرى، فقد دخل إلى اسرائيل بين ١٩٤٨ و١٩٦٤ نحو مليون ونصف مليون مهاجر يهودي وقد حرصت على استيعاب هذا العدد الضخم من المهاجرين لسببين: الأول انه يساعد على اعداد جيش قوي مدرّب ومنظّم كامل التسليح، والثاني انه يمهّد لمزيد من التوسّع والاستيلاء على أراض جديدة. وإذا كانت الأحوال الدولية قد أوقفتها السنة ١٩٥٧، فالمجال قد يتاح لها فيما بعد.

٢ - الطموح الاسرائيلي بمياه الأردن

كانت اسرائيل تريد ان تستولي على أكبر كمية ممكنة من المياه - مياه نهر الأردن، لتوسّع مجال الاستثمار الزراعي داخلياً. غير ان مياه نهر الأردن ليست كلّها ملكاً لفلسطين. فينابيع الأردن تأتي من سوريا ولبنان، كما ان للمملكة الأردنية الحق في الإفادة من مياه ذلك النهر، وان أي محاولة إسرائيلية لنزف مياه هذا النهر، تؤثّر على الدول المجاورة الثلاث: لبنان وسورية والأردن.

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٦٠.

منذ أوائل الخمسينات، تفرّدت اسرائيل باستعمال مياه الأردن. وفي أواسط العقد نفسه، اقترح مشروع جونسون للاستفادة المشتركة من مياه الأردن على أساس تخزين مياه هذا النهر وينابيعه وتوزيعها بين لبنان وسوريا والأردن وإسرائيل، على أن يكون تحت إشراف دولي. لكن الدول العربية رفضت المشروع بسبب ملابساته السياسية أولاً، ولأنه ضد مصلحتها الاقتصادية ثانياً. وكان ذلك قبل حملة سيناء ١٩٥٦.

في عام ١٩٥٩، تجدّد اهتمام الدول العربية بهذه الأعمال، وبدأ التفكير في مشروع عربي يضمن للعرب حقوقهم في مياه نهر الأردن وروافده. في آب ١٩٦٠، وبناء على قرار مجلس جامعة الدول العربية، تألّفت لجنة فنية من الخبراء لتقوم بدراسة شاملة للمشاريع الاسرائيلية، ومدى ضررها بالبلاد العربية، ووضع اقتراحات بناءة للقيام بأعمال تحويل في الروافد قبل دخولها المنطقة المحتلّة.

عقد مؤتمر القمّة العربية في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦٤ وفي نهاية جلساته أصدر المؤتمرون قرارين رئيسيين: الأول، تناول إقرار المشروع العربي لاستغلال موارد المياه في حوض نهر الأردن وروافده، والثاني أعلن قيام القيادة العربية الموحّدة بإشراف مجلس الدفاع الأعلى، وعيّن أهدافها على أنها لتنظيم التعاون بين الجيوش العربية وتنسيقه على أساس موحّد، ووضع خطة للتسليح، ووضع البرامج التي تساعد بعض الدول العربية المواجهة لإسرائيل على استكمال استعداداتها الحربية، خصوصاً بعد توالي أنباء نشاط اسرائيل الذري.(١) وقد أعلن المؤتمر قيام منظّمة التحرير الفلسطينية التي يناط بها تمثيل فلسطين لدى جامعة الدول العربية، والأمم المتحدة بشتّى هيئاتها، ومكاتب المقاطعة والمؤتمرات كافة.

في الخامس من أيلول السنة ١٩٦٤، عقد مؤتمر القمة العربي الثاني في الاسكندرية وقرّر إنشاء جيش التحرير الفلسطيني كما قرّر بداية العمل الفوري في المشاريع العربية لاستغلال مياه نهر الأردن وروافده.

في الرابع من تشرين الثاني السنة ١٩٦٦، تمّ عقد اتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٦١.

العربية المتحدة (مصر وسوريا)، والتزم الجانبان بموجبها تبادل المعونة واتخاذ جميع التدابير الفورية للردّ على أي اعتداء مسلّح يقع على أي دولة منهما.

٣ – أسباب هذه الحرب

٣١ - الأسباب غير المباشرة:

إذا كان تعريف الحرب انها امتداد للسياسة ولكن بطريقة أخرى، فان حرب حزيران ١٩٦٧ تبدو لبعض المراقبين وكأنها للسياسية كلّها، من بدايتها لنهايتها. والجزء العسكري فيها كان العنصر الأقل أهمية، لذلك نقول ان الهزيمة لم تكن عسكرية، أو انها لم تكن عسكرية بالدرجة الأولى.(١) فالحشود الاسرائيلية على حدود سوريا التي كانت بداية لتصاعد الأحداث، ما تزال لغزاً لليوم.

أ – بالنسبة إلى اسرائيل:

كانت اسرائيل تعلم، بعد حربي ١٩٤٨ و١٩٥٦ مع الدول العربية، ان مصر هي الأقوى والأفعل بين الدول العربية التي تحيط باسرائيل. لذلك كانت تعلّق في بقائها أهمية كبرى على تدمير القوات العسكرية العربية ووسائلها الحربية قبل أن تصل إلى المستوى الذي يمكنها من القيام بهجوم شامل عليها. وبذلك تنجو من الخطر الذي يهددها وتضمن لنفسها السلام. لقد رغبت باستمرار في تحطيم الجيش المصري قبل أن تصل فرقه وألويته إلى حدودها، لذلك كان عليها السعي الدائم والدؤوب للتوسّع على حساب الدول العربية بالاستيلاء على القطاعات المنزوعة السلاح وبشن اعتداءات متتابعة، وقد قامت بذلك عام ١٩٥٦، الذي كان من غايته الرئيسية احتلال سيناء.

لقد كانت اسرائيل تحلم دائماً، وقد صرّح قادتها بذلك، بأن تكون قناة السويس ونهر الأردن والجولان حدوداً آمنة وموانع طبيعية بينها وبين الدول العربية المجاورة. لقد كانت ترغب بالسيطرة على قناة السويس وإنشاء

(١) اوبالانس، ادغار، الحرب الثالثة بين العرب وإسرائيل، ترجمة مازن البندك المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨. ص ٧.

قناة بديل للسويس تصل ما بين ايلات على خليج العقبة واشدود على البحر المتوسّط لضرب اقتصاد مصر ودعم كيانها الاقتصادي، وتقصير المسافة بينها وبين الأسواق الافريقية والآسيوية. وباحتلالها سيناء تكون قد احتلّت منابع النفط فيها أما احتلال شرم الشيخ فانه يسمح لها السيطرة على خليج العقبة.

أما الاستيلاء على الجولان فله أسبابه المتعدّدة يمكن تعدادها كالآتي:

(١) - الأسباب العسكرية:

- سيطرته على مصادر المياه التي تزوّد فلسطين.
- سيطرته على قسم كبير من شمال فلسطين ولاسيما سهل الحولة والسفوح الشرقية للجليل الأعلى.
- سيطرته على منطقة درعا ودمشق لفقدان العقبات والموانع الطبيعية بين الجولان وهاتين المدينتين.
- لن يتمكّن العرب من تحويل مجرى منابع نهر الأردن.

(٢) - الأسباب الاقتصادية:

تعتبر منطقة الجولان غنية فهي تحتوي على:

- الطيور المقيمة والوافدة، والحيوانات كالأرانب والغزلان والبقر الوحشي.
- المياه المعدنية في «الحمة» والتي تعتبر من أفضل المياه المعدنية في العالم، وأكبر حمامات الشرق الأوسط وأحسن أماكن النقاهة والاشتهاء.
- خصوبة الأرض التي تنبت مختلف أنواع الحبوب.

(٣) - الأسباب السياحية:

الجولان من أهم المناطق السياحية الغنية بالآثار الرومانية والمسيحية وخاصة المدافن القديمة. ومن أبرز أثاره قلعة «النمرود» التي تشتمل على أثار فينيقية وإسلامية وصليبية.

وتعتبر «مسعدة» قرب بانياس، مزاراً يهودياً مهماً إذ فيها قاوم اليهود الأقدمون غزوة الأشوريين وفضّلوا الموت جميعاً في أثناء القتال على الاستسلام.

أما بانياس وضواحيها فغنية بالآثار الكنعانية والفلسطينية القديمة. والسفح

الشرقي لجبل حرمون يعتبر مكاناً ملائماً جداً للتزلّج في فصل الشتاء.

أما بالنسبة للأردن فاسرائيل كانت ولا تزال ترغب في الحصول على جميع الأراضي الفلسطينية لتوسيع رقعة أرضها لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليهود ولتمدّ حدودها إلى مانع آمن، هو نهر الأردن، وذلك ضمن مشروعها التوسّعي والعدواني المستمرّ.

٤ - الوضع العام عشية الحرب

- لم تترك الأحداث المتلاحقة لعبد الناصر منذ شهر نيسان ١٩٦٧، فرصة التحري عن حقيقة الموقف. فسبقه المسؤولون الاسرائيليون إلى الافصاح عن مخططهم في غزو سوريا، وضرب النظام فيها إذا لم تقلع عن تأييدها العمل الفدائي ودعمه.
- في ٣٠ أيار وقّع الملك حسين في القاهرة اتفاق الدفاع المشترك. وفي اول حزيران، تألّفت في اسرائيل وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب باستثناء الحزب الشيوعي، وعيّن موشيه دايان وزيراً للدفاع. وكان ذلك بمثابة قرار حرب غير معلن. وفي المقابل، كان الرئيس جمال عبد الناصر يؤكّد للنائب البريطاني كريستوفر ماهيو في ٢ حزيران: «إذا لم يهاجموا فسندعهم وشأنهم. ليس لدينا نيّة الهجوم على اسرائيل...»(١) وأعطت الولايات المتحدة مثل تلك التأكيدات.
- في ٣ حزيران، جاء إلى القاهرة الممثل الشخصي للرئيس الأميركي جونسون، تشارلز يوست، واجتمع مع محمود رياض، وزير الخارجية المصري، وتمّ الاتفاق على ٣ أمور:
  ١ - مواصلة الجهود الدبلوماسية للوصول إلى حلّ سلمي لكلّ المشكلات.
  ٢ - لا تعارض مصر في إحالة النزاع حول مضيق تيران على محكمة العدل الدولية.
  ٣ - ذهاب زكريا محي الدين، نائب رئيس الجمهورية، إلى واشنطن

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٧٠.

للمفاوضة والوصول إلى تسوية يرضاها الفريقان.

لقد أعطى تشارلز يوست القاهرة قبل مغادرته مساء ذلك اليوم تأكيدات بان اسرائيل لن تهاجم ما دامت المفاوضات الدبلوماسية جارية.(١)

- زار وفد عراقي عمان والقاهرة في ٣ حزيران للتوقيع على معاهدة الدفاع المشترك المصرية الأردنية وبذلك أصبحت ثلاثية.
- عقد موشيه دايان مؤتمراً صحفياً بدا فيه ودياً وقال ان الحكومة الاسرائيلية قامت بجهد دبلوماسي، وان هذه المحاولة يجب ان تأخذ مداها. وأضاف ان اسرائيل يجب أن تخوض معاركها بجنودها، وانه لا يريد ان يموت الانكليز والأميركيون دفاعاً عن اسرائيل. لكن هذا الود كان يخبّىء النوايا العدوانية المبيتة.
- لقد تعمّدت السلطات الاسرائيلية إعطاء العلانية لجنود الاحتياط وهم يقضون إجازة نهاية الأسبوع على الشواطىء. وقد باشر دايان عمله بالخداع، فأوعز إلى الصحف ان تنشر أخباراً مفادها ان الجيش الاسرائيلي الذي ينتظر منذ أسبوعين الأمر بالهجوم سيكون سعيداً إذا عرف ان الحكومة قرّرت أن لا تبدأ بالحرب.
- قبل ٣٦ ساعة من بدء الهجوم، عقدت الحكومة الاسرائيلية جلسة سرية واتخذت قراراً بضرب الجمهورية العربية المتحدة (مصر) وقد صرح دايان بعدهما للتغطية «ان دور العسكريين لم يأتِ بعد، وانه سينتظر نتائج العمل السياسي عقب انتهاء انعقاد مجلس الأمن الدولي».

وهكذا ظهر ان العدو الاسرائيلي كان يحضّر الحرب بجدية معتمداً الخداع في التصريحات السياسية.

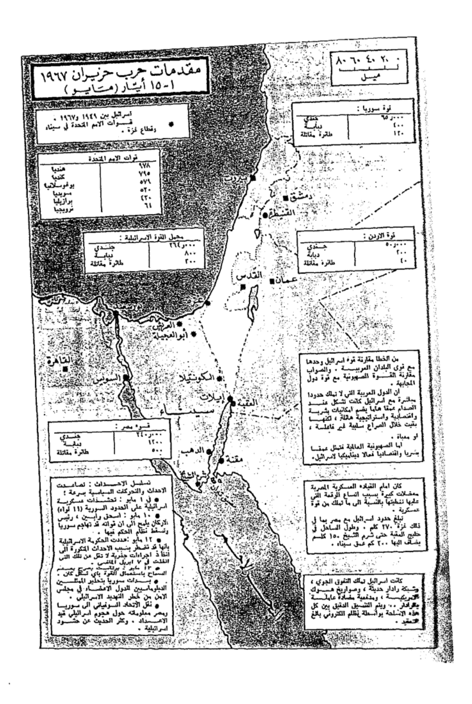
ويبدو ان الملك حسين كان يتوقّع الحرب في أية لحظة، لذلك أمر الطيران الأردني في حماية الأجواء الأردنية اعتباراً من فجر اليوم التالي أي في الخامس من أيار. أما عبد الناصر، فلم يكن متأكّداً من شيء بعد، وكان يأمل أن لا تهاجم اسرائيل لبضعة أيام أخرى. كان يريد أن تتمكّن هيئة

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٢٦.

الأركـان الـمصـريـة والأردنـيـة والسـوريـة والعـراقيـة من تنسيق خطوطها وتحريك قواتـهـا إلـى مراكـز أفضـل حتـى يتمكّنوا جميعاً من القيام بهجمات مشتركة وفي وقت واحد ضد اسرائيل. وهكذا ظهر انه، وفيما كانت نوايا اسرائيل عدوانية وتحضّر للحرب، كان العالم العربي يرغب في عدم وقوعها. لذلك سيتفاجأ العرب من العدوان الاسرائيلي.

مقدّمات حرب حزيران ١٩٦٧

١ - ١٥ أيّار (مايو)



الفصل الثاني

العمليات الجوية على الجبهات العربية (٥ - ٨ حزيران ١٩٦٧)

١ - توطئة

كانت اسرائيل تمتدّ من الشمال إلى الجنوب حوالى ٤٢٠ كيلومتراً، طولاً ولا تزيد في عرضها على ١١٥ كيلومتراً، في أعرض نقاطها، ولكنها تضيق إلى ١٨ كيلومتراً في أضيق نقاطها عند وسطها في ناتانيا، وتتضاءل إلى أقلّ من عشرة كيلومترات في ايلات على الطرف الجنوبي لصحراء النقب. ونظراً لعدم توافر العمق الاستراتيجي الذي يمكّنها من انشاء الخطوط الدفاعية المتتالية ضمن أراضيها، اعتمدت، في قتالها العدواني، على سلاحها الجوي بالدرجة الأولى باعتبار ان هذا السلاح غير مقيّد، وآفاقه مفتوحة، ومجالات العمل فيه واسعة. أما في البر فقد طوّرت الأركان العامة الاستراتيجية الاسرائيلية على أساس قتال معارك هجومية خارج حدودها، وخاصة في سيناء الخالية وضدّ مصر التي تعتبرها اسرائيل عدوّها الأساسي. إلى جانب ذلك اعتمدت اسرائيل خطة الدفاع في مواجهة الأردن وسوريا، ولبنان عند الضرورة، على أن تتوجّه معظم القوات الاسرائيلية بسرعة ضد مصر. فإذا تمّت هزيمة مصر، وإذا سمحت الظروف وواتت الفرصة، فان القوات الاسرائيلية قادرة بعد ذلك على مهاجمة سوريا أو الاردن، كلّ بلد على حدة. فالهدف هو أن لا تكون الحرب في أكثر من جبهة واحدة في وقت واحد وعلى ألاّ تطول الحرب أكثر من خمسة أيام قبل أن تفرض الأمم المتحدة وقف إطلاق النار. ولهذا زوّدت كلّ تشكيلاتها القتالية المتحرّكة

بوقود وإمدادات تكفيها لهذه المدّة، على أن يكون كلّ لواء مستقلاً باحتياطاته ومحققاً الاكتفاء الذاتي، فتتبعه شاحنات إمداداته الخاصة به. ووضعت الخطط ودرّبت قواتها على أن تقاتل باستمرار ليلاً ونهاراً لهذه المدّة، اعتقاداً بأن أحد الأطراف سوف يرهقه مثل هذا القتال الضاري فيضطرّ إلى أن يتوقّف.[1] كلّ هذه التحضيرات تظهر بوضوح ان حرب ١٩٦٧ كانت عدواناً واضحاً على العالم العربي من قبل اسرائيل.

٢ - العمليات الجوية على الجبهة المصرية

٢١ - القوات الجوية المتجابهة:

أ - القوات الجوية الاسرائيلية:[2]

- يبلغ عدد العاملين في السلاح الجوي الاسرائيلي حوالى عشرين ألف شخص. وكانت اسرائيل تملك ٤٥٠ طائرة من مختلف الأنواع بما في ذلك الطائرات المروحية.
- عدد طائرات الخط الأول ٣٥٠ تتوزّع على ١٣ سرباً جوياً، من بينها خمسة أسراب اعتراض، وخمسة أسراب قاذفات مقاتلة، وسربان للنقل الجوي وسربان طائرات مروحية.
- أكثر طائرات اسرائيل كانت تعمل في مدى لا يزيد على ٦٥٠ كيلومتراً أو أقل، وهو مدى يقصر عن الوصول إلى أجزاء كبيرة من مصر والعراق والسعودية.
- أما أنواع الطائرات فيمكن تحديدها كما يلي:

* ٢٠ سوبر مستير، ٤٨ اوريغون، ٤٠ ميستير آي. ف. أ، ٦٠ فوغاماجستير، ٢٥ فاتور ٢ أس، ٧٣ ميراج ٣ ج س، ٢٠ نور أطلس للنقل الجوي، ٢٥ طائرة مروحية منها ٣ سوبر فريلون والعدد الباقي من نوع سيكورسكي يو هـ ٣٤ س والويت ٣ فرنسية الصنع. ويوجد

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٣٤.
- الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٠ - ٤١.
(٢) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٣٥.

٢٠ طائرة فرنسية مستعارة من فرنسا لم تحسب من العدد.

ب - القوات الجوية المصرية:[١]

كان سلاح الجو المصري سوفياتي الصنع، كلّه تقريباً، وكان جزء كبير منه حديثاً وجديداً. ويعمل في هذا السلاح حوالى ٢٠ ألف رجل وتمتلك مصر حوالى ٤٥٠ طائرة على الشكل التالي:

- ١٢ ميغ ٢١ س - ٨٠ ميغ ١٩ س - ١٨٠ ميغ ١٧ س وميغ ١٥ س - ٢٠ س. يو ٧٠ س - ٣٠ ت يو ١٦ س - ٤٠ اليوشن ٢٨ س. وكان هناك حوالى ٩٠ طائرة نقل، تتضمّن: ٦٠ اليوشن ١٤ س - ٢٥ انطونوف ١٢ س - و٦٠ مروحية. كذلك كانت هناك حوالى ١٢٠ طائرة تدريب، كان بالإمكان تسليح عدد منها واستعماله في المعركة. ويقدّر ان ٦٠ من هذه الطائرات كانت في اليمن عند نشوب القتال ويجب ألاّ تحسب من مجموع عدد الطائرات العاملة.
- مجموعة الميغ هي تطوير للميغ ١٥ الأصلية النفاثة ذات المقعد الواحد والمزوّدة بمدفعين من عيار ٢٣ ملم.
- كانت قوات الطيران المصري تعمل من ٢٥ مطاراً، معظمها حول القاهرة، وفي منطقة الدلتا، والبقية موزّعة في شمال سيناء، وفي أجزاء أخرى من شمال وغرب مصر.
- كان يحمي القاهرة (العاصمة) والدلتا نظام رادار للانذار وتمتد أجهزته إلى داخل سيناء.
- معظم طائرات الاعتراض كانت مهمتها حماية المدن والمطارات وتوجيه القاذفات الاستراتيجية للردّ داخل اسرائيل وإذا ما قامت الحرب.
- كان المفهوم الاستراتيجي الرئيسي هو اشغال وتدمير المطارات الاسرائيلية وحماية المطارات المصرية.
- كانت مصر تمتلك حوالى ١٥٠ صاروخاً من طراز سام، ضد الطائرات، موزّعة على ١٨ موقعاً لحماية المطارات الرئيسية التي تقع على مدى الطائرات الاسرائيلية.

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٤٩.

وهي تخضع لقيادة سوفياتية. والصاروخ يبلغ مداه حوالى ٤٥ كيلومتراً.

- لم يكن الطيران المصري معدّاً للقيام بدور المساندة للقوات الأرضية ليلاً.
- كانت مصر تعاني من نقص كبير في عدد الطيارين بسبب توسّعها المفاجىء في بناء القوات الجوية. وكان هناك ٥٠٠ طيار متدرّب وهو عدد لا يكفي. ويقول الاسرائيليون ان المصريين لم يكن لديهم مستوى ٣٥٠ طياراً فقط، كما ان مستوى التدريب كان متدنّياً جداً، والطيار المصري لا يمتلك الروح العدوانية الضرورية للقتال الجوي الناجح. ولكن نحن نقول ان هذه الآراء لا يمكن الأخذ بها، خاصة وان الطيارين المصريين لم يأخذوا الفرصة ليثبتوا أنفسهم في المعركة، رغم أن تدريبهم كان متفوّقاً لكن بدء اسرائيل بالعدوان مكّنها من استعمال سلاحها الجوي بفعالية كبيرة.
- وجدير بالملاحظة القدرة الكبيرة التي كان يتمتع بها المصريون لنقل أعداد كبيرة من المظليين إلى مراكز متقدّمة وامدادهم عن طريق الجو. وكان يعتقد بان القوات الجوية كانت قادرة على نقل ثلاث آلاف مظلي في رحلة جوية واحدة، وبنقل أربع آلاف آخر بعد قليل، وستماية طن من المواد.

٢٢ - تدمير سلاح الجو المصري (٥ حزيران ١٩٦٧):

أ - الهجوم الجوي الاسرائيلي - الضربة الأولى:

تمّ اختيار الوقت، للقيام بضربة جوية كبيرة ضد سلاح الجو المصري في الساعة ٧,٤٥، أي الساعة ٨,٤٥، حسب التوقيت المصري المحلي. لقد كان أمام اسرائيل ٤ ساعات فقط تستطيع خلالها تدمير وتحييد سلاح الجو المصري كي تستطيع بعدها العودة لمواجهة الأسلحة الجوية لكلّ من الأردن وسوريا والعراق وباقي الدول العربية التي أظهرت إرادتها بمساعدة ومساندة مصر.(١)

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٣.

- اوبالانس مرجع سابق، ص ٥٦.

- Hussein De Jordanie, Ma Guerre avec Israël, Ed. Albin Michel, Paris, 1968, p 74.

هذا التوقيت اختاره الاسرائيليون بدقّة متناهية يكون خلاله المصريون في أقل حالات الاستعداد والحذر. فطيارو الميغ يكونون في طائراتهم المستعدّة للتحليق في أية لحظة أو هم يحلّقون بالفعل على ارتفاع عال للانقضاض ضد أي طائرة عدوّة متسلّلة، قد عادوا إلى قواعدهم، بعيداً عن طائراتهم... انه عنصر المفاجأة. الجميع اما في البار لاحتساء القهوة وغيرها واما في مطعم القاعدة الجوية يتناولون افطارهم الصباحي. والاسرائيليون يعلمون انه في مثل هذه الساعة يكون الضباب كثيفاً ولا ينقشع إلاّ اعتباراً من الساعة ٨,٤٥. لقد كانت الأجواء في الساعة التاسعة صافية تماماً.(١)

وتحت غطاء مظلة جوية عالية مولّفة من ٤٠ طائرة ميراج وميستير وفوتور، قامت الموجة الأولى، ومعظمها ميستير، في تشكيلات صغيرة، من ٤ طائرات تعمل في ازواج منفصلة، بضرب ٩ مطارات مصرية. والطائرات الاسرائيلية انطلقت من اللد، وبئر السبع، وكفر سركين، وتل نوف، ومجدو ورامات داقيد، ومن الاوتوسترادات بين مستعمرات الساحل، واتجهت نحو الغرب على ارتفاعات منخفضة واجتازت ٢٣ شبكة رادار للمراقبة المصرية، وراحت تحوم فوق مناطق دلتا النيل وغرب القاهرة، وجنوب مصر، لتضرب عشر قواعد جوية في وقت واحد وهي:(١)

- انشاص، العريش، جبل لبنى وبير ثمادا، بير جفجافة، أبو صوير، كبريت، فايد، بني صوير غرب القاهرة.(٢) وكان مطار بني سويف في منطقة الدلتا، على بعد ٨٠ كيلومتراً جنوب القاهرة على ضفة النيل هو أول مطار مصري تعرّض للهجوم الاسرائيلي في الساعة ٨,١٥. وقد صرّح المسؤولون الاسرائيليون انه لم يعترض طائراتهم في

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٣.

- اوبالانس مرجع سابق، ص ٥٦.

- Hussein De Jordanie, Ma Guerre avec Israël, Ed, Albin Michel, Paris, 1968, p 74.

(٢) أنظر الخارطة رقم ٨.

الموجة الأولى سوى سرب من أربع طائرات تدريب مصرية غير مسلّحة. لقد تمكّنت الطائرات الاسرائيلية من الوصول إلى أهدافها دون أية عوائق تذكر، وألقت قنابلها (وزن ٥٠٠ كلغ) على مدارج المطارات كما ألقت نوعاً من القنابل خاصاً بالمدارج فرنسي الصنع، ونوعاً آخر ذا انفجار متأخّر ينفجر بتأخير بضع دقائق.[1] ويقول المصريون ان الطائرات اليهودية لم تصب أهدافها على الإطلاق. وعلى أي حال فانطلاق الطائرات الاسرائيلية من مطارات مختلفة وفي أوقات مختلفة قد أثبت دقّة جيّدة في التنظيم والتوقيت. عند الانقضاض كانت الطائرات تطلق نيران مدافعها على الطائرات الموجودة في المهابط أو الحظائر. وتبقى فوق الهدف لمدّة عشر دقائق، ثم تنسحب لتأتي بعدها موجة جديدة.[2]

بعد الموجة الأولى بفترة قصيرة جاءت الموجة الثانية من الطائرات لتقذف المطارات التالية:

– الماظه، الاقصر، المنصورة، حلوان، المنيا، كفر سوار، القاهرة الدولي، راس بناس، الجميل، الشط، راس سدر، أبو رويس الظر، وراس ام السد في غرب سيناء.

كانت الموجات الطائرة، تتوالى بمعدّل موجة كلّ عشرة دقائق. وكان كلّ سرب مولّفاً من ٤ طائرات يأتي مرّة واحدة على كلّ هدف. وقد استمرّ الهجوم الاسرائيلي الجوي ساعتين وخمسين دقيقة.

تصدّت بطارية المقاومة الجوية من نوع سام ٢ وغيرها من المضادات، للطائرات الاسرائيلية، ولكن من غير جدوى، وكانت فعاليتها محدودة لأن الطائرات المعادية حلّقت على علو منخفض يبلغ خمسين متراً في المتوسّط لتتجنّب شبكات الرادار وتتفادى الارتفاع اللازم لبطاريات الصواريخ وكي لا تخرج الطائرات المغيرة عن خطها وهي في طيرانها المنخفض فوق سطح البحر.

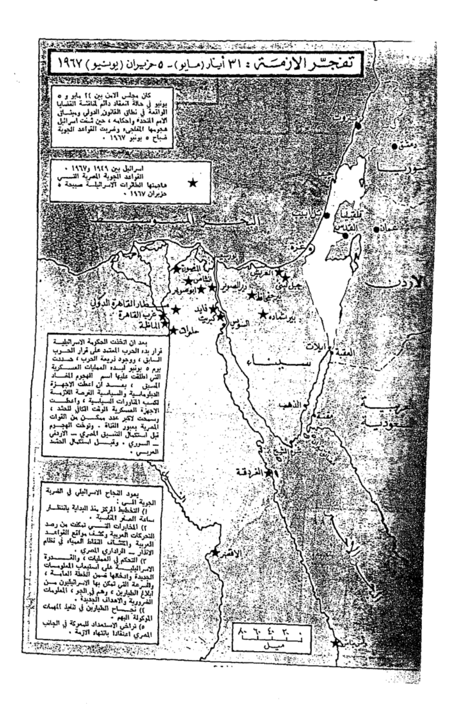
لقد فوجىء رجال المدفعية المصرية المضادة بالهجوم الاسرائيلي المفاجىء،

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢) اوبالانس مرجع سابق، ص ٥٨.

الخارطة رقم ٨

تفجّر الأزمة: ٣١ أيّار (مايو) - ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧



ولكن معظمهم استطاع أن يتمالك نفسه بسرعة ويتصدّى للهجمات التالية. وقد أسقطت الطائرات المعادية أربع طائرات مصرية للتدريب. ولم تستطع سوى مجموعتين من طائرات الميغ ٢١، كلّ مجموعة من أربع طائرات، ان تتدخّل وتسقط طائرتي ميراج قبل أن تتعرّض هي نفسها للإصابة. ويقول المصريون ان سبعة من الطيارين المصريين قاموا بطائراتهم وهم يردّون بالنار ضد الاسرائيليين قبل أن يصلوا إلى علو ٦٠ قدماً. ويزعم اليهود انه تمّ تدمير ثماني مجموعات من طائرات الميغ وهي تستعدّ للاقلاع. كانت الطائرات العدوّة تأتي بموجات متتابعة، وكلّ موجة تتألّف من ٤٠ طائرة والموجة تتبع الأخرى كلّ عشر دقائق، وتصل الموجة الثانية منطقة الهدف في الوقت الذي تعود فيه الموجة الأولى، والثالثة في طريقها والرابعة تكون في طريقها للانطلاق، أما الخامسة فتكون على أرض المطار تنتظر الأمر بالانطلاق.(١)

لن تحتفظ اسرائيل لحماية أجوائها إلاّ باثنتي عشرة طائرة، ثمان منها أمّنت مظلّة جوية دائمة، وأربع للطوارىء رابضة على الأرض ومتأهّبة للتدخّل فوراً.(٢) ان عملية الاقلاع والقصف والعودة لكلّ موجة لم تستغرق أكثر من ٥٠ دقيقة موزّعة كما يلي:

- ٢٢ دقيقة ونصف للانطلاق نحو الهدف.
- ٧ دقائق ونصف للتحليق فوق الهدف والقصف.
- ٢٠ دقيقة للعودة إلى القاعدة الجوية التي انطلقت منها.

ب - إخفاء تدمير المطارات والطائرات عن رئيس جمهورية مصر:

يقول الملك حسين، ملك الأردن انه في الساعة التاسعة في الخامس من حزيران اتصل بالمشير عبد الحكيم عامر في القيادة العامة المصرية فأكّد له الهجوم الاسرائيلي. ثم أرسل المشير برقية إلى اللواء عبد المنعم

---

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٢) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٥.

رياض المكلّف من قبل عبد الناصر بإدارة العمليات على الجبهة الاردنية، محتواها ما يلي:(١)

١ - ابتدأت طائرات اسرائيلية بقصف القواعد الجوية للجمهورية العربية المتحدة. وقد تمكنا من إسقاط حوالى ٧٥٪ من الطائرات العدوّة المغيرة.

٢ - تقوم الطائرات الحربية المصرية بالهجوم المضاد وهي الآن في الأجواء الاسرائيلية. في سيناء، ابتدأت القوات البرية المصرية الهجوم البرّي ضد القوات العدوّة.

٣ - لقد أعطينا الأمر إلى قائد الجبهة الاردنية بفتح جبهة جديدة وإطلاق العمليات الهجومية كما تنص الخطة الموضوعة في الأمس.

بالرغم من المبالغة في الاعلان عن إسقاط ٧٥٪ من الطائرات الاسرائيلية، لم يجرؤ ضابط واحد على إبلاغ الرئيس عبد الناصر حقيقة ما حصل. وقد صرّح بذلك الرئيس نفسه لأحد الدبلوماسيين بقوله:(٢)

«لم أتبلّغ نبأ تدمير قواتنا الجوية إلاّ بعد ظهر يوم الاثنين في الخامس من حزيران. لم يكن يجرؤ لواء على مقابلتي وإبلاغي الحقيقة. وحين كنت عاكفاً على الخرائط أدرس خطط الصمود في مواقعنا الدفاعية، لعلمي ان قواتنا في ضيق، وارسم دوراً للطيران في الخطة، جاءني أحدهم حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وقال لي: لم يعد لدينا طائرات...».

ج - نتيجة الضربة الجوية الأولى:

حققت اسرائيل انتصاراً جوياً كاملاً بعد ساعات معدودات من بدء الهجوم، وأصبحت في موقف مكّنها من السيطرة على أجواء المعركة وميادين القتال كافة. وقد كانت هذه السيطرة الجوية السبب الرئيسي في انتصارات اسرائيل في الجبهات الثلاث: سيناء والاردن وسوريا.

استطاع الطيران الاسرائيلي تعطيل ١٧ مطاراً مصرياً رئيسياً وتدمير ٣٠٠ طائرة

(١) Houssein, op. cit., p 74.

(٢) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٥.

- اوبالانس، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٦٣.

حربية، بما في ذلك كلّ طائرات T u 16، الثلاثين التي ضُربت وهي على الأرض في مطاري بني سويف والاقصر، أي ما يعادل ٦٧٪ من الطائرات المصرية. ويقول الاسرائيليون انهم قتلوا حوالى مئة طيار مصري وخسروا عشر طائرات حربية فقط، كما انهم هاجموا بحوالى ٢٤٠ طائرة فقط. أما المصريون فيقولون انهم أسقطوا ١٩ طائرة عدوّة بنيران مدفعيتهم المضادة للجويات وطائرات الميغ.

لقد تمكّن الاسرائيليون من تدمير مدارج المطارات ومحطات الرادار، فأصبحت طائرات الميغ المصرية الباقية في وضع حرج لفقدانها مراكز التوجيه ولعجزها عن تمييز الطائرات العدوّة، مما حدا بقائد سلاح الجو المصري (محمد صدقي محمود) إلى سحب طائراته من المعركة قبل أن يفقدها بلا مقابل.(١)

لقد أطلق المصريون عدداً من صواريخ سام ضد الطائرات الاسرائيلية المهاجمة، ولكنها لم تصب أهدافها بسبب بطء تسارعها ولأنها معدّة بالدرجة الأولى والرئيسية لمقاومة الطائرات على علو متوسّط وكبير. مع العلم ان المصريين كانوا قد وضعوا دمى طائرات في مطار أبو صوير وقد ضربها اليهود دون أن يعلموا انها دمى طائرات.(٢)

لقد أصبح لدى مصر عدد من الطيارين يزيد عن عدد الطائرات فكان هناك حوالى ٤٠٠ طيار نجوا من الموت، بعضهم جرحى، لقيادة ١٥٠ طائرة. وكان هناك عامل آخر ساعد على نجاح الهجوم المعادي وهو السلبية التي استولت على تسعة مطارات مصرية لم تتعرّض للهجوم إلاّ بعد ساعة ونصف من بداية العملية الاسرائيلية، وذلك رغم وجود عدد من طائرات الاعتراض في تلك المطارات. لقد اضطرت طائرة المشير عامر ومعه الفريق صدقي قائد سلاح الطيران المصري وعدداً آخر من كبار ضباط القوات الجوية أن تبقى في الجو لمدّة ساعة ونصف قبل أن تتمكّن من الهبوط في مطار القاهرة

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٦.
- اوبالانس، مرجع سابق، ص ٦٠.
(٢) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٦١.

الدولي. لقد بقي سلاح الجو المصري ونظام الدفاع الجوي في حالة من الشلل المطلق وبدون أية أوامر إلاّ بعد فوات الأوان. وعاد سوء الحظ المصري هذا والذي لم يكن في حساب اليهود بأعظم الفائدة عليهم.(١)

لقد قام سلاح الطيران الاسرائيلي بدور مهم في تحطيم نفسية القوات المصرية والسكان وإضعاف معنوياتهم، إذ كانت الطائرات المروحية تحلّق فوق رؤوسهم وتخاطبهم بمكبّرات الصوت «ان القوا أسلحتكم وانجوا بأنفسكم، فنحن لا نريد إذاءكم، بل نريد تدمير العتاد السوفياتي». وبالرغم من هذه الخسارة الفادحة بالطائرات والمطارات، فقد تمكّن المصريون خلال هذه الحملة العدوّة الشرسة من القيام بعدّة طلعات جوية انتحارية كالآتي:(٢)

- ٣٢ طلعة عمليات في اليوم الأول.
- ٤٩ طلعة عمليات في اليوم الثاني.
- ٣٠ طلعة عمليات في اليوم الثالث.
- ٢٢ طلعة عمليات في اليوم الرابع.
- ٢ طلعتا عمليات في اليوم الخامس بعد توقف إطلاق النار تقيّداً بقرار مجلس الأمن.

٣ – العمليات الجوية على الجبهة الأردنية

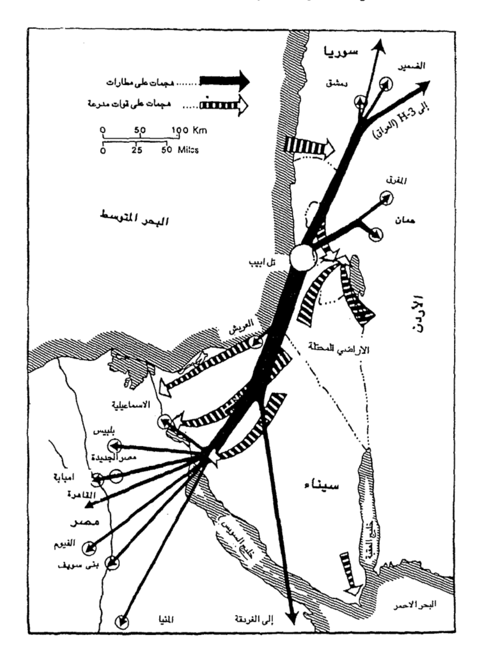
٣١ - الوضع الأردني العام:

بعد البرقية التي تلقاها الجنرال عبد المنعم رياض، في الأردن، من المشير عامر قائد الجيش المصري وأفاد الملك حسين بمحتواها، وقد أوردناها سابقاً. في هذا الوقت بالضبط سجّلت شاشات الرادار الاردنية في جبل عجلون عدداً كبيراً من الطائرات متجهة من مصر إلى اسرائيل والتي كانت في الواقع هي الطائرات الاسرائيلية العائدة إلى قواعدها. وقد وافق الملك حسين ان يصدر اللواء رياض أوامره ببدء العمليات ضد اسرائيل

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٦٢.
- أنظر الخارطة رقم ٩ و١٠.
(٢) الاحدب، مرجع سابق، ص ٤٩.

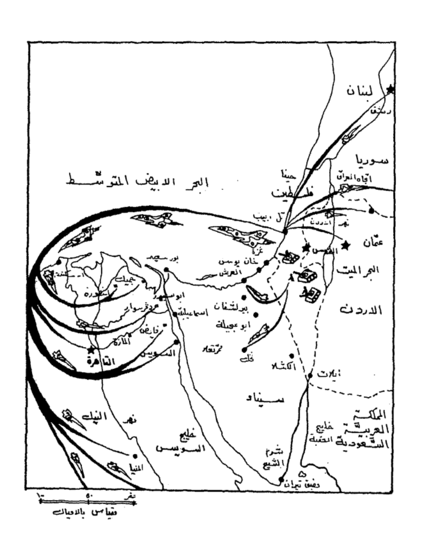
الخارطة رقم ٩

الضربات الجوية الاسرائيلية، ٥ - ١٠ حزيران ١٩٦٧



الخارطة رقم ١٠[1]

الضربات الجوية



(١) الاحدب مرجع سابق، ص ٦٧.

وبالتعاون مع العراق وسوريا، ثم أعطى أوامره للمدفعية باحتلال خطوط النار الأمامية. بعدها تلقّت كتيبة مشاة من لواء الامام علي، أمراً باحتلال جبل سكوبوس في القدس. وهذا الجبل يقع في البقعة المنزوعة السلاح في القدس حيث قد ركّز فيه الجنرال النروجي «اودبول»، رئيس أركان قوات الأمم المتحدة، قيادته.[1]

أعطى اللواء عبد المنعم رياض الضوء الاخضر لطائرات الهوكر هانتر الاردنية لتنفيذ مهمة قصف القواعد الجوية الاسرائيلية، بالتنسيق مع القوات الجوية العراقية والسورية، بهدف شل فعالية الطيران المعادي.[1] مع العلم بأنه لم يكن لدى الأردن سوى ١٦ طياراً لـ٢٢ طائرة من هذا النوع الانكليزي.

ومما لا شك فيه ان حرب حزيران فاجأت الاردن وهو منهمك في تنظيم سلاحه الجوي على أساس خطة الدفاع المشترك. كان من المقرّر أن يتسلّم الأردن من الولايات المتحدة ٣٦ طائرة من طراز «ستارفايز - ف - ١٤٠» ولكن لم يتم التسليم لظروف خاصة.

كانت الطائرات الأردنية على أهبة الاقلاع للقيام بمهمتها متعاونة مع الطيران العراقي السوري، لأنه بدون مساندة ومساعدة طائرات الميغ ٢١، لا يمكن أن يسفر قصف القواعد الجوية العدوّة عن نتيجة مهمة.

٣٢ - غارات الطيران العربي على اسرائيل:

أ - سلاح الطيران العراقي:

يبلغ عدد العاملين في سلاح الطيران العراقي عشرة آلاف رجل ولديه حوالى ٢٢٠ طائرة، نصفها سوفياتي الصنع ونصفها الآخر بريطاني ويشتمل على ٦٠ ميغ ١٢س - ١٥ ميغ ١٧ س - ١٥ ميغ ١٥ س - ٦ تي يو ١٦ س - ١٠ اليوشن ٢٨٠ س - ولديه كذلك ٥٠ طائرة هوكر هنتر البريطانية و٢٠ طائرة بروفوست للتدريب، وحوالى ٢٦ طائرة

(١) الاحدب مرجع سابق، ص ٤٩.

.Hussein, op. cit., p 74 - 75 –



الملك حسين وإلى يمينه الجنرال علي عامر، قائد القوات العربية الموحّدة، وإلى يساره الجنرال عباس المجالي القائد الأعلى للجيش الأردني



عشية حرب ١٩٦٧، الملك حسين يقوم بزيارة الألوية في وادي الأردن. إلى يمينه الشريف زيد بن شاكر قائد اللواء المدرّع ٦٠. وإلى يساره خاله الشريف ناصر بن جميل، مساعد الجنرال حابس المجالي القائد الأعلى للجيش الأردني

أثناء الحرب ١٩٦٧، الملك حسين في غرفة العمليات الأردنية. إلى يمينه الجنرال عامر خماش ووراءه باللباس المدني أمين سرّه الخاص ورئيس التشريفات في القصر الملكي السيد زيد الرفاعي



ويسكس المروحية البريطانية و٤٠ طائرة أخرى بريطانية وسوفياتية للنقل. ولدى العراق العدد اللازم من الطيارين لاستعمال طائراته. ولدى العراق قوّة قاذفات استراتيجية صغيرة، وتقوم استراتيجيتها على الاشتراك مع بقية قوات الطيران العربية للإغارة ضد اسرائيل متى نشبت الحرب، والاحتفاظ بطائراتها المقاتلة والاعتراضية لحماية مدنها وطائراتها.

ب - الغارات الأردنية والعراقية:

في الساعة ١١,٠٠ لم يعد بالامكان الانتظار، فأقلعت الطائرات العراقية من قاعدتها لتنضم إلى الطائرات الاردنية، وتساهم في عملية مشتركة فقصفت القواعد الجوية في «ناتانيا» ثلاث مرات متتالية ودمّرت ٤ طائرات اسرائيلية وهي جاثمة على أرض القاعدة الجوية. وعاد جميع الطيارين سالمين الساعة ١١,٣٠ للتزوّد بالوقود. وقد تولّت الطائرات العراقية مطار اللد وتمكّنت في يومين، من القيام بحوالى ٥٠ طلعة جوية على تل أبيب وناتانيا ومطارات العدو في النقب. وباعتراف اسرائيل نفسها لم يفقد الطيران العراقي، خلال هذه الغارات، سوى طائرة واحدة.[١]

ويقول الملك حسين نفسه «ان أحد المراقبين لدولة صديقة وكان موجوداً مع الملك في مركز العمليات، نصحه سرّاً بجمع كلّ العتاد الجوي الذي لا يمكنهم استعماله ونقله إلى خارج الأردن، خوفاً من غارة جوية اسرائيلية محتملة جداً بين لحظة وأخرى». وهذا العتاد الذي الح إليه هذا المراقب كان موزّعاً كالآتي:[٢]

- طائرة نقل مدنية عدد ٢.
- مروحية انكليزية عدد ٢ (واحدة سكوت وواحدة س ٥٥) 1 scout et 1 S. 55.

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٥٠ - ٥١.
- اوبالانس، مرجع سابق، ص ٦٣.
- Hussein, op. cit., p 77.

(٢) Hussein, op. cit., p 78.

- طائرة سيسنا مزدوجة المقعد، أميركية الصنع، تستعمل للتدريب.
- طائرة د. س. ٣.
- طائرة شيبمنك انكليزية للتدريب عدد ٣.
- طائرة نقل «هيرون» انكليزية عدد ١.
- مروحية فرنسية من نوع ألوات ٣ (Alouette 3) عدد ٢ (بقيتا سليمتان من التدمير بفضل شجاعة طياريهما).

كان الاسرائيليون يأملون في ان لا يخوض الأردن الحرب، فقد نصح رئيس وزراء العدو أشكول، الملك حسين، بواسطة الجنرال النروجي قائد قوات الأمم المتحدة هناك قائلاً: «إذا لم يتدخّل الأردن بالعمليات الحربية الجارية حالياً ضد مصر، فلن يصيبه شيء». ولكن هذا الهجوم وبعض التحرّكات الأرضية الهجومية في منطقة القدس دلّ على عكس ذلك.(١)

ج - الغارات السورية:

سلاح الطيران السوري:

يبلغ عدد العاملين في سلاح الطيران السوري ٩ آلاف رجل ولديه ١٢٠ طائرة سوفياتية، بينها عشرون ميغ ٢١، و٢٠ ميغ ١٩، و٦٠ ميغ ١٧ و٦ اليوشن ٢٨، وطائرات أخرى للمواصلات والتدريب وبعض طائرات مروحية. واتبعت التكتيكات والتقنية السوفياتية في تدريب الطيارين والاطقم الارضية. وكانت الاستراتيجية السورية في حالة الحرب مع اسرائيل هي اشتراك قاذفاتها مع بقية قوات الطيران العربية تضرب أهداف داخل اسرائيل والاحتفاظ بطائراتها المقاتلة لأغراض الدفاع الداخلي. وكان يجري بناء بعض قواعد لصواريخ سام ٢، غير انها لم تكن قد تمّت وتهيّأت للعمل عند بدء القتال.

بعد ظهر يوم الخامس من حزيران قامت ١٢ طائرة سورية من طراز ميغ ٢١ بالتحليق فوق شمال اسرائيل وقصفت مطار مجدو،

(١) Hussein, op. cit., p 79.
- الاحدب مرجع سابق، ص ٤٥.

في المنطقة الشمالية، كما قصفت حيفا وأشعلت النار في مصفاة البترول الضخمة فيها. وفي طريق عودتها استشهد أحد الطيارين السوريين فوق حيفا التي خيّم عليها الظلام فيما كانت السنة اللهب تتصاعد إلى الفضاء لتضيء المدينة.

٣٣ - غارات الطيران الاسرائيلي على الأردن وسوريا والعراق:(١)

كانت الطائرات الاسرائيلية تأخذ قسطاً من الراحة وتتزوّد بالوقود في الساعة ١٠,٣٠ وكانت على استعداد عندئذ لاستئناف العمليات. في هذه الأثناء عادت الطائرات الأردنية سالمة إلى قواعدها بعد ضربها ناتانيا، فحط السرب الأول ولحق به السرب الثاني، وانهمك الطيارون بملء خزانات طائراتهم بالوقود والتموين بالذخيرة. كانت الساعة ١٢,١٥ عندما بدأت مجموعتان من طائرات الميراج الاسرائيلية كلّ مجموعة مولّفة من ٤ طائرات، بالهجوم على المطارين الأردنيين الرئيسيين في «المفرق وعمان» وإطلاق نيران الرشاشات الثقيلة على الطائرات الاردنية، التي كانت تتزوّد بالوقود، وعلى بقية الطائرات التي تصادف وجودها في المهابط حين ذاك. ثم قامت بعدّة هجمات انقضاض قبل أن تعود وتلقي بالقنابل على المهابط، بما في ذلك القنابل الخارقة للاسمنت المسلّح. وقامت ٤ طائرات ميستير أخرى بمهاجمة محطة الرادار في جبل عجلون ودمّرته جزئياً. وهكذا فقد الأردن جميع طائراته الحربية. إلى جانب ذلك أطلقت الطائرات الاسرائيلية نيران رشاشاتها على بعض السيارات الاردنية كما ان طائرتين عدوّتين اتجهتا نحو الجبل الذي يقوم عليه القصر الملكي - (قصر بسمان) المقر المعتاد للملك حسين في عمان، ودارتا دورة واحدة حول القصر، ثمّ عادت لتلقي عليه القنابل وتقصفه بالرشاشات، فردّت عليها مدافع القصر

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٥١.
- اوبالانس مرجع سابق، ص ٦٤ - ٦٥.

المضادة للطائرات، فأصابت احداهما في جناحها الأيمن فاشتعلت النار فيه، فابتعدت متجهة نحو الشمال حيث سقطت على مقربة من عمان. أما الطائرة الأخرى فقد انقضّت على القصر، وأطلقت صاروخها الأول فانفجر على الجدار واتبعته بصاروخ ثانٍ دخل قاعة اجتماعات القصر. ثمّ دارت دورة صغيرة وعادت نحو القصر لتوجّه نار رشاشاتها بدقّة من مسافة قريبة إلى مكتب الملك، مما يدل على معرفة تامة بالمكان وتفرّعاته. وقد ثقب رصاص الرشاشات فجوات في الجدار القائم وراء مكتب الملك، ومزّق المقعد الذي يجلس عليه الملك الذي لم يكن هناك.

في الوقت نفسه الذي هاجم فيه الاسرائيليون المطارات الأردنية الساعة ١٢,١٥، هاجموا أيضاً أربعة أهداف في سوريا وهي المطارات الرئيسية فيها. وقام بالهجوم أربع تشكيلات من طائرات الميستير، كلّ تشكيل مؤلّف من ٤ طائرات، واستمرّوا في التحليق فوق الأهداف السورية لمدّة عشرين دقيقة، استطاعوا خلالها تدمير عدد من الطائرات على الأرض وتعطيل بعض المهابط.

وهكذا دمّر الاسرائيليون سلاح الطيران الاردني كاملاً فوضعت القيادة الاردنية طياريها الاربعة عشر بتصرّف سلاح الطيران العراقي مع العناصر الفنية وكان ذلك قبل انتهاء المعركة.

فور وصول هؤلاء إلى القاعدة العراقية (H3) وضعت القيادة بتصرّفهم طائرات من طراز هوكر هنتر، فتمكّن ٣ طيارين من إسقاط ٩ طائرات اسرائيلية (٣ ميراج و٦ ميستير) خلال هجوم جوي اسرائيلي على القاعدة (H3)، على الرغم من افتقارهم إلى رادار ينذرهم ويرشدهم. وفي ٧ حزيران، هاجمت ٦ طائرات اسرائيلية مرة أخرى قاعدة (H3)، فأسقط الأردنيون ٤ منها وقُتل طياران عدوان.(١)

(١) الاحدب مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٤.

٤ - نتائج الضربات الجوية على الجبهات العربية

٤١ - الوضع العام بعد الضربة الجوية المفاجأة:

نجح الهجوم الجوي المفاجىء الاسرائيلي، فسلاح الجو الأردني تعرّض للتدمير، والسلاح الجوي المصري أخرج من المعركة خلال هذه الفترة والطيران السوري أخذته المفاجأة. وقد كان الهجوم محتملاً جداً ولكن ليس بهذه الحدّة والقوّة. ويقال ان أعضاء الكنيست الاسرائيلي فوجئوا بما حدث، وكذلك الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي لم يعلم بهذه الكارثة إلاّ بعد الظهر ومع ذلك لم يلجأ إلى الأمم المتحدة ليطلب تدخّلها ووقف إطلاق النار الفوري.

لقد تعمّد الاسرائيليون تضليل الاعلام أولاً، لخوفهم، كما يقال، من ردّة الفعل السوفياتية عندما يعلم هؤلاء حجم العتاد، وعدد الطائرات السوفياتية الصنع التي تمّ تدميرها في هذا الوقت القصير، وثانياً، السماح للعرب بتصديق بلاغاتهم غير الصحيحة وليبقوا أسرى التفاؤل، خاصة وان المصريين ضلّلوا الرأي العام العربي عندما أعلنوا للملك حسين وفي الإذاعة المصرية على تدمير حوالى ٧٥٪ من الطائرات العدوّة التي هاجمتهم، كما وان طائراتهم هي في الأجواء الاسرائيلية للانقضاض على مطارات اسرائيل وعتادها ومعدّاتها. لقد تعمّدت اسرائيل ولمصلحتها هي، ان لا تبدّد الضباب الذي يحيط بالهجوم الجوي مبكراً بل من الأفضل إبقاء الجانب الآخر في حالة من الفوضى والتعمية.

لقد تحقق النجاح الاسرائيلي بفضل المفاجأة والبدء بالاعتداء فالضربة لمن سبق، وقد دأب الاسرائيليون على الاعتداء على الدول العربية واعتبار ذلك كضربات استباقية. كما ان المخابرات الاسرائيلية نجحت في التضليل وفي استقصاء المعلومات الصحيحة عن أحوال الجيوش العربية وبذلك مكّنت هيئة الاركان الجوية الاسرائيلية ان تعرف بالضبط متى تهاجم وأين تهاجم وكيف تهاجم للوصول إلى تأمين الحصيل الأقصى للوسائل التي بين يديها (Le Rendement Maximum).. فكان هناك عشرون مطاراً مصرياً تقع في مدى

سلاح الجو الاسرائيلي، ولكن تسعة من هذه المطارات، وهي الحيوية والتي في حالة التأهّب الشديد، هي التي اختيرت للضربة الأولى. وكذلك المطارات الثمانية التالية، التي كان طياروها قد قضوا مدّة أطول في حالة من الاستنفار. أما بقية المطارات فلم يلتفتوا إليها.

لقد عمل الفنيون المطاريون المصريون بنشاط وشجاعة في مراكزهم وهم يحاولون إصلاح المهابط المدمّرة، رغم القذائف التي كانت تنفجر باستمرار ونيران الرشاشات اليهودية بين الفينة والفينة. وقد تمكّنوا من إطفاء الحرائق وإنقاذ بعض الطائرات.

وبفضل جهود هؤلاء الأبطال استطاعت عدّة طائرات مصرية أن تنتقل أثناء الليل إلى مطارات أخرى خارج مدى سلاح الجو الاسرائيلي، كما ان الشاحنات استطاعت نقل عدد من الطائرات وقطع الغيار والعتاد الذي أمكن أنقاذه.(١)

٤٢ - الخسائر الجوية:

بلغ عدد الطائرات العربية التي أعلنت اسرائيل انها دمّرتها ٤١٦ طائرة بينها ٣٩٣ فوق المدرجات، وهي موزّعة على النحو التالي:

أ - مصر:

نوع الطائرة	العدد
- توبوليف ١٦	٣٠ قاذفة قنابل
- اليوشن ٢٨	٢٧ قاذفة قنابل
- سوخوي ٧	١٠ مقاتلة
- ميغ ٢١	٩٥ مقاتلة
- ميغ ١٩	٢٠ مقاتلة
- ميغ ١٧ و١٥	٨٢ مقاتلة
- آن ١٢	٨ للنقل
- اليوشن ١٤	٢٤ للنقل
- مي ٤	١ هليوكبتر
- مي ٦	٨ هليوكبتر
- هليوكبتر مختلفة	٤
- **المجموع**	**٣٠٩**

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٢) الاحدب مرجع سابق، ص ٤٧ - ٤٨.

ب - سوريا:

نوع الطائرة	العدد
- اليوشن ٢٨	٢ قاذفة قنابل
- ميغ ٢١	٣٢ مقاتلة
- ميغ ١٧ و١٥	٢٣ مقاتلة
- مي ٤	٣ هليوكبتر
- المجموع	٦٠

الاردن:

- هوكر هنتر	٢١ مقاتلة
- طائرة نقل	٦ مقاتلة
- هليوكبتر	٢ مقاتلة
- المجموع	٢٩

ج - العراق:

- توبوليف ١٦	١ قاذفة قنابل
- ميغ ٢١	٩ مقاتلة
- هوكر هنتر	٥ مقاتلة
- طائرات نقل	٢
- المجموع	١٧

د - لبنان:

- هوكر هنتر	١ مقاتلة

المجموع العام ٤١٦

ملاحظة: ونحن نرى ان في هذه الأرقام مبالغات كبيرة.

٤٣ - النشاطات الجوية خلال الأيام الستة:(١)

لم يقم العرب بأي عمل جوي مهم من اليوم الثاني للقتال حتى نهايته. وقامت مصر بمحاولات محدودة للرد. فبعد ظهر اليوم الثالث هاجمت ٦ طائرات مصرية من طراز ميغ، فرقة الجنرال الاسرائيلي «طال» وهي تقترب من ممر الاسماعيلية وأسقطت طائرة عدوّة. وفي المساء قامت الطائرات المصرية، ميغ، بالاغارة على تشكيلات مدرّعة عدوّة خلال معركة الدبابات من الفرقة المدرّعة المصرية الرابعة للفوز بممر الاسماعيلية. وفي اليوم الرابع هاجمت الطائرات المصرية لفيفاً تكتياً عدواً كان يتقدّم غرباً على الطريق

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ٧١.

الشمالي في سيناء ويقترب من قناة السويس. لقد هاجمته من الصباح حتى المساء. بما يقارب ٣٢ طلعة جوية.

اشتركت الطائرات الاسرائيلية بهذه المعارك وأسقطت للمصريين خلال هذه الفترة حوالى ٢١ طائرة كانت تقاتل في الجو. في اليوم الرابع جرت محاولة مصرية أخرى لمساندة قواتهم وهي تقوم بهجوم مضاد ما بين البحيرات المرة والسويس، وأسقطت خمس طائرات مصرية في هذه العملية. وأطلقت صواريخ سام ٢، داخل مصر، ضد الطائرات الاسرائيلية في اليوم الثاني والثالث.

وما بين ٦ حزيران و٩ منه حدث مزيد من الاشتباكات وصل عددها إلى ٢٦ مع الطائرات المصرية وخسر المصريون ٣٥ طائرة، وثمانية اشتباكات مع طائرات عربية أخرى خسر فيها العرب ٤ طائرات. ويدّعي الاسرائيليون بان المعارك الجوية انتهت بخسارة ٦١ طائرة مصرية و١٦ طائرة عربية أخرى أي ٧٧ طائرة أسقطت وهي في الجو.

ان البدء بالعدوان أمّن للعدو الاسرائيلي المفاجأة، وكان النصر الجوي مفتاحاً للنصر اللاحق على الأرض.

ملحق رقم ١[1]

قوات الطرفين الصاروخية

استعملت كلّ من مصر واسرائيل الصواريخ، ولكن بأنواع وأشكال مختلفة.

الصواريخ المصرية:

كانت مصر تملك الصواريخ التالية:

- صواريخ لم تستعمل في الحرب (لأنها اختبارية وشبه علمية) انتجت منها مصر ثلاثة أصناف:

(القاهر) ومداه ٥٠٠ كلم. أطلق عام ١٩٦٢.

(الظافر) ومداه ٣٥٠ كلم.

(الرائد) وهو نموذج مطوّر من القاهر ذو مرحلتين ومداه ١٥٠٠ كلم.

٢٠ قاعدة لصواريخ (سام ٢) الروسية الصنع

- ٩ في سيناء، سقطت في أيدي القوات الاسرائيلية وهي سالمة وجاهزة للاستعمال.
- ١١ قاعدة في منطقة القاهرة والدلتا.

صاروخ (ستيكس) روسي الصنع

حصلت مصر على أول دفعة من هذه الصواريخ عام ١٩٦٢، وهي تطلق من البحر إلى البحر من زوارق حربية وزنها ١٦٠ طناً (اوسا) ويصل مداها حتى ٤٠ كلم. وقد

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ١٦٥ - ١٦٦.

أظهرت ستيكس فعاليتها أثناء الهجوم الذي شنّته القوات المصرية على المدمّرة (ايلات) في ٢١ تشرين الأول ١٩٦٧، فأصابتها وأغرقتها بعدما قتل من بحارتها حوالى ١٩، وجرح ١٥١ وأفقدت البحرية الاسرائيلية ٢٨ بحاراً.

الصواريخ الاسرائيلية:

لدى اسرائيل ثلاثة أنواع من الصواريخ استعملتها في أثناء حرب حزيران:

صواريخ (مشط الاسمنت المسلح)

- استعملت لتعطيل مدرّجات المطارات العربية:
- طولها ٣ أمتار ونصف (١٢ قدماً)، وزنها (٢٥٠ كلغ) أو (٥٠٠ كلغ).
- تطلق من الطائرة من علو يراوح بين ١٧٠٠ و٢٠٠٠ متر.

القنبلة السرية الشبيهة بالصواريخ (بول أب) أو (القنبلة المغناطيسية)

- توجّه بالتلفزيون.
- تضرب هدف معيّن لا تحيد عنه (مقدمة الطائرة).

صواريخ (مترا)

- تطلق من الطائرة.
- مزوّدة برأس حراري يذيب الحديد.
- تستعمل ضد الدبابات والمصفحات.

ملاحظات:

طريقة عمل الصاروخ (مشط الاسمنت المسلّح)

يندفع أولاً بقوّة قذف الطائرة له، ثم لا يلبث ان يشتغل فيه محرّك يخفّف من سرعته، وفي هذه اللحظة يشتغل في داخله، محرك صاروخي آخر يدفعه نحو هدفه بدقّة، وحال وصوله إلى المدرج (يمشط) الاسمنت فيه، ويفلحه، فيتحوّل إلى خنادق. هذا إذا انفجر لحظة سقوطه. أما إذا كان مؤقتاً، فعندئذ تضبط في داخله ساعات التوقيت فينفجر في ساعة معيّنة.

استعمال (القنبلة المغناطيسية)

لاحظ الخبراء العسكريون المصريون والسوفياتيون ان الطائرات التي كانت جاثمة في المطارات المصرية، ضربت جميعها في مكان واحد، أي في مقدّمتها. وتساءل

المراقبون في حينه عن سرّ توصّل الخبراء العسكريين الاسرائيليين إلى تعيين مقدّمة الطائرات السوفياتية كهدف شبه وحيد لقنابلهم السرية. ولم يجدوا جواباً غير اعتمادهم على طائرة الميغ ٢١ التابعة لسلاح الجو العراقي التي فرّ بها طيارها إلى تل أبيب، وان تكون اسرائيل قد فككت هذه الطائرة وعيّنت بأجهزتها الأهداف التي تقصدها.

الفصل الثالث

العمليات البرية والبحرية (٥ - ٩ حزيران ١٩٦٧)

١ - في جبهة سيناء

١١ - أرض المعركة:

شبه جزيرة مثلثة الشكل، قاعدتها البحر الأبيض المتوسّط، وطرفاها قناة السويس والعقبة. مساحتها ٦٥ ألف كلم مربع. يبلغ عدد سكانها ٣٨ ألف نسمة. مكشوفة بلا أشجار، تنقسم ثلاث قطاعات:

- القطاع الساحلي: الممتد على البحر المتوسّط من العريش إلى بور فؤاد، صالح لعبور الآليات.
- القطاع الأوسط: مؤلّف من صحراء تتخلّلها بعض الأودية، صالحة لعبور الآليات.
- القطاع الجنوبي: مؤلّف من أرض جبلية وعرة المسالك إجمالاً، عميقة الأودية، يبلغ ارتفاعها ٢٦٣٩ متراً عند جبل (سانت كترين).

تخترق منطقة سيناء أربعة محاور صالحة للاستعمال:

- المحور الأول: طريق غزة - العريش - القنطرة.
- المحور الثاني: طريق العوجه - أبو عجيلة - بير جفجافة - الاسماعيلية.
- المحور الثالث: طريق القصيمة - بير حسنة - ميتلا - بور توفيق.
- المحور الرابع: طريق الكونتيلا - نخل - بور توفيق.

١٢ - القوات المتجابهة:

أ - القوات المصرية (٨٠ ألف مقاتل):

(١) - كان الجيش المصري يبدو في حزيران ١٩٦٧، وكأنه أقوى جيش في الشرق الأوسط. وعندما وقعت الحرب كان لدى هذا الجيش، بحسب الأرقام التقريبية حوالى ١١٨٠ دبابة موزعة على ٧ فرق مشاة كما يلي:

- الفرقة الثانية مشاة: (أبو عجيلة - القصيمة).
- الفرقة الثالثة مشاة: (جبل لبني - بير حسنة).
- الفرقة الرابعة مدرّعة: (بير جفجفة - بير الثمادة).
- الفرقة السادسة مشاة: (نخل - الكونتيلا).
- الفرقة السابعة مشاة: (رفح - العريش).
- الفرقة العشرون مشاة: (لواءان فلسطينيان (١٠٧) و(١٠٨) في غزة.
- وحدة مدرّعة بحجم فرقة (الكونتيلا - الميتلا).

ملاحظة: كان لدى مصر ٤٠ ألف جندي يحاربون في جبهة اليمن ولم يشتركوا في حرب ٥ حزيران ١٩٦٧.

(٢) - عدد الأسلحة وأنواعها:

٢٠٠ مدفع ذاتي الاندفاع، ١١٦٠ ناقلة جنود مصفحة وأكثر من ألف مدفع. وكانت تتكوّن قواته المدرّعة من حوالى ٢٢٠ دبابة ت٥٥، ٢٨٠ دبابة ت ٥٤، ٤٥٠ دبابة ت ٣٤، ٦٠ دبابة ستالين، جميعها من طراز سوفييتي، كما كان هنالك حوالي ٩٠ دبابة شيرمان أميركية، ٣٠ دبابة سنتريون بريطانية، ٢٠ دبابة ١.مْ. اكس ١٣ فرنسية. و٣٠ دبابة أخرى، من بينها بعض دبابات سوفييتية من طراز ب ت ٧٦ و س يو ٥٧ «٢». والمدافع الذاتية الاندفاع تشمل مدفع س يو ١٠٠، ج س يو ١٥٢، ا س يو ٥٧، والناقلات المصفحة للجنود تشتمل على ب ت ر ٤٠، ب ت ر ١٥٢، ب ت ر ٥٠ «ب».

ودبابة ت ٣٤ السوفييتية، التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية، ذات حركة جيّدة ووزنها ٣٢ طناً وسرعتها ٣٣ ميلاً في الساعة، ومجال عملها ١٨٠ ميلا. ومدفعها ٨٥ ملم ويصل مداه حوالى ألف

ياردة، ويتمتع بقدرة عالية من النيران، ولكن ينقصه جهاز ميكانيكي جيّد لضبط إطلاق النار. ودبابة ٥٤ وزنها ٣٦ طناً، مدفعها ١٠٠ ملم ومداه ألفا يارد. عليها ثلاثة مدافع رشاشة، ومجالها ١٨٠ ميلاً، وهي دبابة القتال السوفييتية الأساسية، ولو انها لم تكن قد جربت بعد في القتال الفعلي. ودبابة ت ٥٥ هي دبابة ت ٥٤ نفسها مع بعض تحسينات وتعديلات، فدرعها أكثر سمكاً. وبها أجهزة تصويب فوق الأشعة الحمراء وضبط نيران، ومدافع ١٠٠ ملم مثبّتة وسريعة الإطلاق. ودبابة ستالين، التي هي الدبابة السوفييتية الصنع ج س ٣، وزنها ٤٦ طناً. سرعتها ٢٣ م/س فقط وحركتها بطيئة، مدفعها ١٢٢ ملم ومداه ألفا ياردة. ودبابة ب ن ٧٦ السوفييتية استطلاعية برمائية، وزنها ١٤،٦ طن: مدفعها ٧٦ ملم ومداه ١٥٠٠ ياردة، ومجال عملها ٢٢٠ ميلاً. ودبابة س يو ٥٧ «٢» مضادة للطائرات. مزوّدة بمدفعين مضادين للطائرات يداران بالرادار من عيار ٥٧، ملم وسرعة إطلاقها ١٥٠ قذيفة في الدقيقة ومجالها الفعال يبلغ ٢٥٠٠ ياردة. ودبابة س يو ١٠٠، بمدفعها الذاتي الاندفاع من عيار ١٠٠ ملم. وهي «مدمرة للدبابات». وزنها ٣٠ طنا وسرعتها ٣٥ م/س، ومجال عملها ١٨٠ ميلاً. ودبابة ج س يو ١٥٢ تماثلها ومدفعها ١٥٢ ملم. وب ت ر ٤٠ حاملة جنود بأربع عجلات وزنها ٦ طن، بمدفع ٦٢ و٧٠ ملم، ومجال عملها ١٧٠ ميلاً. وب ت ر ١٥٢ حاملة جنود مصفحة بست عجلات، بمدفع ٧،٦٢ ملم، وزنها ٨ طن، ومجال عملها ٢٥٠ ميلا. وب ت ر ٥٠ هي أول حاملة جنود سوفييتية مصفحة بجنازير، مدفعها ١٢،٧ ملم، وزنها حوالى ١٤ طناً، ومجال عملها ٢٠٠ ميل. وبقية العربات وسيارات النقل فهي من طراز سوفييتي كالذي تستخدمه القوات السوفييتية.

وتشمل مدافع الجيش المصري مدافع سوفييتية، منها مدفع ١٣٠ ملم ومداه عشرون ألف ياردة، مدفع ١٢٢ ملم مداه ٨٠٠٠ ياردة، مدفع ١٢٢ ملم ومداه ١٤ ألف ياردة. والمدافع الأرضية المضادة للدبابات من طرازين، أحدهما من عيار ٥٧ ملم، ويشمل مدفعين، مدى أحدهما الف ياردة ومدى الآخر ٢٠٠٠ ياردة، ومدفع ٨٥ ملم مداه ١٢٠٠ ياردة، ومدفع ١٠٠ ملم ومداه

٢٥٠٠ ياردة. وكثير من هذه المدافع كانت تدار بالرادار. وكان المصريون يمتلكون عدداً كبيراً من مدافع الهاون السوفييتية الصنع من عيار ٨٢ ملم، ١٢٠ ملم، ١٦٠ ملم، ومدافع بازوكا المضادة للدبابات من عيار ٨٢ ملم. والأسلحة الصغيرة والألغام فهي نفسها المستعملة في الجيش السوفييتي.

والمدافع المضادة للطائرات تشمل مدفع ٣٧ ملم، يطلق ١٦٠ - ١٨٠ قذيفة في الدقيقة ومداه ٢٠٠٠ ياردة، مدفع ٨٥ ملم سرعة إطلاقه ١٥ - ٢٠ قذيفة في الدقيقة ومداه ٦٠٠٠ - ١٠٠٠٠ ياردة، ومدفع ١٠٠ ملم سرعة إطلاقه ١٥ - ٢٠ قذيفة/ دقيقة ومداه ١١٠٠٠ ياردة. وكان المصريون يستعملون جهاز صواريخ موجهة مضادة للدبابات، سوفييتية الصنع، يشمل أربعة صواريخ، تركب عادة على سيارات شحن ج.ا.ر. ٦٩. والمجال الأدنى لهذه الصواريخ هو ٦٠٠ ياردة والأقصى ١٥٠٠ ياردة، والقذيفة المحمّلة في رأس الصاروخ قادرة على اختراق درع سمكه ٣٥٠ ملم. ويطلق على هذه الصواريخ «شميل»، وكانت تركب أيضاً على العربات المصفحة. وكان المصريون يستعملون صواريخ سوفييتية من طراز كاتيوشا، ينطلق اثنا عشر منها مرة واحدة، أو بالتتابع، ومداها ٧٠٠٠ ياردة.

وجزء كبير من هذه الأسلحة السوفييتية وصل مصر في الأشهر الثمانية الأخيرة التي سبقت الحرب، ولم يتم التدريب والتعوّد عليها.

ب - القوات الاسرائيلية:

بلغ مجموع القوات التي عبّأتها اسرائيل للقتال ٢٦٤ ألف مقاتل.

حشدت اسرائيل على جبهة سيناء:

- ٧ ألوية مدرّعة.
- ٤ ألوية آلية أو محمولة.
- لوائي مدفعية ذاتية الحركة (٦ كتائب).
- عدداً من وحدات الهندسة الآلية.

وقد قسّمت اسرائيل هذه القوى ثلاث مجموعات قتال: شمالية - وسطى - جنوبية.

- حشدت اسرائيل على الجبهة السورية عشرة ألوية، منها ٤ ألوية مدرّعة.

- حشدت اسرائيل على جبهة الأردن عشرة ألوية، منها ٣ ألوية مدرّعة، ولواء مدرّع احتياط شرقي تل أبيب.

اللواء هو وحدة القتال الكبرى في اسرائيل، ويتألّف:

- من كتيبتين مدرّعتين وكتيبة آلية (في الالوية المدرّعة).
- من أربعة كتائب مشاة وكتيبة مدفعية ميدان (في ألوية المشاة).

١٣ - خطة الهجوم الاسرائيلية:

أ - خرق الخطوط الدفاعية المصرية في منطقتين هامتين:

- منطقة رفح العريش، ومنطقة أبو عجيلة، وفتح ثغرتين فيهما لعبور القوات الاسرائيلية.

ب - القيام بعملية حصار لمنع القوات المصرية من الانسحاب بعد احتلال المرتفعات المشرفة على قناة السويس من الجهة الشرقية.

ج - إبادة القوات المصرية في سيناء بعد محاصرتها.

١٤ - تنفيذ العمليات:(١)

أ - **المجموعة الشمالية:** بقيادة الجنرال «تال» الذي ينقضّ بدباباته على رفح في اتجاه العريش على الشاطىء. وتتألّف هذه المجموعة من رتلين موزّعين:

- الرتل S المدرّع بدباباته من نوع سنتوريون وشرمان ومجموعة مشاة ميكانيكية.
- الرتل L المدرّع بدباباته من نوع باتون وA.M.X. ومجموعة مشاة ميكانيكية وكانت هذه المجموعة تتألّف من ٣٠٠ دبابة و١٠٠ نصف مجنزرة و٣ كتائب مدفعية ذاتية الانطلاق. إلى جانب

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٦ - ٥٧.
- شارون، مرجع سابق، ص ٢٤١ - ٢٤٢.
- اوبالانس، مرجع سابق، ص ٩٣ - ٩٤ - ٩٥.
- الخارطة رقم ١١ و١٢ و١٣.

هذين الرتلين كان بحوزة المجموعة لواء P مظلي فصلت منه كتيبة إلى مجموعة شارون.

- **المهمة لكلّ وحدة:**

* لواء مدرّع أول للهجوم على خان يونس.
* لواء مدرع ثان للهجوم على المواقع الدفاعية المصرية جنوبي الطريق الساحلي.
* لواء مدرع ثالث احتياط يسير وراء اللواء الأول، ثم يكلّف بالاستيلاء على العريش.
* لواء مشاة لاحتلال غزة.
* لواء مشاة منقول، احتياط المجموعة القتالية.

- **التنفيذ:**

١ - اللواء المدرّع الأول:

تحرّك نحو خان يونس فاحتلّها بعد مقاومة عنيفة، ثم كلّفت كتيبة منه إحاطة غزة من الجنوب تسهيلاً لمحاصرتها والاشتباك معها بالتعاون مع لواء المشاة المكلّف هذه المهمة. أما بقية الكتائب فتابعت هجومها باتجاه العريش حيث اصطدمت بمقاومة مصرية عنيفة في الجرادة. ولم يتمكّن اللواء من اقتحام المقاومة إلاّ بعد تدخّل سلاح الجو ولواء الاحتياط المدرع.

٢ - اللواء المدرع الثاني:

تحرّك جنوبي طريق رفح، العريش، محاولاً إحاطة مواقع الدفاع المصرية. ومع المساندة الجوية، تمكّن من احتلال قسم من هذه المواقع. وفي هذه الأثناء حاصر لواء مصري، اللواء اليهودي، وكاد يفنيه لو لم ينجده الجنرال تال بكتيبتين من المجموعة، وعندها فقط استطاع اللواء المحاصر ان يتابع تقدّمه نحو العريش بعد ان تمّ فك الحصار عنه.

٣ - اللواء المدرّع الثالث:

قام بمهمته الموكولة إليه وتمكّن من احتلال العريش بعد مقاومة عنيفة.

٤ - لواء المشاة الرابع:

لم يتمكّن من دخول غزة في ٦ حزيران بسبب المقاومة الضارية وقتال الشوارع الذي قام بهما الفلسطينيون.

٥ - **لواء الاحتياط المنقول:**

ساهم في معركة الجرادة بعد أن عزّز اللواء المدرّع الأول واللواء المدرّع الثاني:

ب - **المجموعة الوسطى:** وتتألّف من اللواء المدرّع C واللواء المدرّع K. وكلّ منهما يشكّل من مجموعتي دبابات سنتوريون ومجموعة مشاة ميكانيكية. وبلغ عدد دباباتها ٢٠٠ دبابة و١٠٠ نصف مجنزرة، بقيادة الجنرال «يوفيه» الذي ستجتاز رمول وادي حاردين المفترض فيها انها غير قابلة للاختراق، عازلة هكذا ميداني المعركة في الشمال والجنوب ولمنع قوافل التموين من الاقتراب من العريش، لتهاجم بعد ذلك القوات المصرية المتمركزة في سيناء.

وبغية تنفيذ هذه المهمة، كلّف قائد المجموعة لواءاً مدرّعاً بالتحرّك نحو «بيرلهفان» عبر منطقة رملية استغرق اجتيازها ٩ ساعات، واحتلّ عقدة الطرق التي تؤدّي إلى :جبل لبنى وأبو عجيلة والعريش. وقد اصطدم اللواء المدرّع بقوات مصرية كانت متجهة نحو العريش فمنعها من تنفيذ مهمتها بعد ان طلب تدخّل سلاح الجو.

من عقدة الطرق هذه تابعت قوات المجموعة تقدّمها نحو بير لهفان وأبو عجيلة وبير حسنة وتمركزت في مضيق ميتلا لقطع الطريق على القوات المنسحبة نحو قناة السويس واصطدمت مع القوات المصرية في معارك دامت ٧٢ ساعة.

ج - **المجموعة الجنوبية:** وكانت تتألّف من اللواء المدرّع M المشكل من دبابات سنتوريون وشيرمان ومجموعة مشاة ميكانيكية. ومن اللواء المشاة Y المؤلّف من ٣ كتائب مشاة وكتيبة مظليين مفصولة من اللواء P (مع الجنرال تال) وستة كتائب مدفعية (١٠٠ مدفع) ومئة نصف مجنزرة أي حوالى ٢٠٠ دبابة، بقيادة الجنرال أريل شارون. كانت مهمتها محصورة في فتح الثغرة الثانية في بقعة أبو عجيلة، ثم التقدّم نحو قناة السويس لاحتلال - قصيمة ثم بير حسنة ونخل والثمادة.

وبغية تنفيذ هذه المهمة وضعت القيادة العدوة بتصرّفها: لواءاً مدرعاً - ولواء

مشاة، و٦ كتائب من المدفعية (ذاتية الحركة) ومفارز هندسة.

في الساعة ٩,٠٠ من يوم ٥ حزيران، حرك شارون لواءً نحو - أبو عجيلة ليهاجم الجبهة من الأمام، وحرّك في الوقت نفسه لواءً آخر لإحاطة أبو عجيلة وقطع الطريق المؤدي إلى العريش. وفي مساء اليوم نفسه، أنزل كتيبة مجوقلة شمالي أبو عجيلة. ولمّا تمّ تطويق منطقة أبو عجيلة، ركّز على مهاجمة مواقع المدفعية المصرية على يد كتيبة مدرّعة وكتيبة مجوقلة. وقد قام بالعملية ليلاً بعد ان أنار أرض المعركة. وتمكّن في صباح ٦ حزيران من فتح ثغرة في خطوط المصريين.

وبعد أن تمكّنت القوات الاسرائيلية من خرق خطوط الدفاع في رفح وأبو عجيلة، صدر الأمر إلى القوات المصرية بالانسحاب، فتعرّضت لقتال مرير، وتعرّض قسم منها للتطويق والتدمير. ويذكر كاتب اسرائيلي ان اللواء المظلي P الاسرائيلي، خسر في معركة رفح أربعين قتيلاً وخمسين جريحاً.(١)

٢ - في جبهة الأردن

٢١ - أرض المعركة:(٢)

يعتبر حوض نهر الأردن منخفضاً كبيراً تسيطر عليه من جبهتيه الشرقية مرتفعات شرقي الأردن، والغربية مرتفعات فلسطين. ويبلغ الانخفاض عن مستوى سطح البحر، في بعض الأقسام، نحو ٨٠٠ متر، ويطلق عليه إسم منطقة الاغوار.

هناك أربعة جسور على نهر الأردن:

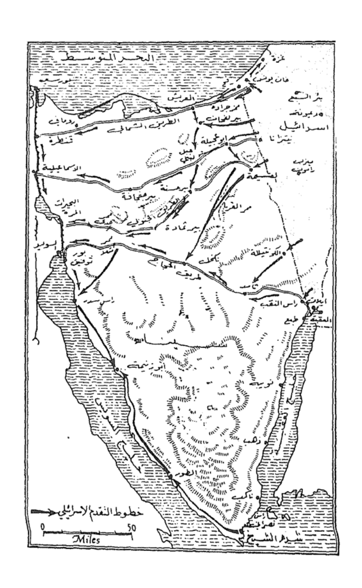
- جسر المجامع في اسرائيل.
- جسر الشيخ حسين في اسرائيل.
- جسر دامية.
- جسر اللنبي.

(١) اوبالانس، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) الاحدب، مرجع سابق، ص ١٦٠.

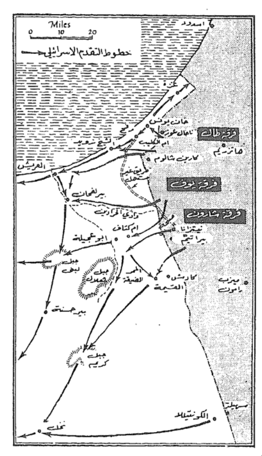
الخارطة رقم ١١

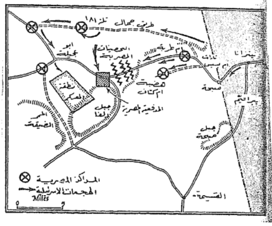
خطوط التقدّم الاسرائيلي



الخارطة رقم ١٢

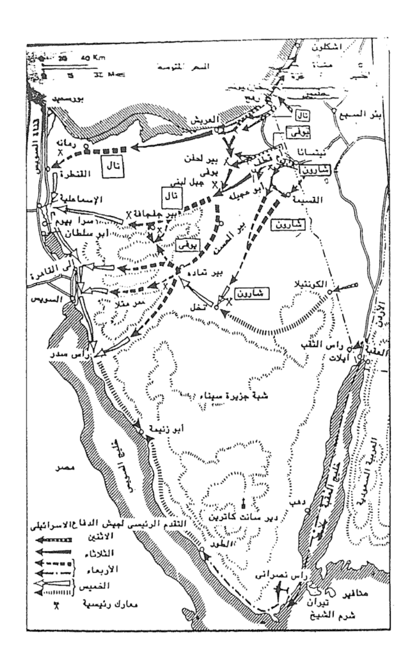
خطوط التقدّم





الخارطة رقم ١٣

استراتيجية حملة سيناء ٥٨ - حزيران ١٩٦٧



٢٢ - القوى المتجابهة:[1]

أ - الأردن:

في صباح ٥ حزيران، كانت القوات الأردنية المتمركزة في الضفة الغربية موزّعة على الشكل التالي:

- المشاة:

(١) - اللواء الأول (لواء الأميرة عالية): في منطقة نابلس وطولكرم وقلقيلية.

(٢) - اللواء الثاني (اللواء الهاشمي): من قلقيلية حتى اللطرون (منطقة رام الله).

(٣) - اللواء الثالث (لواء الإمام علي): منطقة القدس والقرى الواقعة شمالها).

(٤) - اللواء ١٢: على الطرف الشمالي للضفة الغربية في مواجهة بيسان.

(٥) - اللواء ٢٥ (لواء خالد بن الوليد)، مع كتيبة دبابات: منطقة جنين.

(٦) - اللواء ٢٧: من أريحا حتى القدس.

(٧) - اللواء ٢٩ (لواء حطين): منطقة الخليل.

(٨) - اللواء ٣٦: جنوب بيسان.

- المدرّعات (لواءان):

(١) - اللواء ٤٠: منطقة جسر دامية.

(٢) - اللواء ٦٠: منطقة الخان الأحمر، غرب أريحا.

كما كان اللواء الرابع المدرّع متمركزاً جنوب الأردن (من البحر الميت حتى العقبة) ولواء الحرس الملكي متمركزاً في عمان. وكان مجموع القوات المدرّعة والمدفعية المتمركزة في بقعة العمل هذه: ٢٥٠ دبابة، و٢٥٠ ناقلة جند مدرّعة و٢٠٠ مدفع ميدان.

وكانت هذه القوات جميعها ممتدّة على طول ٦٥٠ كلم، مما أدّى إلى بعثرتها، وبالتالي ضعف جهازها الدفاعي، وقد انضمّت إلى هذه القوات:

ب - من العراق:

- اللواء الثامن مشاة، وقد وصل إلى المفرق يوم ٥ حزيران، وتوجّه إلى جسر دامية بعد ظهر اليوم نفسه.

---

(١) سويد، ياسين، حروب القدس في التاريخ الاسلامي والعربي، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٧، ص ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٧.

- اوبالانس، مرجع سابق، ص ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠.

ج - **من مصر:**

- كتيبتا مغاوير، وقد وصلتا إلى مطار عمان في ٣ حزيران، وأُلحقت إحداهما (كتيبة ٣٣) باللواء ٣٥ مشاة (خالد بن الوليد) في منطقة جنين، وأُلحقت الثانية (كتيبة ٥٣) باللواء الثاني مشاة (اللواء الهاشمي) في منطقة رام الله.

د - **من السعودية:**

- لواء مشاة غير كامل، وقد وصل يوم ٧ حزيران ولم يشترك في الحرب.

هـ - **من سوريا:**

- اللواء ١٧ مدرع، وقد وصل مساء ٧ حزيران ولم يشترك بالحرب.

* أما القوات المدافعة عن القدس فكانت:

- كتيبة مشاة (كتيبة الحسين، من لواء الإمام علي) وعديدها نحو ٧٠٠ جندي، معزّزة بـ:
  - ٦ مدافع هاون عيار ٣ بوصة.
  - ٦ مدافع ١٠٦ ملم ضد الدبابات.
  - ٦ رشاشات عيار ٥٠٠ ملم.

وكانت هذه القوة مسندة بالمدفعية، إلاّ أنها كانت «محرومة حرماناً تاماً من إسناد الدروع والقوة الجوية».

و - **القوات الاسرائيلية:**

كانت معظم القوات الاسرائيلية صباح ٥ حزيران، منهمكة بالهجوم على الجبهة المصرية، ولم تترك اسرائيل على الجبهتين السورية والأردنية. سوى قوّة مدافعة ومشاغلة. وهي تعتمد في مثل هذه الحالة، لضيق مساحتها، استراتيجية «المناورة بالخطوط الداخلية» وقد قامت بتنفيذها، إذ استطاعت أن تحرّك قواتها من جبهة إلى أخرى بسهولة ويسر، مطمئنة إلى متانة غطائها الجوي، وسيطرتها الجوية بسبب تدميرها للقوة الجوية العربية الرئيسية، أي القوة المصرية، من جهة، وإلى جودة طرقاتها الداخلية التي أتاحت لها سرعة هذا التحرّك، من جهة أخرى. وهكذا، فقد حشدت اسرائيل على جبهة القدس، وخلال ساعات، ثلاثة ألوية كاملة هي:

- لواء مشاة، وهو لواء القدس، بقيادة الكولونيل اليعازر اميتاي (Eliezer

Amitai) ومهمته: احتلال مقر الأمم المتحدة على جبل المكبر، وقرية «صور باهر» جنوب القدس.

- لواء مدرع (اللواء العاشر) بقيادة الكولونيل أوري بن آري (Uri Ben Ari) ومهمته: احتلال المواقع الأردنية شمال غربي القدس.

- لواء مظلي (اللواء ٦٠)، بقيادة الكولونيل مردخاي غور (Murdechai Gur) المكني (موتا Mota) ومهمته: احتلال حي الشيخ جرّاح والاتصال بالحامية اليهودية على جبل سكوبوس، ثم احتلال القدس القديمة. وقد أوكلت قيادة العمليات إلى الجنرال عوزي فاركيس قائد المنطقة الوسطى في اسرائيل.

٢٣ - خطة الهجوم الاسرائيلي:

(أ) - كلّفت مجموعة القتال «ناركيس» احتلال القدس والمرتفعات المجاورة لها، ثم رام الله ونابلس، وتطويق الضفة الغربية وعزلها عن الضفة الشرقية.

(ب) - كلّفت مجموعة القتال «اليعازر» احتلال جنين وجسر دامية، وإكمال تطويق الضفة الغربية بغية عزلها عن الضفة الشرقية.

٢٤ - تنفيذ العمليات:(١)

(أ) - القوات الأردنية تحتل جبل سكوبس:

- صباح الاثنين في ٥ حزيران تحرّكت القوات الأردنية نحو جبل المكبر «سكوبس» المشرف على القدس القديمة، واحتلّته بعد أن اشتبكت القوات الاسرائيلية المتمركزة فيه وتقدّر بفصيلتي مشاة.

(ب) - مجموعة القتال ناركيس:

في الساعة الثانية من صباح ٦ حزيران هاجم لواء مدرّع من مجموعة ناركيس

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) اوبالانس، مرجع سابق، ص ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣.

- الخارطة رقم ١٤ و١٥.

تـدعـمـه الـمـدفـعـيـة مـرتـفـعـات الـقـدس، فصمدت القوات الأردنية في وجه القوات الـزاحـفـة، واسـتـغـرق الـقـتـال ما يـقـارب ٤ ساعات تمكّنت القوات الاسرائيلية بعدها من احتلال المرتفعات بين القدس ورام الله، ثم تـابـعـت تـقـدّمـهـا واحـتـلّـت رام الله واتجهت نحو نابلس (جسر الملك حسين). بينما كانت عناصر أخرى من قوات ناركيس تهاجم القدس وتقاتل فيها من شارع إلى شـارع ومـن بـيـت إلـى بـيـت تـسـانـدهـا قوى الطيران والمدفعية. وقد صمدت القوات الأردنية في القدس حتى صباح ٧ حزيران حيث احتلّت القوات العدوّة مدينة القدس الشريف كاملة.

(ج) - مجموعة القتال اليعازر:

أما مجموعة اليعازر فقد اخترقت الحدود الأردنـيـة بـاتجاه جـنـين، وقـد وقـعـت مـعـركـة حـامـيـة بين الـقـوات الأردنـيـة والـيـهـوديـة سقطت على اثرها هذه المدينة. ثم تابعت قوات المجموعة تقدّمها نحو نابلس واحتلّتها. ثمّ احتلّت جسر دامية بمساعدة قوات من مجموعة ناركيس. وعند الساعة ٢,٣٠ من لـيـل ٧ حـزيـران تـوقـف الـقـتـال بـنـاء لـقـرار مجلس الأمن الدولي.

٣ - في الجبهة السورية

٣١ - أرض المعركة:

مـنـطـقـة الجولان تـقـع في الجزء الجنـوبـي الغربي من سوريا (راجع الخريطة)، مساحتها ١٨٠٠ كلم، عدد سكانها ١٠٠ ألف نسمة، عاصمتها القنيطرة، وهي مركز المحافظة.

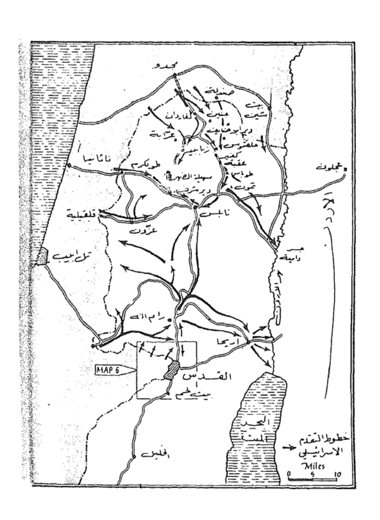
(أ) - الطرق الطولانية: أربعة

- سحيقا: مسعدة - نصف معبد.
- قنيطرة: المنصورة - بانياس.
- قنيطرة: الجمرك السوري - جسر بنات يعقوب.
- قنيطرة: الرفيد - الحمة.

(ب) - الطرق العرضانية: أربعة

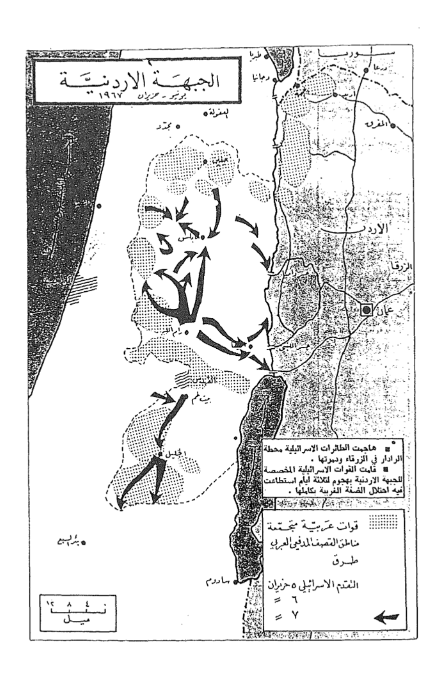
- مسعدة: واسط - كفرنفاخ.
- كفرنفاخ: السنديانة - الخشنية.
- قنبعة: حفر - العليقة.
- الدرباشية: المرتفع ٢١٧.

الخارطة رقم ١٤
خطوط التقدّم الاسرائيلي



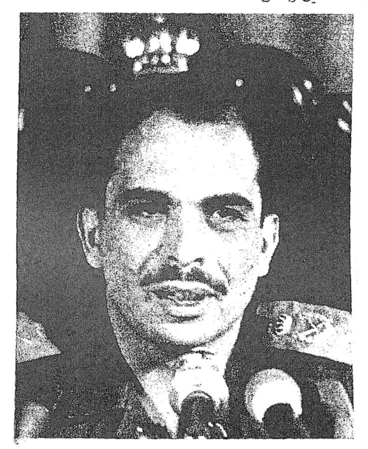
الخارطة رقم ١٥

الجبهة الأردنية (يونيو - حزيران ١٩٦٧)





الملك حسين وبعض ضباطه يستطلعون الجبهة قبيل الحرب بوقت قصير



الملك حسين ملك الأردن أمام المذياع يبلّغ شعبه خسارته الحرب

أهم التلال ذوات القيمة العسكرية

-في القطاع الشمالي: تل فخار - تل الأحمر (امام بانياس) - تل العزيزيات.

- في القطاع «واسط»: تل شيبان - مرتفع الدرباشية.

- في القطاع الأوسط: مرتفع الدبورة - مرتفع أم العسل - تل المشنوق - تل الأعور.

- في القطاع الجنوبي: تل الفرس، وفيه مرصد قائد الجبهة - تل السقي - مرتفعات كفر حارب - مرتفعات العقبات - العقبات.

- في قطاع القنيطرة: تل العرام - تل أبي الندى.

٣٢ - القوات المتجابهة:

لواء المشاة المدرع ١٧ الذي لم يشترك في القتال.

القوات السورية:

٤٥ ألف مقاتل ما بين دمشق والحدود مع ثمانية ألوية على الخطوط الأمامية مدعومة بألوية أخرى من المشاة الراجلة والمؤلّلة (بناء للمرجع الأميركي المايجر جنرال شوميكر).

٣٣ - خطة الهجوم الاسرائيلية:

(لما كانت نوايا العدوان هي في جانب اسرائيل، فسنورد هنا خطته ضمن إطار «إعرف عدوّك»):

(أ) - القيام بعملية تمويه وإلهاء بمحاولة خرق نقاط عديدة من الجبهة السورية شمالي بحيرة طبريا، والتركيز بالواقع على خرق الجبهة قرب كفر صولد، وإحداث ثغرة كافية للوصول إلى طريق بانياس - القنيطرة، فإلى القنيطرة من الشمال الغربي.

(ب) - استثمار النجاح بواسطة مجموعة قتال بالهجوم جنوبي الجبهة قرب تل كيشر، والتقدّم نحو القنيطرة من الجنوب.

٣٤ - تنفيذ العمليات:(١)

(أ) - الهجوم السوري:

- في صباح السادس من حزيران، قامت

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٦١ - ٦٢.
- اوبالانس، مرجع سابق، ص ٢٠١ - ٢٢٢.
- الخارطة رقم ١٦ و١٧ و١٨.

القوات السورية بنجاح بثلاث هجمات على تل القاضي ومستعمرتي داره وشعار ياشوف.

- كانت القوات المهاجمة محدودة لا تتجاوز الكتيبة معزّزة بسرية دبابات. إلاّ أن تدخّل الطيران الاسرائيلي لم يسمح لهذه القوة بمتابعة تقدّمها.

(ب) - الهجوم الاسرائيلي:

- في ٨ حزيران ابتدأت الطائرات الاسرائيلية بقصف منطقة الجولان بعنف وشدّة ليلاً نهاراً. وكانت الموجة تتبع الموجة. ولا تقل الموجة عن ٣٠ طائرة مع فاصل ١٠ دقائق. وتركّز القصف، في الدرجة الأولى، على بطاريات الدفاع الجوي ومدفعية الميدان ثم المواقع الدفاعية المحصّنة.

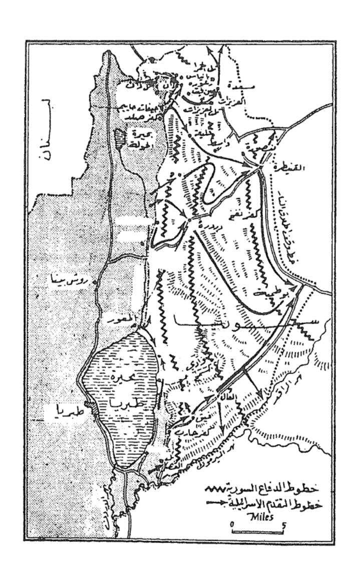
- في الساعة ١١,٣٠ من نهار ٩ حزيران، تحرّكت المجموعة الشمالية نحو تل العزيزات وبانياس، كما تحرّكت المجموعة الوسطى نحو كفر صولد وبعض المواقع، بين كفر صولد وبحيرة طبريا. كانت مهمّة المجموعة الشمالية خرق الجبهة وفتح ثغرة واسعة فيها. وقد تمكّنت هذه المجموعة من القيام بمهامها عند المساء بعد قتال عنيف ومساندة جوية واسعة النطاق وبعد ان تكبّدت خسائر فادحة في العتاد والأرواح. وقد أظهرت القوات السورية في هذا القطاع تصميماً على المقاومة. لكن استعمال الطيران منعها من متابعة مقاومتها.

وفي الوسط استطاعت القوات العدوّة إحداث ثغرة في الجبهة السورية بعد مقاومة عنيفة وشرسة، وتمكّنت من احتلال برج بابل والدرباشية.

وفي ليل ٩، ١٠ حزيران، استراحت القوات اليهودية، وأعادت تنظيمها، وعزّزت قواها من باقي الجبهات بعد انتهاء القتال فيها. وصباح ١٠ حزيران انطلقت من تل العزيزات باتجاه النخيلة والعباسية والقنيطرة، وقاتلت بإصرار وعناد، وتمكّنت من احتلال القنيطرة في تمام الساعة ١٤,٤٠، رغم المقاومة العنيفة ورغم البطولات التي أظهرتها الوحدات السورية التي كانت تدافع عن المدينة. فأمام التفوّق العددي والتقني والجوي، توقّف إطلاق النار بين الجانبين في الساعة ١٨,٣٠ من اليوم نفسه.

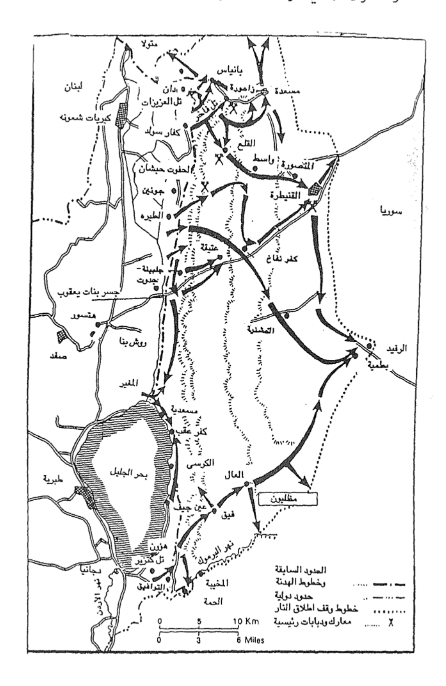
الخارطة رقم ١٦

خطوط الدفاع والتقدّم



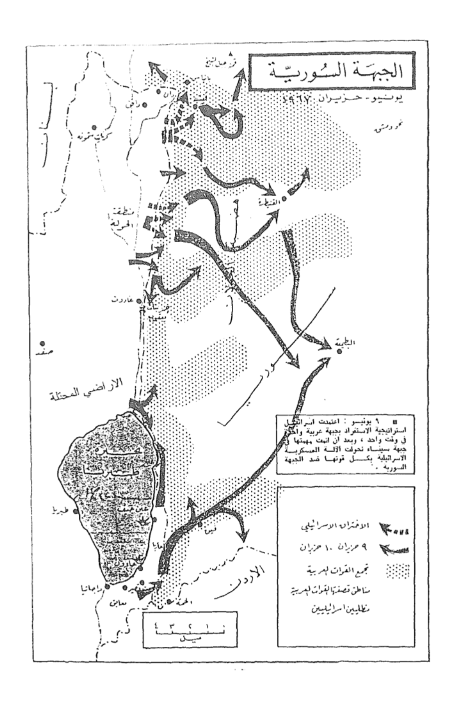
الخارطة رقم ١٧

المعارك الرئيسية في مرتفعات الجولان، ٩ - ١٠ حزيران ١٩٦٧



الخارطة رقم ١٨

الجبهة السورية



٤ – العمليات البحرية بين اسرائيل ومصر[١]

٤١ - قوات الطرفين البحرية:

القوات المصرية:

- ٧ مدمرات
- ١٢ غواصة
- ٥٠ خافرة
- ١٨ زورق قاذف صواريخ
- ١٢ سفينة مقاومة
- ٣٢ زورق طوربيد

القوات الاسرائيلية:

- ٢ مدمرتان
- ٣ غواصات
- ١٤ خافرة
- ١ سفينة مقاومة
- ٨ زوارق طوربيد

- لم تقع معارك بحرية بين مصر واسرائيل بالمعنى الصحيح. ولعلّ مرد ذلك إلى عدم رغبة مصر في إشراك قواتها البحرية في العمليات لسببين مهمين:

السبب الأول: رغبة مصر في أن لا تصاب بحريتها بخسائر فادحة بعد أن فقدت طيرانها رأصبحت السيطرة التامة للطيران الاسرائيلي في أجواء المعركة.

السبب الثاني: عدم تأثير التدخّل المصري البحري في مجرى القتال بعد أن اندحرت القوات البرية نتيجة للضربة الجوية الاسرائيلية.

وفيما يلي وصف موجز للعمليات البحرية المحدودة التي قامت بها كلّ من مصر واسرائيل.

٤٢ - مهاجمة بور سعيد:

- مساء الاثنين من ٥ حزيران قامت مدمرة اسرائيلية مع عدد من زوارق الطوربيد بمهاجمة مينائي بور سعيد والاسماعيلية. وما ان اقتربت المدمرة الاسرائيلية من بور سعيد حتى تصدى لها زورقان مسلّحان بصواريخ من نوع (اوسا). ففتحت عليهما النار من

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٦٣ - ٦٤.

مدافعها عيار ٢٠ ملم. فتراجعا وقفلا عائدين دون ان يتمكّنا من ضرب المدمّرة بالصواريخ. ولما تراجع الزورقان المصريان، أنزلت المدمرة عدداً من رجال الضفادع إلى الماء، فدخلوا ميناء بور سعيد لضرب الوحدات البحرية المصرية الراسية فيه، فلم يعثروا إلاّ على ناقلتي نفط.

ورغم ان الهجوم الاسرائيلي على بور سعيد لم يحقّق هدفه فقد أدّى مهمة أساسية إذ أبعد خطر ١٨ زورقاً مصرياً مزوّداً بالصواريخ من منطقة تل أبيب. ففي صباح الثلاثاء نقلت القيادة المصرية قطعها البحرية الحربية من بور سعيد إلى الاسكندرية بعيداً من تل أبيب كهدف حربي.

٤٣ - أسر رجال الضفادع الاسرائيليين في ميناء الاسكندرية:

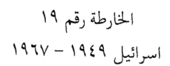
مساء الاثنين اقتربت غواصة اسرائيلية من الاسكندرية، وانزلت إلى الماء فريقاً من رجال الضفادع لدخول الميناء وضرب القطع البحرية الراسية فيه بالمواد المتفجّرة. ولما تأخّروا في العودة إلى الغواصة وكانت في انتظارهم، خيّل إلى قائدها ان رجاله ربما تمكّنوا من تخريب غواصتين وزورقي (اوسا). وطلع الفجر ولم يعودوا، فغادرت الغواصة الاسرائيلية المياه المصرية على أمل العودة في اليوم التالي. ولما رجعت لم تجد أحداً في انتظارها. وقد تبيّن فيما بعد ان رجال الضفادع وقعوا في أسر القوات المصرية.

٤٤ - الغواصات المصرية قبالة حيفاء:

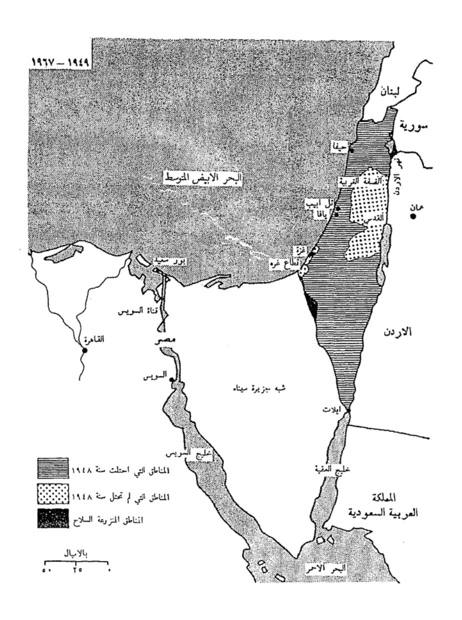
ليل الثلاثاء في ٦ حزيران، اقتربت ثلاث غواصات مصرية من شواطىء اسرائيل إحداها إلى الشمال من حيفا، وأخرى في جنوبها، وثالثة قريباً من ميناء أشدود. وكانت اسرائيل تشكو انها تملك بحارين أكثر مما تملك قطع بحرية، وان مصر تقتني من هذه ثلاثة أضعاف.

٤٥ - ابعاد القطع المصرية إلى البحر الأحمر:

ازاء نسبة القطع البحرية بين الطرفين، لجأت اسرائيل إلى الحيلة لابعاد أكبر عدد ممكن من القطع البحرية المصرية عن البحر المتوسّط حيث يتهدّد أمن تل أبيب مباشرة،



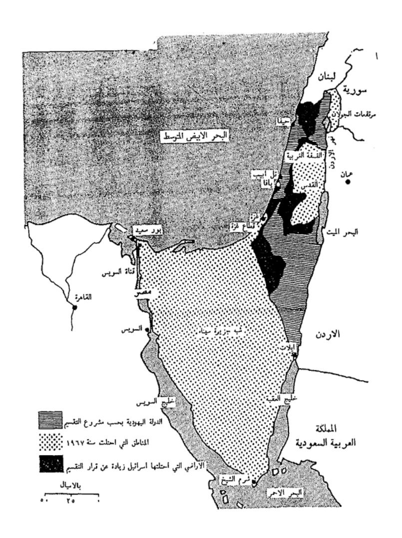
الخارطة رقم ١٩
اسرائيل ١٩٤٩ - ١٩٦٧



١٩٤٩ – ١٩٦٧
لبنان
سورية
حيفا
البحر الابيض المتوسط
الضفة الغربية
الاردن
تل ابيب
يافا
عمان
القدس
غزة
قطاع غزه
بور سعيد
قناة السويس
القاهرة
مصر
السويس
شبه جزيرة سيناء
ايلات
الاردن
خليج السويس
خليج العقبة
المملكة
العربية السعودية
البحر الأحمر
المناطق التي احتلت سنة ١٩٤٨
المناطق التي لم تحتل سنة ١٩٤٨
المناطق المنزوعة السلاح
بالاميال
٥٠ ٢٥ ٠

الخارطة ٢٠

الأرض المحتلّة عند انتهاء حرب سنة ١٩٦٧



وحصرها في البحر الأحمر. وفي سبيل تحقيق ذلك نقلت اسرائيل ٤ قوارب إنزال إلى ايلات، عبر النقب، على مرأى من المصريين. وعند المساء أعيدت الزوارق إلى النقب، ثم أعيد إنزالها في اليوم التالي كما لو كانت قطعاً بحرية جديدة وتكرّرت هذه العملية مراراً، فتبادر إلى ذهن المصريين ان اسرائيل تعد هجوماً بحرياً على شرم الشيخ ومضائق تيران. فأمرت غواصتين مصريتين بعبور قناة السويس في ٣ حزيران، ثم تبعتها مدمرتان و٦ زوارق طوربيد ليل ٥ - ٦ حزيران إلى البحر الأحمر لحماية شرم الشيخ.

لقد شاركت البحرية الاسرائيلية باحتلال شرم الشيخ جنوبي سيناء دون تدخّل من قبل البحرية المصرية.

٥ - النتائج والخسائر

٥١ - النتائج الآنية:

بعد حرب الأيام الستة برهنت اسرائيل انها دولة معتدية تريد التوسّع على حساب الدول العربية المتاخمة لحدودها مدعية انها تعمل للسلام.

حصلت اسرائيل في حربها مع الدول العربية على هذه المكاسب ٦٨ ألف كلم:[1]

- احتلال شبه جزيرة سيناء وبقعة شرم الشيخ، وفتح خليج العقبة مجدداً في وجه الملاحة الاسرائيلية.
- ضم القدس والأراضي المقدّسة، وقطاع غزة، والضفة الغربية.
- الاستيلاء على منطقة الجولان السورية الغنية والتي تسيطر على سهل الحولة.
- الاستيلاء على كمية كبيرة من السلاح والعتاد الحديث لا يقلّ ثمنها عن مليارين من الدولارات.
- قلب ميزان القوى في الشرق الأوسط لصالحها.
- الوصول إلى ضفاف قناة السويس وتهديد الاردن.
- الوصول إلى مشارف العواصم العربية التالية:

(١) الخارطة رقم ١٩ و٢٠.

* – تبعد القوات الاسرائيلية ٢٠٠ كلم عن القاهرة و٦٥ كلم عن دمشق و٥٠ كلم عن عمان، عاصمة الاردن.
- لجوء ربع مليون فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى الاردن ولبنان وسوريا وجلاء ١٥٠ ألف سوري عن القنيطرة ومرتفعات الجولان إلى دمشق والداخل السوري ودخول مليون عربي تحت الحكم الاسرائيلي.

٥٢ – النتائج العامة:[1]

أ – توطئة:

وقف العرب أمام هذه الكارثة مذهولين يتساءلون. وبعض الاسئلة لم يجد حتى الآن جواباً شافياً. وهناك بعض ملحوظات لا بدّ من وضعها أمام القارىء:

(١) – ان الرئيس جمال عبد الناصر لم يكن يريد الحرب. وظهر فيما بعد ان العرب لم يكونوا مستعدين لها.

قال الرئيس المصري لرئيس تحرير مجلة أميركية، بعد الحرب ببضعة أشهر: «لم يكن في خططنا ان نهاجم اسرائيل. والواقع ان ثلاثاً من أفضل فرقنا كانت تقاتل في اليمين في ذلك الحين، ولو كنا نستعد للحرب لكان من المنطقي ان نعيدها إلى مصر. وكلّ ما قلته يومذاك انهم إذا هاجموا سوريا فسنرد ونهاجم».

(٢) – لماذا أسرع الأمين العام يوثانت إلى تلبية الطلب وسحب القوات الدولية من دون الرجوع إلى مجلس الأمن؟ منذ سنة ١٩٥٦ كانت مسؤولية حفظ الأمن في المنطقة تقع على عاتق هذا المجلس وقوات الطوارىء التي أرسلها، فلماذا لم يدع الأمين العام مجلس الأمن؟ ولماذا لم يحاول كسب الوقت أمام المساعي الدبلوماسية التي كانت جارية على قدم وساق؟

(٣) – كان الاتحاد السوفياتي هو الذي أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية، ثم طلب منه ألاّ يهاجم اسرائيل في رسالة

---

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٧٢ – ١٧٣ – ١٧٤.

عاجلة من الرئيس كوسيغن. هل كانت سورية مقصودة حقاً سنة ١٩٦٧؟

(٤) - الولايات المتحدة الأميركية، ألم تكن تقوم بمساع مع مصر وتنتظر زيارة زكريا محيي الدين والوصول إلى تسوية مرضية قبل ٥ حزيران. فكيف أقدمت اسرائيل على الحرب، وهي إنما تقاتل بسلاح أميركي ومال أميركي وتحت المظلة العسكرية الأميركية؟

(٥) - تبيّن فيما بعد ان اسرائيل لم تكن خائفة من حرب تفاجئها بها مصر. وقد قال الجنرال رابين، رئيس أركان الجيش الاسرائيلي يومذاك: «ان عبد الناصر كان يناور فقط ولم يكن ينوي مهاجمة اسرائيل في أيار - حزيران ١٩٦٧».

(٦) - أما الخطر الذي زعمته اسرائيل والمخاوف التي أثارتها فقد كانت تمهيداً لحربها. وبعد الحرب ببضع سنين فضحت الصحافة الاسرائيلية نفسها تلك المزاعم. فقد كتب أحد الوزراء الاعضاء في حكومة الائتلاف التي قادت حرب حزيران، في صحيفة اسرائيلية في ١٤ نيسان ١٩٧٢ يقول: كلّ هذه الحكاية عن خطر الابادة اخترعت بجميع أجزائها وضخمت بعد ذلك لتبرّر الاستيلاء على أرض عربية جديدة».

وكتب الجنرال بيليد، من ضباط الأركان الاسرائيلية: «ليس من سبب يدعو إلى إخفاء الحقيقة، وهي انه منذ سنة ١٩٤٩ لم يكن هناك إنسان يجرؤ أو يمكنه أن يضع وجود اسرائيل موضع البحث. وعلى الرغم من ذلك فقد واصلنا تغذية الشعور بالنقص كما لو كنا شعباً ضعيفاً وصغيراً، يعيش في قلق دائم وخوف الإبادة في كلّ لحظة. واستخدمت المؤسّسة الاسرائيلية المخاوف التي أثارتها لدى الشعب كي تمضي في تحقيق أهدافها».

(٧) - هاجمت سفن الطوربيد والطائرات الاسرائيلية في ٨ حزيران ١٩٦٧، وبينما الحرب مستعرة على جميع الجبهات، السفينة «ليبرتي» التابعة للاستخبارات الاميركية والتي كانت ترابط على بعد نحو ٢٤ كيلومتراً من شواطىء سيناء في البحر الأبيض المتوسّط. وقد تسبّب هذا الهجوم بإلحاق أضرار جسيمة بالسفينة

وإخراجها من الخدمة، ومقتل ١٠، وجرح ٧٥ من رجال البحرية الاميركية الذين كانوا على متنها. وقد تبيّن فيما بعد ان السفينة كانت تقوم بأعمال التشويش على أجهزة الرادار في الجيوش العربية لعرقلة الاتصالات بين قطاعاتها، بالإضافة إلى التقاط وتسجيل جميع الإشارات السلكية واللاسلكية في المنطقة، وذكر ان مهاجمة اسرائيل للسفينة، على الرغم من معرفتها بهويتها الأميركية، جاء بهدف الاعتراض على محاولة الاستخبارات الأميركية رصد الاتصالات الاسرائيلية العسكرية، وكشف رموزها (الشيفرة) السرية.

ب - دولياً: قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢:

اجتمع مجلس الأمن وأصدر، في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧، القرار رقم ٢٤٢ الذي أصبح مشهوراً باعتبار انه الحل الدولي المطروح، والنص الأساسي لكلّ محاولات التسوية. وهذا نص القرار:

«ان مجلس الأمن،

«إذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط،

«وإذ يؤكّد عدم القبول بالاستيلاء على أرض بواسطة الحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كلّ دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان،

وإذ يؤكّد أيضاً ان جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة ٢ من الميثاق،

«١ - يؤكّد ان تحقيق مبادىء الميثاق يتطلّب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين التاليين:

(أ) - سحب القوات المسلّحة الاسرائيلية من الأراضي التي احتلّتها في النزاع الأخير؛

(ب) - إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب واحترام واعتراف لسيادة ووحدة أراضي كلّ دولة في المنطقة، واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرّة من التهديد أو أعمال القوة؛

«٢ – يؤكّد أيضاً الحاجة إلى:
(أ) – ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة؛
(ب) – تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين؛
(ج) – ضمان المناعة الاقليمية والاستقلال السياسي لكلّ دولة في المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجرّدة من السلاح».

وتجدر الإشارة إلى ان هذا القرار صيغ بغموض مقصود في البند الاساسي المتعلّق بالانسحاب. وترجمة النص الانكليزي: (سحب القوات المسلّحة الاسرائيلية، من أراض احتلّتها أو من أراض احتلّت في النزاع الأخير). وقد أهمل عمداً استخدام أداة التعريف في لفظ الأراضي على الرغم من استخدامها في النص الفرنسي المعتمد رسمياً في الأمم المتحدة. وعلى هذا، فان النص على هذا الشكل لا يعني بالضرورة الانسحاب من كلّ الأراضي المحتلّة. ولكن ادخل ذلك الغموض ليكون ثمّة مجال لتعديلات في حدود اسرائيل قبل حزيران ١٩٦٧.

ج – عربياً: مؤتمر القمة العربي الرابع:

استفاق العرب من جديد، بعد نكبة حزيران، لأخطار الصهيونية، واتضح لهم ان مراميها البعيدة لن تقف عند حدّ، وأنها تسعى لتحقيق اسرائيل الكبرى.

وعقد مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم في ٢٩ آب ١٩٦٧. وأعلن البيان الصادر عنه اتفاق الملوك والرؤساء على الوسائل الفعالة التي تكفل إزالة آثار العدوان، وهو الهدف الأول للسياسة العربية بعد حرب الأيام الستة. وأما القرارات والتوصيات التي صدرت فقد جاء فيها:

(١) – تأكيد المؤتمر على وحدة الصف العربي ووحدة العمل الجماعي، والتزام الدول العربية بميثاق التضامن العربي.
(٢) – عبء استرداد الأرض العربية المحتلّة يقع على الدول العربية جمعاء.
(٣) – الاتفاق على توحيد الجهود في العمل السياسي لإزالة آثار العدوان في نطاق المبادىء التي تلتزم بها الدول العربية، وهي: لا صلح مع اسرائيل ولا اعتراف بها ولا تفاوض معها.

(٤) - استئناف ضخ البترول العربي من حيث انه طاقة عربية إيجابية يمكن الإفادة منها في تحقيق الأهداف العربية.

(٥) - ضرورة الاسراع في العمل على دعم الامداد العسكري لمن يلزمه ذلك.

(٦) - الاسراع في تصفية القواعد الاجنبية.

(٧) - تقدّم المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا إلى كلّ من مصر وسورية والأردن مبالغ مالية سنوية لسدّ النقص الذي أصابها من جراء العدوان الاسرائيلي.

- في سوريا تكبّدت: ١٥٠ قتيلاً و٦٠٠ جريح.

أما مراسل جريدة «جمهورية اسرائيل» الذي رافق العمليات العسكرية في الجبهة الأردنية فيقول ما يلي:

«خسرت اسرائيل ٧٠٠ قتيلاً جلّهم من الضباط الذين ولدوا وترعرعوا في قرى التعاونيات الاسرائيلية «كيبوتس» وهم مدرّبون جيداً...».

أما جريدة «دير شبيغل» الالمانية فتقديرها، ان اسرائيل خسرت حوالى ٢٠٩٥ قتيلاً.

٥٣ - الخسائر في الأرواح:

أ - اسرائيل:

يقول الجنرال «بوفر» مراسل مجلّة «الباري ماتش» الفرنسية: ان خسائر اسرائيل في الأرواح بلغت ٦٠٠ قتيل موزّعين كالآتي:

- في سيناء تكبّدت: ٢٥٠ قتيلاً و٨٠٠ جريح.
- في الأردن تكبّدت: ٢٠٠ قتيلاً و٧٠٠ جريح.

ب - مصر:

- تقول المصادر الاسرائيلية ان مصر خسرت ٢٥ ألف قتيل، في حين ان جريدة البرافدا السوفياتية فقدّرت القتلى لدى مصر بحوالى ١١٥٠٠، بينهم ١٥٠٠ ضابط شهيد. من هذا العدد:

١٠٠٠ = قتيل في معركة غزة وخان يونس.

١٥٠٠ = قتيل في معركة العريش.

١٠٠٠ = قتيل في معركة مر ميتلا.

- أما الميجر جنرال «شوميكر» الاميركي فيقدّر عدد القتلى بحوالى ١٥٠٠٠ و١٠٠٠٠ أسير مصري.

ج - الاردن:

- تقول المصادر الاسرائيلية ان خسارة الأردن كانت ١٥ ألف قتيل. أما الملك الحسين في كتابه «حربنا مع اسرائيل» فيقول ان الجيش الاردني خسر ٦٠٩٤ قتيلاً.

د - سوريا:

قال وزير الاعلام السوري في ٢٤ حزيران ١٩٦٧ ان خسارة سوريا في القتلى تساوي ١٥٤ بينهم ٢٠ ضابطاً، و٥٩٨ جريحاً بينهم ٩٨ ضابطاً و٣٠٠ جريح من المدنيين والعسكريين أصابتهم قنابل النابالم بحروق. أما ضابط الاستخبارات السوري في الجولان فيقول ان خسارة الجيش لم تتعدَّ ٢٥٠ قتيلاً و٣٠٠ جريحاً.

٥٤ - الخسائر في الطائرات الحربية:

أ - اسرائيل:

صرّحت بعض مصادر اسرائيلية ان اسرائيل خسرت ٢٦ طائرة بينها ٦ فوغا ماجستير. أما عدد الطيارين فقد بلغ ٢١ طيار، اسر نصفهم في سوريا ومصر. أما بعض المصادر الاسرائيلية الأخرى فقد قدّرت عدد الطائرات المفقود بحوالى ٧٣ منها ١٩ في الموجة الأولى و٤١ في الموجتين الثانية والثالية من الغارات الجوية. وقد أكّدت جريدة الاهرام هذا العدد.

ب - مصر:

يقول الاسرائيليون بأنهم دمّروا حوالى ٧٥٪ من مجموع طائرات مصر، أي ما يعادل ٣٠٩ طائرات و٢٣ محطة رادار وقتلوا ١٠٠ طيار (اعترف عبد الناصر بـ٤٠ فقط).

ج - سوريا:

قال المتحدّث العسكري ان سوريا خسرت ٥٠ طائرة من أصل ١٠٠ تملكها.

د - الاردن:

خسر الأردن ٢٩ طائرة بحسب المراجع الأردنية. أما الجنرال الأميركي «شوميكر»

فقال ان الأردن خسر ١٨ طائرة هوكر هنتر منها واحدة في الجو.

هـ - العراق ولبنان:

خسر العراق حوالى ١٧ طائرة فقط وكذلك لبنان فلقد خسر طائرة فوق بلدة أبلح البقاعية اللبنانية. ونجا ربانها النقيب الطيار سمير حرب من قاعدة رياق الجوية، التابعة للجيش اللبناني.

٥٥ - الخسائر في الدبابات: (١)

أ - اسرائيل:

أوضحت المصادر الاسرائيلية والغربية ما يلي:

«تكبّدت اسرائيل خسائر فادحة بالدبابات على يد القذائف المضادة للدروع أمام خان يونس، فقد فقدت (٦ دبابات)، ثم ارتفع عدد الدبابات التي أعطبها المصريون».

فقدت اسرائيل (١٠ دبابات) في معركة جراده و(١٧ دبابة) في معركة الضفة الغربية بعد اشتباك عنيف مع اللواء الأردني المدرّع (٤٠).

قال قائد القوات المدرعة في (ايلات) في معرض طلبه للنجدة:

«ان دباباتنا تحترق كالورق أمام الدبابات المصرية، اننا فقدنا معظم مدرّعاتنا في أثناء هجومنا على المواقع المصرية».

قالت (مجلّة دير شبيغل) ان خسائر اسرائيل في عدد الدبابات في معركة (الميتلا) يقل قليلاً عن مجموع ما فقدته طوال أيام العدوان.

أما الضابط الاسرائيلي (جاكوب اهارون) الذي وصف المعارك بين العرب واسرائيل فقال:

«وخسرت اسرائيل من الدبابات والمصفحات عدداً «يتجاوز المئات».

ب - مصر وسوريا والأردن: (١)

في مصر:

قالت (مجلّة دير شبيغل) الالمانية:

«خسر الجيش المصري جزءاً مهماً من

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٨٧ - ٨٨.

معداته في صحراء سيناء، ولكنه لم يخسر الـكـمـيـة الضـخـمـة الـتـي تحدّث عـنـهـا الاسرائيليون».

«فقد الجيش المصري ٨٠٪ من أسلحته ومعداته».

وقالت المصادر الاسرائيلية ان خسارة مصر بالدبابات كانت (١٦٠ دبابة) موزعة كما يلي:

- تـدمـيـر (٣١ دبـابـة) أمـام غـزة وخـان يونس.
- تدمير ١٥(دبابة) أمام العريش.
- تدمير (١٤ دبابة) أمام جرادة.
- تدمير (١٠٠ دبابة) في معركة الميتلا.

وتضاربت الأقوال في عدد الدبابات التي تركت في ساحة المعركة ولم تتمكّن القوات المصرية من سحبها لأسباب عديدة أهمها فقدان الذخيرة والمحروقات.

«فـمـنـهـم من قال ان العدد هو (٤٠٠ دبـابـة)، ومـنـهـم مـن قـال (٦٠٠ دبـابـة)، ومـنـهـم مـن قـال (٦٥٠ دبـابـة). وروت المصادر الاسرائيلية ان الجيش الاسرائيلي استـولـى عـلـى (١٠٠ صاروخ) وزن (٥٠٠ كلغ)».

وقال المايجر جنرال «شوميكر» الأميركي ان الخسائر بلغت ٦٠٠ دبابة.

في سوريا:

اعترفت المصادر السورية ان اسرائيل دمّرت لها حوالي (٥٠ دبابة)، وقسماً كبيراً من مدفعية الميدان والمدفعية المضادة للدبابات واستولت على قسم من المدافع المذكورة وعلى أسلحة تركت في العراء، جـمـع الـعـدو قسـمـاً مـنـهـا، وجـمـع الـفـدائـيـون قسـمـاً آخر، وجمع الـمـهـرّبـون قسـمـاً ثـالـثـاً وبـاعـوه (كـتـاب سـقـوط الجولان) من ضابط استخبارات الجولان السابق.

أما الدوائر الاسرائيلية فقالت ان الجيش الاسرائيلي استولى على (٢٠٠ دبابة) و(٢٠ مدفعاً).

في الأردن:

قالت مصادر متنوّعة ان الجيش الاردني خسر عدداً من الدبابات يراوح بين (٣٠ و٥٠ دبابة).

٥٦ - **أسرى الحرب:**[1]

قال الجنرال صموئيل ايال رئيس دائرة أسرى الحرب في الجيش الاسرائيلي:

ان اسرائيل تأمل تبادل ٥٥٩٩ أسيراً عربياً في مقابل ١٦ جندياً اسرائيلياً أسروا خلال الحرب الأخيرة. وقال ان في المعسكرات الاسرائيلية:

– ٤٥٠٠	أسيراً مصرياً.
– ٤٨٧	أسيراً أردنياً.
– ٤٣٣	أيسراً سورياً.
– ١٧٩	أسيراً جريحاً قيد المعالجة في المستشفيات الاسرائيلية
٥٥٩٩	المجموع

وقال ان الأسرى اليهود الـ١٦ موزعون كما يلي:

– ٩	في مصر
– ٢	في العراق
– ٢	في سوريا
– ٢	في الأردن
– ١	في لبنان
١٦	

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٩٢ – ٩٣.

وعلى الرغم من ان القتال كان ضارياً بين قوتين غير متكافئتين: العرب بأسلحتهم دون غطاء جوي، والاسرائيليون تحميهم الطائرات بقنابلها المختلفة من النابالم إلى المغناطيسية إلى الحرارية، فقد تمكّنت القوات المصرية المدرّعة أن تلحق بالمدرّعات الاسرائيلية خسائر لا يستهان بها، وان توقّف تقدّم العدو في غزة، وخان يونس، ورفح والعريش وأبو عجيلة والميتلا، فلم يتمكّن من متابعة التقدّم (باعتراف قادته) لولا تدخّل الطيران المستمر الذي كان يصبّ ما يحمل من قنابل وصواريخ على القوات المصرية الصامدة ويشتت شملها، وكذلك كان يفعل كلّما حاولت قوة عربية القيام بهجوم مضاد أو عملية إحاطة أو احتلال...

الخاتمة

دافعت القوات العربية عن كلّ شبر من أرض العرب بدمها الغالي الذي لم يجف بعد، دون أن تهاب تفوّق العدو الجوي الكامل. فشل بالمباغتة الطيران المصري الذي كان كلّ الاعتماد عليه.

لكن القوات العربية لم تكافأ بالمجد في النهاية، ليس لقلّة شجاعتها، بل لعوامل عديدة شرحناها في هذه الدراسة.

ان هزيمة ٥ حزيران، مهما بلغت فداحتها، يجب ان لا تضعف في الدول العربية التصميم على التعويض عن الخسارة والتصميم على النصر.

كان لهزيمة ٥ حزيران ردات فعل متنوّعة سياسية وعسكرية.

كانت الهزيمة كبيرة حقاً، ولكنها لن تكون أكبر من اولئك الذين زرعوا، في رمادها وجروحها وثمارها، بذور اليقظة والنصر المبين.

القسم الثالث

الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة

(١٩٧٣)

الفصل الأول

الأوضاع العسكرية بين الحربين الثالثة والرابعة

١ - توطئة

من بين النتائج المهمة التي رتّبتها حرب حزيران ١٩٦٧، ان وحّد الإحتلال الإسرائيلي نحو مليون ونصف المليون من الفلسطينيين على كامل الأرض الفلسطينية الذين كان قيام دولة اسرائيل السنة ١٩٤٨ قد حال دون اتصال تجمعاتهم الثلاثة الكبيرة في الضفة الغربية، وقطاع غزة والمثلث والجليل والنقب. وسارعت الحركة الوطنية الفلسطينية، داخل فلسطين المحتلّة وخارجها، إلى التنسيق من أجل مواجهة الاحتلال الاسرائيلي بأبعاده كافة. فبرزت المقاومة المدنية في المجالات الرئيسية التالية:

(١) - رفض الاحتلال بمختلف أشكاله ومراحله رفضاً قاطعاً.
(٢) - رفض الاجراءات القانونية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية في فلسطين المحتلّة.
(٣) - رفض التعاون مع سلطات الاحتلال، وعدم الاستجابة لمطالبها ورغباتها.
(٤) - تأييد العمل الفدائي ومساندته.

أما المقاومة المسلّحة المتمثّلة بالعمل الفدائي، فقد اتسع نطاقها بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ليشمل جميع الأراضي العربية المحتلّة. وبينما كانت الجهود العربية من أجل عقد قمة عربية خامسة لمواجهة الأوضاع المستجدّة بعد القرار ٢٤٢ تتعثّر وتصطدم بالمواقف المختلفة والتحفظات المعلنة وغير

المعلنة، كانت الساحة الفلسطينية تشهد نشاطاً متواصلاً من أجل تحقيق وحدة الكفاح المسلّح، وتطوير أجهزة منظّمة التحرير الفلسطينية. فقد بدأ تنظيم عسكري تابع لهذه المنظّمة القيام بعمليات فدائية في المناطق المحتلّة باسم قوات التحرير الشعبية التابعة لجيش التحرير الفلسطيني. كما أدّى العدوان الاسرائيلي على بلدة «الكرامة» في غور الأردن، في ٢١ آذار ١٩٦٨ إلى فتح آفاق أرحب للقاء والتعاون بين المنظّمات المقاتلة.(١)

٢ – أوضاع العرب في الأراضي المحتلّة منذ ١٩٦٧ (٢)

سارعت اسرائيل بمجرّد انتهاء العمليات العسكرية في حزيران ١٩٦٧، إلى فرض الحقائق على الطبيعة، تنفيذاً لسياسة التهويد، وخصوصاً في القدس الشرقية وجوارها. فقد أعلنت اسرائيل ضمّها نهائياً القدس العربية وإخضاعها لبلدية واحدة تسيطر عليها السلطات الاسرائيلية، واتخاذها «عاصمة موحّدة أبدية» لها، في ٢٧ حزيران ١٩٦٧.

٢١ - اجراءات التهويد والمصادرة:

نفذت اسرائيل في المناطق المحتلّة منذ سنة ١٩٦٧، سياسة المصادرة والتهويد ذاتها التي نفّذتها في أعقاب حرب ١٩٤٨، متبعة أساليبها المعروفة، وأهمها: (١) - الاستيلاء على أراضي الدولة وممتلكاتها؛ (٢) - الاستيلاء على أراضي الغائبين وممتلكاتهم؛ (٣) - مصادرة الأراضي وإغلاقها تحت ستار «أغراض الأمن»؛ (٤) - إجبار المزارعين على تبديل أراضيهم بأرض في أمكنة أخرى؛ (٥) - «شراء» بعض الأراضي من أصحابها بالحيلة أو بالاغراء. وتمكّنت اسرائيل بهذه الوسائل من الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي العربية، خصوصاً في المناطق المحيطة بالقدس والخليل

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٧٦ - ١٧٧.
(٢) فلسطين، مرجع سابق، ص ١٨٦ - ١٨٧.

ومنطقة غور الاردن ومشارف رفح ومرتفعات الجولان، حيث صادرت اسرائيل آلاف الدونمات، وهدمت قرى بأكملها، كما حدث في قرى يالو وعمواس وبيت نوبا قرب القدس، وهدمت أحياء سكنية عربية مثل حي المغاربة في القدس بهدف توسيع المناطق اليهودية وإحكام قبضتها على المدينة المقدّسة وإقامة الاحياء السكنية اليهودية حولها. وبدأت بشق آلاف الكيلومترات من الطرق في مختلف أنحاء المناطق المحتلّة، لتسهيل وصول قوات الأمن والجيش الاسرائيلي إليها لقمع أعمال المقاومة، ولتمكين السلطات الاسرائيلية من عزل القرى والمدن العربية بعضها عن بعض بإغلاق الطرق المؤدّية إليها. وكانت أبرز إجراءات التهويد وأخطرها ما أصاب مدينة القدس العربية التي لم تسلم حتى الأماكن المقدّسة فيها من عنصرية السياسة الاسرائيلية. فتعرّضت هذه الأماكن للنهب والتخريب وانتهاك الحرمة، وكان المثال الصارخ لذلك، الحريق الذي أشعله عدد من المتعصّبين المتطرّفين من اليهود في المسجد الأقصى بتاريخ ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩، مما أدّى إلى تدمير أجزاء كبيرة من هذا البناء الاسلامي والعالمي الشهير. كما ان الحفريات التي تقوم بها السلطات الاسرائيلية في منطقة الحرم القدسي الشريف، بحجّة التنقيب عن الآثار اليهودية، قد أدّت إلى تصديع بنايات بأكملها، بالإضافة إلى تهديد أسوار الحرم وأبنيته بالتصدّع والانهيار.

٢٢ - الاستيطان:

بلغ عدد المستعمرات التي أقامتها السلطات الاسرائيلية حتى نهاية سنة ١٩٧٠، أكثر من ٢٨ مستعمرة، توزّعت ما بين هضبة الجولان وغور الأردن ومناطق القدس والخليل ومشارف رفح شمال سيناء. وقد اتبعت حكومة العمال الاسرائيلية، في تنفيذ سياستها الاستيطانية، الخطوط العريضة للمشروع الذي عرف باسم «مشروع آلون» نسبة إلى صاحبه الوزير يغئال آلون، على الرغم من عدم إقرار هذا المشروع رسمياً من جانب الحكومة الاسرائيلية. ويعكس هذا المشروع، الذي طرح بعد أسابيع قليلة من الاحتلال

الاسرائيلي، موقف التيار العمالي الصهيوني من مسألة «الدولة اليهودية»، و«الحدود الآمنة»، ومستقبل القضية الفلسطينية. وينطلق هذا الموقف من عدم الاعتراف بالوجود الوطني للشعب الفلسطينين، وبالتالي عدم الاستعداد للاقرار بحقوقه المشروعة، وأهمها حق تقرير المصير. وفي المقابل، يحرص التيار العمالي الصهيوني على نقاء الطابع اليهودي للدولة، وعدم تحويلها إلى دولة ثنائية القومية تضم أقلية كبيرة من السكان العرب. كما يحرص على الاحتفاظ بأكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية التي احتلّت في حرب ١٩٦٧ - من دون سكانها العرب - ضماناً لما اعتبرته اسرائيل حدودها «الآمنة»، وتنفيذاً عملياً لسياستها العنصرية التوسّعية. وهكذا جاء «مشروع آلون» تعبيراً عاماً عن هذه الخطوط العريضة لسياسة التجمّع العمالي الاسرائيلي (المعراخ) الذي بقي يحكم اسرائيل منذ قيامها حتى سنة ١٩٧٧. وينصّ هذا المشروع على ضرورة احتفاظ اسرائيل بمعظم الأراضي المحتلّة، أي هضبة الجولان (فيما عدا تعديلات طفيفة «تجميلية» على الحدود) وغور الأردن ومعظم مناطق الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الموحّدة، ومشارف رفح، مع شريط إقليمي يربطها بمنطقة شرم الشيخ الحيوية لضمان ملاحة اسرائيل في خليج العقبة. ويترك هذا المشروع المجال مفتوحاً أمام إمكان ضم المناطق المزدحمة بالسكان العرب في قطاع غزة ومرتفعات الضفة الغربية إلى الأردن «حيث يستطيع الفلسطينيون أن يجدوا تعبيراً عن هويتهم الوطنية في دولة أردنية - فلسطينية». ولا يعني هذا اكتفاء اسرائيل بتلك المناطق فقط، بل تأجيل عملية «ابتلاع» المزيد من الأرض العربية، بعد تفريغها من سكانها الاصليين، إلى مرحلة لاحقة تكون ظروفها أكثر ملاءمة.

وهكذا انطلقت الحكومة الاسرائيلية في زرع المناطق التي اعتبرتها «حيوية» بالمستعمرات، لخلق الحقائق وسد الطريق أمام أية محاولات دولية لفرض الانسحاب. وقد أقيمت هذه المستعمرات لتكون عملياً قاعدة أمامية للجيش الاسرائيلي، توفر له الحماية والاستطلاع والخدمات العامة وقت السلم والحرب، وبالتالي كانت نسبة كبيرة

من سكان هذه المستعمرات تنتمي إلى المؤسّسة العسكرية الاسرائيلية.

ولم تكتف اسرائيل بمصادرة الأراضي العربية وتوزيعها على المستعمرات فقط، بل عمدت أيضاً إلى قطع المياه، وتجفيف الآبار التابعة للقرى والمزارع العربية، ورش حقول القمح وبساتين الفاكهة بالمواد الكيماوية القاتلة لاتلاف المزروعات ودفع الأهالي إلى التخلي عن أراضيهم ومغادرتها.

٢٣ - قمع المقاومة المدنية:

واصل السكان العرب في المناطق المحتلّة مقاومتهم الاحتلال الاسرائيلي، في مختلف المناسبات، وضمن الإمكانات المتاحة لهم. وشملت مظاهر المقاومة: الاضرابات، وحركات الاعتصام، والتظاهرات السلمية، ومذكّرات الاحتجاج والاستنكار لعمليات مصادرة الأراضي وإجراءات التهويد، ومقاطعة الإدارة العسكرية. وواجهت اسرائيل هذه المظاهر بعنف ووحشية، فأصدرت أحكاماً بالتوقيف والسجن والإقامة الجبرية ضد آلاف من أبناء المناطق المحتلّة، ومارست ضدهم أقسى أساليب التحقيق وأبشعها، مما أدى إلى استشهاد العديد منهم تحت التعذيب أو إصابته بعاهات دائمة. وقد أصدرت المنظّمات الدولية والأجهزة التابعة للأمم المتحدة توصيات عدّة وقرارات تشجب السياسة العنصرية الفاشية التي تتبعها اسرائيل ضد السكان المدنيين في المناطق المحتلّة. ولكن ذلك كلّه لم يثنِ السلطات الاسرائيلية عن سياستها القمعية هذه، بالاضافة إلى قيامها بابعاد العشرات من الزعماء والشخصيات المدنية والروحية إلى الدول العربية المجاورة.

٢٤ - إجراءات اقتصادية واجتماعية وثقافية:

امتدّت إجراءات الاحتلال الاسرائيلي لتشمل مختلف مجالات الحياة في المناطق المحتلّة. فعلى الصعيد الاقتصادي، سعت الإدارة العسكرية لربط اقتصاد المناطق - وخصوصاً الضفة الغربية وغزة - بالاقتصاد الاسرائيلي، تسهيلاً لدمجها بالتدريج، وبالتالي ضمها نهائياً إلى اسرائيل. وقد اتخذت اسرائيل سلسلة إجراءات لهذه الغاية، من بينها: إغلاق المصارف العربية

العاملة في المناطق، وفرض الضرائب والرسوم الباهظة على المنتوجات والعقارات وغيرها، ووضع العراقيل أمام تطوّر الصناعات المحلية الخفيفة، وتقديم تسهيلات في المقابل للمشاريع المرتبطة بالاقتصاد الاسرائيلي لكي تصبح هذه المناطق سوقاً استهلاكية للمنتوجات الاسرائيلية. ولعلّ أخطر مظاهر السياسة الاسرائيلية تجاه اقتصاديات المناطق المحتلّة، هو جذب اليد العاملة العربية إلى القطاع الاسرائيلي، وإغراؤها بالاجور المرتفعة للعمل داخل اسرائيل. وقد أدّى ذلك إلى اندفاع الآلاف من الشبان العرب، وبعضهم تخلّى عن متابعة دراسته، إلى العمل في الاعمال اليدوية الشاقة داخل اسرائيل رغبة في الحصول على أجور مرتفعة - على الرغم من انها بالمقاييس الاسرائيلية أقل كثيراً من أجور العمال الاسرائيليين - تمكّنهم من مواجهة ظروف الحياة القاسية تحت الاحتلال. وعلى الرغم من معارضة بعض الأصوات داخل اسرائيل لهذه الخطوة، بحجّة ان العمال العرب يشكّلون خطراً أمنياً واجتماعياً على الكيان الاسرائيلي، فان حكومة اسرائيل تجاهلت ذلك نظراً إلى المكاسب التي تجنيها من هذه السياسة. من جهة أخرى، وبناء على تعليمات وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك موشيه دايان، طبّقت اسرائيل في الضفة الغربية سياسة «الجسور المفتوحة» مع الأردن، والتي سمحت بموجبها بتسويق منتوجات المناطق المحتلّة، الزراعية (خصوصاً الحمضيات) والصناعية، في الدول العربية، وذلك حرصاً منها على المحافظة على أسعار المنتوجات الاسرائيلية المشابهة مرتفعة داخل اسرائيل وفي الأسواق العالمية من جهة، وأملاً بإبقاء الباب مفتوحاً أمام مشاريع التسوية المختلفة المطروحة في المنطقة.

ولم تقتصر الاجراءات الاسرائيلية على هذه المجالات فقط، بل تعدّتها أيضاً إلى الجوانب التعليمية والثقافية والاجتماعية. فقد فرضت قوانين الرقابة العسكرية على المناهج التعليمية في المدارس وعلى الصحف والمجلات والكتب المتداولة في المناطق المحتلّة، وضمّت قائمة الكتب الممنوعة مئات العناوين. كما لجأت، في مرات عديدة، إلى مصادرة الصحف الصادرة في المناطق وإغلاق مكاتبها، بالإضافة إلى الاستيلاء

على التراث الفلسطيني وتقييد نشاط الجمعيات الثقافية والخيرية والاجتماعية أو منع هذا النشاط. وهنا، أيضاً، نالت اسرائيل نصيباً وافراً من قرارات الشجب والإدانة في مختلف الهيئات الدولية وأجهزة الأمم المتحدة، خصوصاً فيما يتعلّق بالممارسات الاسرائيلية التي تمسّ حقوق الإنسان لسكان المناطق المحتلّة، والتدابير الاسرائيلية لتغيير وضع مدينة القدس، ومطالبة اسرائيل باتخاذ الاجراءات الفورية اللازمة لإعادة السكان إلى منازلهم في المناطق المحتلّة، وتأكيد الحقوق غير القابلة للتصرّف لسكان فلسطين، والاعتراف لشعب فلسطين بحق تقرير المصير، ومطالبة اسرائيل بشدّة بأن تلغي جميع الاجراءات لضم الأراضي المحتلّة أو لاستيطانها.

٣ – الوضع العام قبل نشوب الحرب

٣١ – الصدام الفلسطيني الأردني (١٩٧٠):

فيما كان الاسرائيليون يخوضون صراعاً لا هوادة فيه مع الفدائيين العرب، كانت منظّمة التحرير تغرق الأردن تدريجياً في أزمة جسيمة بالرغم من ان المملكة كانت تساند المنظّمة وتسمح لها بالعمل في الأراضي الاردنية ضد الدولة اليهودية. وكان على الملك حسين أن يصارع من أجل حياته ضد منظّمة التحرير الفلسطينية.

ولاضطرار العاهل الأردني إلى الانحناء أمام إرادة الدول العربية، وجد نفسه في صيف ١٩٧٠ عالقاً في الفخ. ففي التاسع من حزيران حاول الفدائيون الفلسطينيون اغتياله. وفي الأشهر التالية أخذ التوتر يتفاقم بين الجيش الأردني ومنظّمة التحرير ليبلغ ذروته في الأول من أيلول ١٩٧٠، عندما حاول الفلسطينيون مرة أخرى إغتيال الملك. وهذه المرة هاجم الفدائيون موكبه في قلب عاصمته عمان. فنشبت معركة بين المهاجمين والمدافعين، ونجا الملك حسين بفضل برودة أعصابه وشجاعته في أثناء المحاولة إذ أعاد حشر رجاله ليقوموا بهجوم مضاد.

في ١٧ أيلول من السنة ذاتها، ضرب الملك ضربته الكبرى مقتحماً المخيّمات

الفلسطينية في شمال عاصمته. وقد أفلت زمام الأمور فسحق الجيش الأردني الوحدات المقاتلة في منظّمة التحرير. فاستولى الرعب على الفلسطينيين فهربوا طلباً للنجاة ودخل معظمهم سوريا، اما إسرائيل فقد هرب إليها عدّة مئات منهم.(١)

٣٢ - الضفة الغربية لقناة السويس:(٢)

كانت الضفة الغربية لقناة السويس في سنتي ١٩٧١ و١٩٧٢، مسرح نشاط محموم في ظل وقف إطلاق النار. وكان الاسرائيليون يتابعون عن كثب أعمال بناء تحصينات من الباطون المسلّح وتشييد مواقع محصّنة ومدرّأة للمدفعية، ونقل صواريخ واعداد أماكن إنزال بحري لآليات برمائية. وفي بعض القطاعات أقام المصريون على ضفتهم ستائر رملية ترتفع ألى أكثر من ٣٠ متراً. فكانت كلّ مراكز الاسرائيليين من الجهة المقابلة وتحرّكاتهم وتحصيناتهم الخاصة عرضة للمراقبة في كلّ لحظة. وكانت قواعد البطاريات الصاروخية والمدفعية المرتفعة تهدّد كلّ منافذ اليهود في تلك البقعة. وكان المصريون يخضعون وحداتهم المقاتلة لتدريب مكثّف، وكانت الدبابات والمشاة تتقدّم حتى ضفة القناة معيدة ومعيدة الكرة حتى يتمّ اتقانها من قبل القادة والمنفّذين. وكان الجيش المصري ينشر تجهيزات ومعدّات ثقيلة ويبني الجسور معيداً تمثيل أطوار انزال على الضفة الأخرى بكلّ تفاصيلها.

وكان يوجد أمام الجيش المصري معضلة كبرى يجب حلّها ألا وهي وجود السواتر الرملية المنحنية السطح، فكانت وحداته تتمرّن منهجياً على ثقب حواجز الرمل والاتربة بواسطة نوافير مياه قوية ومضغوطة.

وفي جنوب القنطرة، حيث تفترق القناة إلى فرعين لتلتفّ حول جزيرة البلح الاصطناعية، إنشأ الجيش المصري نماذج

---

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٣١٧.

(٢) شارون، مرجع سابق، ص ٣٤١.

سواتر وتحصينات مشابهة للاسرائيليين من أجل مناوراتهم لعبور القناة وهكذا تسنّى لليهود مئات المرات مشاهدة التمرين نفسه: «تشطيط القوارب، ثقب السواتر الحاجزة، جسور مرمية فوق الضفتين وعبور الجنود المصريين إلى سيناء».[1] وكانت بزات الجنود الميدانية تتجاوب كفاية مع ظروف المحيط وألوانه في مختلف القطاعات لتؤمن تمويهاً جيداً للغاية.

وبالرغم من ان وقف إطلاق النار قد وضع حداً لغارات المغاوير المصريين في عمق القطاعات الاسرائيلية، لكن اليهود كانوا لا يزالون يجدون آثاراً لمرورهم بها، إذ كان هؤلاء المغاوير المصريين يعبرون القناة تحت جنح الظلام للاستطلاع عن كثب على المواقع الاسرائيلية ثم يعودون إلى قواعدهم.[1] ان المصريين كانوا يستعدّون جدياً لعبور القناة. «وبدا واضحاً ان المصريين تغيّروا جذرياً منذ حرب الأيام الستة، وأصبحنا الآن حيال جيش يحفزه هدفٌ محددٌ جداً، وهو قادر تماماً على تحليل المشاكل وإيجاد الحلول لها، ودائب على بلوغ الأرب من دون ان يهمل أقل تفصيل».[2]

كانت هذه التبدلات قد بدأت تظهر في حرب الاستنزاف.

٣٣ - حرب الاستنزاف (١٩٦٧ - ١٩٧٠):

بعد السنة ١٩٦٧، والتوقيع على قرار وقف إطلاق النار، استمرّت اسرائيل في تعزيز مراكزها وبناء التحصينات الضخمة وتنفيذ إجراءات التهويد واستعمار أجزاء هامة من الأراضي العربية، وتوطين اسرائيلين فيها. أمام هذا الواقع، اعتبر الرئيس المصري جمال عبد الناصر أن وقف إطلاق النار قد استمرّ بما فيه الكفاية الأمر الذي يضرّ بمصالح الدول العربية عامة ومصر خاصة، لذلك قرّر شنّ حرب استنزاف (Guerre d'usure) ضد الجيش الاسرائيلي

---

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(٢) هذا ما قاله شارون في تقرير له عام ١٩٧١ - ١٩٧٢.

في سيناء. ويمكننا تعريف حرب الاستنزاف بما يلي:

«هو الصراع المسلّح بين طرفين لا يتمكّن أي منهما، لأسباب سياسية أو عسكرية، من زج الكتلة الرئيسية لقوته الضاربة في العملية لحسم الموقف، فيستعيض عن ذلك بعدد كبير من الاشتباكات المحدودة التي قد تمتدّ لفترة زمنية طويلة».

ومن المعروف والمسلّم به ان حرب الاستنزاف تؤدّي إلى إنقاص عديد قوة العدو البشرية بشتى الوسائل وتحدث انهياراً وتفرقةً وتفكّكاً داخلياً وتؤثّر في معنويات القوات المسلّحة وتفقدها الأمل بالنصر والسلام، وتحرم العدو أيضاً من موارده الاقتصادية وإمكاناته الزراعية وطاقاته الصناعية ووسائله التجارية أو اضعافها أو تخريب بعضها الأمر الذي ينعكس على وضعه العسكري.

كان الهدف من حرب الاستنزاف هذه، تحقيق الأمور التالية:

أ - على الصعيد الداخلي:

إبراز نشاط عسكري من شأنه تهدئة نفاد الصبر المتزايد لدى الرأي العام وخاصة بالنسبة إل الضباط المصريين، ومن تقوية الجبهة الداخلية ورفع معنويات الشعب.

ب - على صعيد اسرائيل:

- عدم تمكينه من الاستفادة من فترة وقف إطلاق النار حتى لا تتحوّل خطوط المواجهة إلى حدود دائمة.
- تحطيم خط الدفاع الاسرائيلي المسمّى «خط بارليف».
- تدمير قسم من آلة الحرب الاسرائيلية في بقعة المجابهة.
- تكبيدها أكبر قدر ممكن من الخسائر.

ج - على الصعيد الدولي:(١)

- الضغط على اسرائيل للقبول بالانسحاب من الأراضي العربية التي جرى احتلالها بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧.

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٢٨٢ - ٢٩٤ - ٢٩٨.

- إثارة جو من التوتر يشغل الرأي العام العالمي ويرغم الدول الكبرى على التدخّل لمصلحة مصر.

د - الاستنزاف:(١)

بدأت حرب الاستنزاف بعد نهاية حرب السنة ١٩٦٧، بأشهر قليلة عندما بدأت القوات المصرية سلسلة من رشقات المدفعية المكثّفة مقرونة بكمائن ضد القوات الاسرائيلية المعسكرة على الضفة الشرقية للقناة. في ما بعد، في بداية أيلول ١٩٦٧، كان الملوك والرؤوساء العرب المجتمعون في الخرطوم قد اتفقوا على ما دعي «اللاءات الثلاث»: لا للمفاوضات مع اسرائيل لا للاعتراف باسرائيل، لا للصلح مع اسرائيل.

في منتصف أيلول وزع المصريون مدفعيتهم الثقيلة، مستهلّين بذلك تراشقاً مدفعياً عبر القناة؛ وفي ٢١ تشرين الأول أغرقت صواريخ مصرية الغواصة الاسرائيلية «ايلات»، التي كانت تقوم بأعمال الدورية، مع طاقمها المؤلّف من ٤٧ رجلاً. وبعد ٤ أيام وعلى سبيل الانتقام دمّرت المدفعية الاسرائيلية، المجمع البترولي والبتروكيماوي الواقع في ضاحية مدينة السويس.

وفي هذه الأثناء كانت مصر تعمل بسرعة شديدة على إعادة بناء جيشها وطيرانها الحربي، مع مساعدة كثيفة من الاتحاد السوفياتي بتجهيزات شديدة التعقيد مرفقةً بمستشارين عسكريين سوڤيات.

هـ - خط بارلييف:(١)

في العام ١٩٦٨، قرّر الاسرائيليون أن يبنوا خطاً حصيناً على طول قناة السويس كردّ على قصف المصريين المدفعي المتواصل وعلى مشاريعهم الهجومية. وقد سمي بخط بارلييف تيمّناً باسم الجنرال اليهودي بارلييف قائد الجبهة آنذاك. وكان الاسرائيليون يأملون بأن هذه التحصينات ستحمي قواتهم من المدفعية المصرية وتؤمّن لهم في الوقت نفسه مراكز مراقبة متقدّمة. وفي حال هجوم مصري تكون التحصينات فاعلة لوقف زخم الهجوم على خط الماء ولمنع

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٢٨٢ - ٢٩٤ - ٢٩٨.

القوات المتقدّمة من إقامة رأس جسر في شبه جزيرة سيناء. وهذا الخط مدعو أيضاً للعب دور سياسي: إبراز السيطرة اليهودية في الواقع على كلّ سيناء.

في ١٨ أيلول ١٩٦٨ قام المصريون بهجوم كبير مباغت للمدفعية، نتج عنه خسائر فادحة بين القوات اليهودية. وهذا الخط كان كناية عن شبكة دفاعية تعتمد على نظام من السواتر الرملية العالية على امتداد القناة، وغرف محصّنة (أطمات) تحت الأرض ومزالق للدبابات ومخازن للتموين والذخيرة وطرقات للدوريات إلى جانب مراكز مراقبة متقدّمة ومحصّنة للغاية. لقد كانت قوّة النيران المصرية أقوى بكثير من مثيلتها اليهودية على ضفة القناة. وللانتقام قام اليهود في ٢٩ تموز بإرسال وحدة من الضفادع البشرية لغزو جزيرة غرين فدمّرتها، وهي كانت كناية عن حصن يقع على الطرف الشمالي لخليج السويس، فيه رادارات ومدفعية مضادة للطيران تسيطر على المجال الجوي.

في بداية ١٩٧٠، أرسل السوفيات شحنات كبيرة من صواريخ سام ٣ المضادة للطائرات، وكانت حينذاك من أكثر الأسلحة تقنية إلى جانب عدد من طائرات الميغ ٢١ (١٠٠ طائرة) لحماية الأجواء المصرية. حرّكت الصواريخ باتجاه القناة ووسّعت طلعات الميغ ٢١ منطقة طيرانها من فوق القاهرة باتجاه الشرق.

في١٢ حزيران ١٩٧٠، عبرت قوات اسرائيل القناة إلى الضفة الغربية شمال القنطرة وحطّمت أثناء الليل المواقع المصرية على جبهة ٣ كلم. وفي ٣ تموز أسقطت ٥ طائرات ميغ ٢١ يقودها طيارون سوفيات. في ٧ آب ١٩٧٠، تمّ الاتفاق على وقف إطلاق النار الذي أنهى حرب الاستنزاف وتمكّن المصريون خلاله من دفع بطاريات السام ٣ إلى الأمام باتجاه ضفة القناة إلى الشرق وأصبح المجال الجوي فوق القناة محظّراً على الطائرات الاسرائيلية من طراز فانتوم وسكايهوك مما جعل المدفيعة المصرية ترتاح إلى وضعها بالقصف المكثّف في حال استؤنفت حرب الاستنزاف.

و - اختصار المناوشات:(١)

كانت اسرائيل تدفع يومياً في سماء قناة السويس بما يعادل ١/٦ قوتها الجوية. وقد بلغت طلعاتها الجوية بين أول كانون الثاني وحتى نهاية نيسان ١٩٧٠ الآلاف. وقد ألقت بعشرات آلاف أطنان المتفجرات. واعتباراً من ٣١ ايار ١٩٧٠، كثّف العدو غاراته حتى وصلت إلى ٤٠٠ طلعة في غارة امتدّت لعشر ساعات ألقت فيها ألفي طن من القنابل.

كان الطيران الاسرائيلي يغير على المراكز المصرية بتشكيلات منتظمة وجريئة، قبل دخول سلاح الطيران المصري المعركة. وعندما بدأت الطائرات المصرية تعترض طائرات العدو، قلّت طلعاته بشكل ملحوظ ا وعندما بدأت تضرب المواقع الاسرائيلية في أعماق سيناء، أصبح عدد الطائرات المغيرة قليلاً بشكل ملحوظ أيضاً، لأن سلاح الطيران كان عليه حماية سماء الأرض المحتلّة من الغارات المصرية الناجحة.

لقد استطاعت كتائب المدفعية المضادة للطائرات، إفشال خطة اسرائيل بتدمير الخط الأول المحصّن من الجبهة المصرية، إذ ما ان تظهر الطائرات المعادية على شاشات الرادار، حتى تنشط المدفعية بشكل ستار من النيران المركّزة حول المواقع المصرية، مما يجعل قصفها أمراً مستحيلاً. وعبثاً كانت تحاول الطائرات العدوّة تخطي هذا الستار.(٢)

بعد مرور شهرين فشلت الطائرات الاسرائيلية بوقف حرب الاستنزاف وشملت خيبة الأمل الأوساط العسكرية والمدنية الاسرائيلية، كما انها عجزت عن تحطيم الروح المعنوية المصرية بالرغم من اختيار الأهداف المدنية مجالاً لنشاطها العدواني في وادي النيل، بعيداً تماماً عن مواقع الخطر. فقد قصفت معمل «أبو زعبل»

(١) الاحدب، عزيز، اليوم السابع لحرب حزيران، ج ١، الدار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢.
(٢) الأحدب، مرجع سابق، ثاني، ص ٤٤ إلى ٤٨.
- الخارطة رقم ٢١ و٢٢.

الذي ذهب ضحيته ٧٠ أو ٨٠ قتيلاً من العمال المدنيين وعدداً كبيراً من الجرحى. ثم قصفت مدرسة «بحر البقر» في محافظة الشرقية بمصر فقتلت ٤٦ تلميذاً.(١)

لقد تمكّنت مصر، بواسطة صواريخ سام ٣ السوفياتية من إسقاط عدد كبير من طائرات العدو، لذلك أوقف غاراته في العمق.(١)

ز - الخسائر:(٢)

اختلفت التقديرات العربية والاسرائيلية للخسائر بالنظر إلى اعتبارات تتعلّق بالاثر النفسي والعسكري لإعلان الإصابات الحقيقية ولطريقة تقدير عدد الإصابات.

(١) - الإصابات البشرية (١٩٦٧/٦/٢١ - ١٩٧٠/٦/٣):

مصدر الاحصاءات	الإصابات الاسرائيلية		الإصابات العربية		ملاحظات
	قتلى	جرحى	قتلى	جرحى	
عربية	٥٠٠٦	٩١١٠	٢٨٧٤	٤٠٠٠	
اسرائيلية	٧٦٣	٢٢٠٠	٧٥٠٠	غير محدود	
اليونايتدبرس	٩٢٣٩	٩٧٠٠	لم يذكر	لم يذكر	
رويتر	٤٠٠٠	١٢٠٠٠	لم يذكر	لم يذكر	

(١) الأحدب، مرجع سابق، ثاني، ص ٤٤ إلى ٤٨.
- الخارطة رقم ٢١ و٢٢.
(٢) شارون، مرجع سابق، ص ٢٩٨.
- الاحدب، مرجع سابق، ص ١٩٣ - ١٩٦.

(٢) - الخسائر الاقتصادية العربية:

منيت دول المواجهة العربية مع اسرائيل بخسائر اقتصادية ملموسة نتيجة عمليات الاستنزاف وهي تدمير:

١ - قسم كبير من مدن القناة ومنشآتها الاقتصادية.

٢ - عدد كبير من المنازل الاردنية في منطقة الغور، وكذلك قسم من قناة الغور الشرقية.

٣ - عدد من منازل قرى الجنوب اللبنانية.

٤ - بعض المنازل والمنشآت في سوريا.

وتقّدر المصادر الاسرائيلية كلفة الاستنزاف الاقتصادية بالنسبة إلى مصر بمبلغ ٣٥٥ مليون دولار سنوياً.

أما بالنسبة إلى الأردن ولبنان وسوريا فقد قدّر الدكتور يوسف عبدالله صايغ كلفة تعطيل دورة الحياة الاقتصادية الناتجة عن الاعتداءات الاسرائيلية بمبلغ ٥٠ مليون دولار كما قدّر ان الكلفة المباشرة لعمليات الاستنزاف التي تترتب على السلطة العسكرية في كلّ من لبنان وسوريا وعلى حركة المقاومة ككلّ، لا تقل عن ١٠٠ مليون دولار.

(٣) - الخسائر الاقتصادية الاسرائيلية:

ان اسرائيل لم تصب بأضرار وتدمير من النوع الذي أصيبت به البلدان العربيّة لأن منطقة المجابهة مع مصر بعيدة عن التجمعات الاسرائيلية السكانية ولأن أياً من جيوش الأردن وسوريا ولبنان لم يقم بعمل استنزافي بل حصرت عمليات الاستنزاف بالفدائيين.

ومن الأكيد ان العمل الفدائي المنطلق من لبنان والأردن وسوريا آذى الاقتصاد الاسرائيلي كما انه دمّر داخل اسرائيل منازل ومعامل وطرق مواصلات.

على اننا نقدّر ان حملة الكلفة الاقتصادية الناتجة مباشرة عن هذا التدمير متدنية، وان تكون كلفة رفع مستوى التعبئة العسكرية لمجابهة الفدائيين ذات نسبة أعلى.

وقد بحثت مجلّة (دير شبيغل) التي تصدر في (هامبورغ) بالمانيا الغربية موضوع الاستنزاف في الجانب الاسرائيلي فقالت:

«ان اسرائيل بغاراتها على مصر لا تلحق بها الخسائر وإنما تعود تلك الغارات على الخزينة الاسرائيلية بالخسائر المالية الفادحة.

فكلّ طائرة اسرائيلية تقلع لضرب موقع عربي تكلّف خزينة الدولة ٣ آلاف و٥٠٠ دولار تقريباً من قنابل ووقود، وإقلاع نفس الطائرة مرات عديدة في اليوم الواحد.

وكلّ هجوم بالدبابات على الدول العربية يكلّف الاسرائيليين ٦ آلاف و٥٠٠ دولار من وقود وذخيرة للدبابة الواحدة. وان تعدّد سقوط الطائرات أو تعطّل الدبابات يعتبر خسارة مالية ضخمة لاسرائيل. فطائرة (فانتوم) يبلغ ثمنها ٣,٨ مليون دولار تقريباً، وثمن الدبابة من طراز (سانتوريون) يعادل ١٢٠ ألف دولار».

٤ - الخسائر بالطائرات:

- تقول المصادر الاسرائيلية:

ان اسرائيل فقدت ٢٣ طائرة منها ١٣ على الجبهة المصرية، وان الدول العربية فقدت ١٣١ طائرة عربية منها ١٠٢ طائرة مصرية.

- أما المصادر العربية فتقول:

ان اسرائيل فقدت ٢٥٦ طائرة منذ حرب حزيران ١٩٦٧ منها ١٨٠ أسقطتها مصر، و٥١ طائرة أسقطها الأردن، و٢٥ طائرة أسقطتها سوريا. ولكن المصادر الغربية تعتقد ان الارقام العربية والاسرائيلية مبالغ بها.

كلفة حرب الاستنزاف الاجمالية بالدولارات:

البلدان العربية والمقاومة	الكلفة العسكرية ٢٥٠	تعطيل الاقتصاد ٤٠٥	المجموع ٦٥٥
اسرائيل	الكلفة العسكرية ٢٥٠	تعطيل الاقتصاد ٥٠	المجموع ٣٠٠

نستطيع ان نخلص إلى ان الأعباء الاقتصادية للصراع العربي - الاسرائيلي في مجمله مرتفعة جداً وتفعل بالتأكيد في ضغط معدّلات النمو. على ان هذه الأعباء - على ارتفاعها - تبقى ضمن قدرة كلّ من الاقتصاد العربي والاقتصاد الاسرائيلي على التحمّل، إذا ما أضفنا إلى موارد بلدان المواجهة عمقها الاقتصادي العربي وإلى موارد اسرائيل عمقها الاقتصادي اليهودي العالمي والاستعماري.

ح - الدروس المستخلصة:[1]

(١) - أظهرت حرب الاستنزاف انها اعتمدت على:

- أساليب عسكرية جديدة ذات كفاءة متزايدة في التخطيط والتنفيذ.
- قدر أكبر من المبادرات الفردية للضباط والرتباء والأفراد كما اتضح في معركة جزيرة شدوان.
- إستخدام المدفعية بصورة أدق وأكثر كفاءة، إغارات القوات الخاصة وعمليات القناصة والطيران في بعض الأحيان.
- مواكبة العمليات، بتدريبات مستمرّة على أعلى مستوى ولمختلف الأغراض، وتطعيم مستمرّ بروح القتال والحرب.

(٢) - كما أكّدت عمليات المواجهة العسكرية مع الاسرائيليين الأمور التالية:

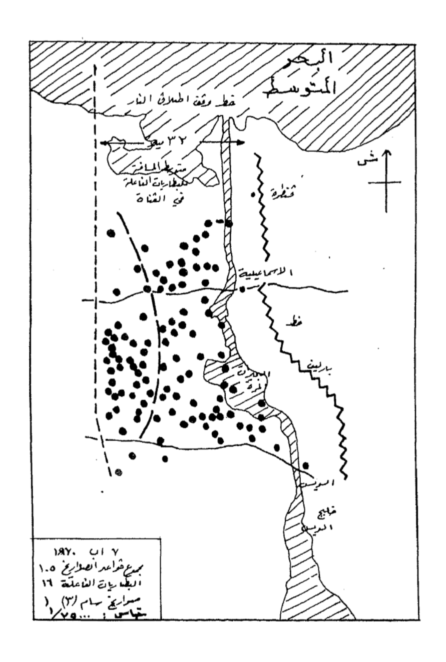
- كفاءة المقاتل المصري تدريباً وتسليحاً وروحاً قتالية عالية.
- كفاءة الطيار المصري في ضربه لأهداف العدو بدقّة، واعتراض طائراته المغيرة.
- نجاح القوات المصرية الخاصة في ضرب أهداف العدو، في عمق سيناء ونقل اشتباكات المواجهة إلى الخطوط الخلفية للعدو، في تلاحم مباشر مع قواته، وذلك باعتراف العدو نفسه.
- كفاءة وسائل الدفاع الجوي في مواجهة غارات الطيران الاسرائيلي وعدم تمكينه من تحقيق أهدافه.

---

(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ٩٧ - ١٠٠.
- شارون، مرجع سابق، ص ٢٨٤ - ٢٩٥ - ٢٩٩.

الخارطة رقم ٢١[1]

قواعد الصواريخ والمدفعية

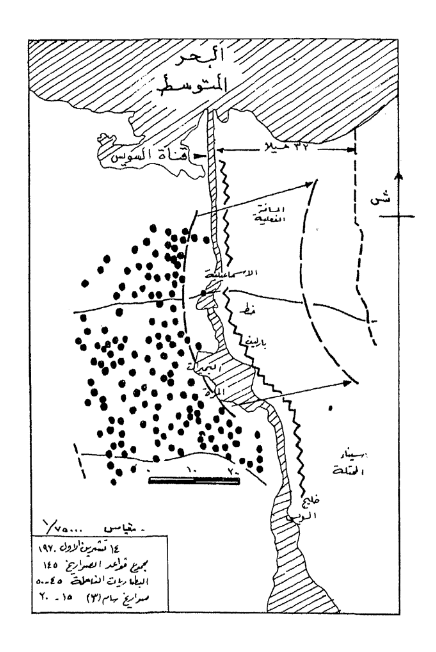


---

(١) شارون، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ٧٢.

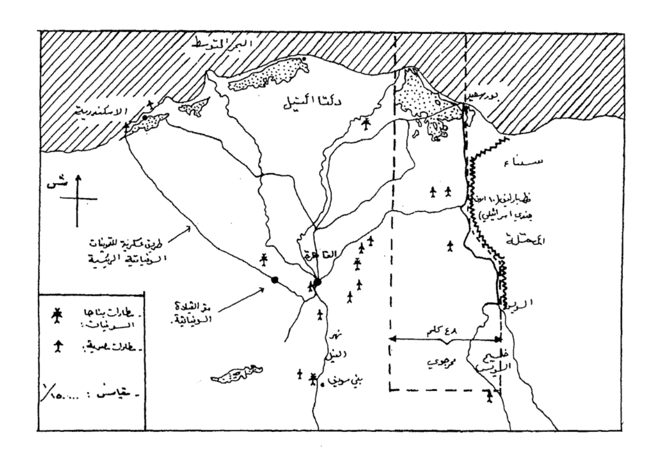
الخارطة رقم ٢٢

قواعد الصواريخ والمدفعية



الخارطة رقم ٢٣(١)

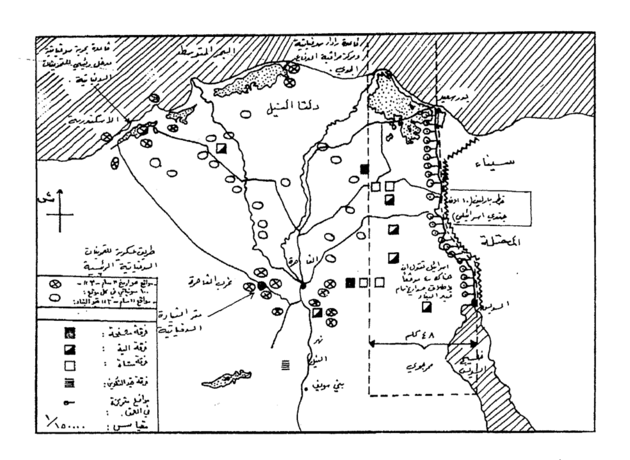
المطارات المصرية



(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ١١٥ - ١٤٤.

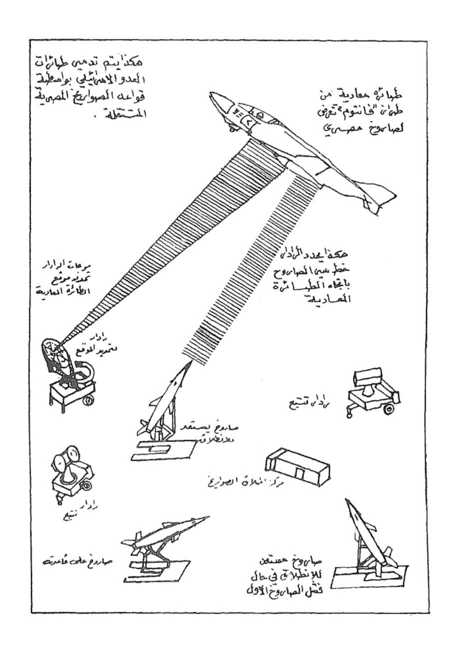
الخارطة رقم ٢٤[١]

الطرق العسكرية



(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ١١٥ - ١٤٤.

خطيطة مشهدية لعمليات تدمير الطائرات الاسرائيلية بواسطة الصواريخ[١]



(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ٧٥.

الطيّارون الاسرائيليون الذين أسقطتهم صواريخ سام



الطيار ليفي نوف اموس .

الطيار ايزاك بيير .

الطيار جيورا جاكوب روم .

الطيار سـير بن ايال انكار .

٦١

الطيّارون الاسرائيليون الذين أسقطتهم صواريخ سام



الرائد الطيار ايال اخي كال .

الطيار النقيب زامير اموز .

النقيب طيار ايجال .

الطيار الاسير نسيم اشكنازي .

- كفاءة المدفعية المصرية في إصابة أهدافها بدقّة وضرب محاولات العدو المستمرّة أو تدعيم خطه الأول إلى جانب تغطية عمليات العبور والعودة.
- نجاح ويقظة أجهزة الرصد المصرية في تتبع تحرّكات العدو الأرضية والجوية بدقّة.

(٣) - تأثير حرب الاستنزاف:

- أدّت حرب الاستنزاف إلى حدّ بعيد وفقاً لما قاله (جورج منان) مراسل مجلّة (باري ماتش) الفرنسية، في اسرائيل إلى:
* تجميد حركة القوات الاسرائيلية في سيناء داخل خنادق ثابتة.
* إنهاك الجنود مادياً ومعنوياً، وهم قابعون في خنادقهم لا يستطيع واحدهم أن يرفع رأسه حتى لا تخترقه على الفور رصاصة قناص مصري.

- إنزال خسائر يومية باسرائيل:

لقد أدّت حرب الاستنزاف إلى تركيز أنظار حكومة اسرائيل على جبهة القناة التي تمتدّ لنحو ١٦٠ كلم وحيث يتساقط فيها كلّ يوم قتلى، تدوي أخبارهم في كلّ أنحاء اسرائيل. وتزيد شعور المواطنين الاسرائيليين بأن ما وعدهم به قادتهم في عدوان ٥ حزيران ١٩٦٧ لم يتحقق، وان إمكانية تحقيقه تزداد صعوبة يوماً بعد يوم.

اسرائيل تعترف:

في ٣ آب ١٩٦٩، قال موشى دايان في مؤتمر حزب العمل (الماباي) ما يلي:

«منذ حرب الأيام الستة مرت مراحل من الهبوط والتصاعد في عدد خسائرنا على الجبهة المصرية فكان معدّل الإصابات في البداية أقل من عشر إصابات شهرياً. أما في مراحل التصاعد فقد وصل هذا العدد إلى ٤٠ - ٥٠ إصابة شهرياً. وخلال الفترة الأخيرة بلغ عدد الإصابات عندنا ٣٦٢ إصابة منها ٦٩ قتيلاً أي بمعدّل ٧٢ إصابة شهرياً».

وقد ندّدت الصحف الاسرائيلية علناً بعجز السلطات العسكرية الاسرائيلية عن حماية قواتها وخاصة الموجودة منها في جبهة السويس. وقالت بعض هذه الصحف انه ليس باستطاعة اسرائيل أن تتحمّل مثل هذه الخسائر لوقت طويل. وقد التقت هذه الصحف في الرأي مع الدكتور ناحوم

غـولـدمـان، رئـيس المؤتمر الـيـهـودي الـعـالمي الـذي أعـلـن في تصـريـح لـه بـأن الـتـفـوّق مضمون في المدى الطويل للعرب.

وقبل وقف القتال، وكانت قبضة مصر العسكرية قد بدأت تضغط بعنف حول عنق اسـرائـيـل، اعترف مـراسـل إحـدى وكـالات الأنباء الأجنبية بقوله انه لاحظ على جنود اسرائيل في الأيام الأخيرة علامات الضيق والاسـتـيـاء والـتـذمّر الشـديـد بسبب شـدّة النيران المصرية وعنفها.

ونصح في نهاية تقريره العسكري إيجاد حلّ سريع لهذه الظاهرة الخطيرة حتى لا يـفـقـد الجندي الاسـرائيلي الروح القتالـيـة وتنهار معنوياته.

وفي الوقت ذاته اعترفت صحيفة معاريف بـالـنـشـاط الـعـسـكـري المصري المتـزايـد واعترفت صراحة بأنه يعود إلى الشعور بالثقة والأمن المتزايد لدى المصريين.

ان سقوط عدد من طائرات سكاي هرك وفانتوم على جبهة قناة السويس وفي سوريا، كسر لدى الاسرائيليين لوح الزجاج الذي كان يدعي المعنويات القوية والتدريب العالي لطياريهم.

كـان اتـكـال اسـرائـيـل عـلى جبـهـة قـنـاة السويس يتمثّل في وجود الطيارين المرتفعي المعنويات، والطائرات الحديثة البعيدة المدى (فانتوم وسكاي هوك).

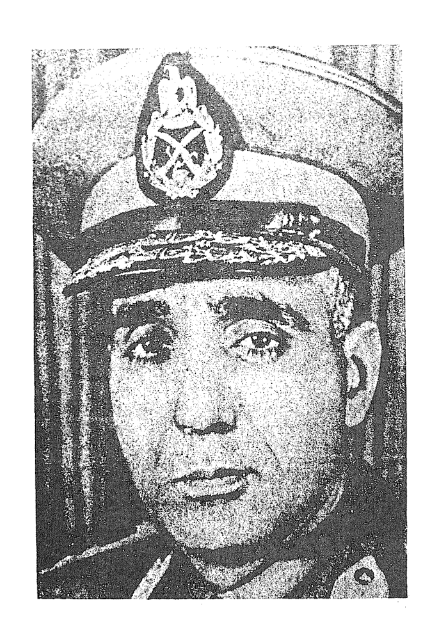
فبانكسار المعنويات الانسانية، كادت ان تختفي من الوجود أهمية اللائحة الكاملة للاسلحة والمعدات الاسرائيلية.

ان الذي كسر هذه المعنويات هو المقاتل الـعـربـي الـذي مـا فـتـئـت أجـهـزة الاعـلام الغربية والاسرائيلية تصفه بأنه بلا معنويات. هـذا المقـاتـل الـذي تـعـلّم الجندية براً وجواً وبحراً وسار في منطلقاتها بنجاح وثبات.

السيرة الذاتية للفريق عبد المنعم رياض

بـتـاريـخ ٨ آذار ١٩٦٩، بـدأت المدفـعـيـة المصرية، بتخطيط من الفريق عبد المنعم ريـاض، بضـرب المنشـئـات الـعـسـكـريـة الاسـرائـيـلـيـة عـلى الضـفـة الشرقية لقناة السويس. وفي ٩ آذار وبينما كان الفريق عبد المنـعـم رياض يـؤدّي واجبـه بين جـنـوده في موقع «المعدية» رقم ٩ على مرمى البصر من

الفريق عبد المنعم رياض



مدفعية الاسرائيليين الثقيلة، المتمركزة على القناة، وفي خضم القصف المتبادل، سقطت قذيفة بالقرب من القائد المصري أدّت إلى استشهاده. والجدير بالذكر ان خطة عبد المنعم رياض قد نجحت بعد ٥٣ يوماً من استشهاده في تدمير ٦٠٪ من خط «بارليف» كما أعلن الرئيس المصري جمال عبد الناصر في الأول من أيار ١٩٦٩.

كان الشهيد عبد المنعم رياض، رمزاً للكفاءة والاخلاص في كلّ منصب شغله منذ كان رئيساً لأركان حرب سلاح المدفعية عام ١٩٦٠، ثم نائباً لرئيس شعبة العمليات في الأركان العامة. وحين تقلّد بعد ذلك منصب مستشار قيادة القوات الجوية لشؤون الدفاع الجوي العام ١٩٦٢، ثم منصب رئيس أركان القيادة العربية الموحّدة العام ١٩٦٤، ثمّ قائداً لجبهة الأردن عام ١٩٦٧، حتى تعيينه رئيساً لأركان القوات المصرية المسلّحة في ١١ حزيران ١٩٦٧، حيث قام بجهد كبير في إعادة بناء القوات المصرية المسلّحة.

كان الفريق عبد المنعم رياض رمزاً للنبوغ والتفوّق في كلّ دراسة عسكرية رشح لها. وقد أطلق عليه لقب «الجنرال الذهبي» خلال دورة دراسية اشترك فيها العام ١٩٥٨ في كلية «فرونزه» العسكرية بالاتحاد السوڤياتي. كان قد حصل على درجة الماجستير بامتياز من كلية أركان الحرب المصرية العام ١٩٤٤، وعلى الماجستير بامتياز من أكاديمية «ناصر» العسكرية العليا العام ١٩٦٦.

قال عنه أخصامه في اسرائيل: «اننا نحيّيه مثل أي رجل عسكري آخر... انه كان من الضباط المصريين الذين خرجوا بسجلّ مشرّف من حرب ١٩٦٧... كان عبد المنعم رياض ضابطاً شجاعاً وأفضل جنرالات الجيش المصري».

٤ – بعض وقائع العمليات العسكرية في الجبهات قبل حرب ١٩٧٣

٤١ - على جبهة سيناء:

- معركة رأس العش:[1]

كانت معركة رأس العش بداية الصمود والمقاومة العنيفة التي أبدتها القوات

(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ١٦ - ١٩.

المصرية. وقد حصلت هذه المعركة في أول تموز ١٩٦٧.

خطة العدو:

كانت الخطة الاسرائيلية في الأساس، القيام بهجوم صاعق للاستيلاء على قناة السويس بالاتفاق مع الولايات المتحدة.

وكان الدكتور محمود فوزي إول من نبّه عن وجود مثل هذه الخطة من نيويورك. فقد كانت أوساط الوفود الاميركية والبريطانية في الأمم المتحدة تقول علناً ان قناة السويس لم تعد مجرّد ممرّ مائي في خدمة شعوب العالم، بل أصبحت سلاحاً سياسياً يستخدمه عبد الناصر، للضغط في الميدان الدولي، وهذا ما لا يمكن السكوت عنه.

الاعداد الاسرائيلي للمعركة:

علمت الاستخبارات المصرية ان الولايات المتحدة هيأت مجموعة من الرافعات لتكون جاهزة للعمل عندما تنجح اسرائيل في الاستيلاء على الضفة الغربية للقناة، لتعزيلها حالاً من البواخر التي دمّرت في المياه، وتعيق حركة المرور فيها، وانه في حال نجاح الخطة فان الأميركيين والانكليز والاسرائيليين متفقون على تدويل القناة.

وتلقّت القاهرة معلومات أكيدة عن ارتفاع عدد المتطوّعين الذين يتدفّقون على اسرائيل من اميركا وبريطانيا والمانيا الغربية واستراليا وايطاليا ورومانيا. وان اسرائيل تحاول إيهام الرأي العام بأن هؤلاء المتطوّعين قد جاؤوا للعمل في المزارع والمصانع مكان الجنود الذين يرابطون على الحدود. أما الحقيقة فان قسماً كبيراً من هؤلاء المتطوّعين هم من المرتزقة المتخصصين في الطيران والميكانيك واللاسلكي، وقسماً آخراً من العسكريين البارزين.

الاعداد المصري للمعركة:

قبل ان تكمل اسرائيل استعداداتها تحرّكت القوات المصرية على الضفة الغربية للقناة، وقامت قيادة الجبهة بإخلاء دفعة جديدة من السكان، حتى لم يبق من مناطق القناة أكثر من عشرين في المئة من العائلات ثمّ عمدت إلى تحصين القرى وتعزيز قواتها في (بور توفيق) و(رأس العش).

القوات المتواجهة:

لم تكن اسرائيل تملك قوات كثيفة في مراكزها المتقدّمة على القناة، لأن حشد مثل هذه القوات يجعلها لقمة سائغة لأية ضربة مصرية مفاجئة. فكانت تحتفظ بقوّة لا تزيد عن الخمسة آلاف جندي في القنطرة، وكانت الخطة تقضي بنقل قوات ضخمة إلى الخطوط الأمامية بمجرّد قيام سلاح الطيران بضربة مفاجئة، وإنزال قوات مجوقلة وراء الخطوط المصرية على الضفة الغربية للقناة.

وفوجئت اسرائيل بتحرّك القوات المصرية على جبهة بور توفيق ورأس العش، (وهي الجبهة الوحيدة التي تسيطر عليها القوات المصرية على الضفة الشرقية).

فنقلت قسماً من مدفعيتها الثقيلة وحشدت قوات قدّرت بثلاث كتائب وزّعتها على طول الضفة الشرقية، ثم راحت تقوم بسلسلة تحرّشات تهدف إلى التعرّف على درجة الاستعداد العسكري للقوات المصرية المرابطة أمامها.

المعركة:

بدأت المناوشات بتبادل النار بالهواوين ثمّ لم تلبث ان اشتركت المصفحات ثم الدبابات... وحاولت القوات الاسرائيلية التقدّم نحو رأس العش؛ فإذا بالقوات المصرية تفتح عليها نيراناً كثيفة تنزل بها خسائر فادحة، وتصمد في مراكزها بالرغم من قلّة عددها وعدّتها.

ودامت محاولات تقدّم العدو، مدّة عشرة أيام اضطر في نهايتها إلى الانسحاب خاصة بعدما تدخّل الطيران المصري (على الرغم من خروجه محطّماً من حرب ٥ حزيران) وقدّم معاونة فعالة للقوات الأرضية كان لها أثرها في مواجهة العدو والاحتفاظ برأس جسر شرقي القناة، ومما عزّز موقف القوات المصرية دخول الاسطول السوڤياتي إلى بور سعيد.

- معركة إنزال القوارب في القناة:

في ١٤ تموز ١٩٦٧ حاول الاسرائيليون إنزال قوارب لهم في القناة، لإثبات السيطرة الاسرائيلية عليها، ولكن القوات المصرية على الضفة الغربية من القناة كانت لهم

بالمرصاد فما ان انزل أول قارب حتى أصابته وأسرت اثنين من بحارته. وقد اعترف الأسيران بأنهما كانا يركبان قارباً في قناة السويس ففتحت عليهما النيران فاختفيا وراء إحدى «الشمندورات العائمة» في القناة حيث ألقي القبض عليهما. وقد اعترف الملازم (يعقوب كاهانوف) بأن التعليمات التي أعطيت إليه مع زميله... ان يتجها في مياه القناة لمسافة كلم واحد وقد اختير يوم ١٤ تموز بالذات لأنه اليوم الذي وصل فيه مراقبو هيئة الأمم المتحدة.

وذكر (كاهانوف) في حديثه انه لم يسبق نزول أي قارب اسرائيلي قبل ١٤ تموز وقال انه كانت هناك قوارب أخرى تقوم بنفس المهمة في مواقع أخرى من القناة. وأشار الاسيران في حديثهما ان الهدف من مهمتهما كان سبباً سياسياً ولم يكن سبباً عسكرياً.

- عمليات في عمق سيناء:

في ١١ تموز ١٩٦٩، قامت قوات من الجيش المصري بعمليتي عبور ضخمتين لقناة السويس فجراً ومساء حيث هاجمت عدداً من مواقع اليهود في الضفة الشرقية للقناة وألحقت خسائر فادحة بالجنود الموجودين هناك.

اقتحمت دورية تقدّر بفصيلتي مشاة مدعومة بعناصر من الهندسة العسكرية موقعاً عسكرياً حصيناً للعدو في منطقة القرش شمال الاسماعيلية وهو من مواقع العمق القريب من دفاعات العدو ومحصّن بالاسلاك الشائكة والالغام من جميع الاتجاهات.

وقد تمّ الاقتحام بصمت ومن غير مساندة بالنيران، وعادت الدورية إلى قاعدتها بكامل عديدها وعدّتها.

كما قامت سرية كاملة من القوات المصرية بعملية عبور لقناة السويس عند منطقة لسان «بور توفيق» وهاجمت مواقع العدو الحصينة ودمّرتها وقتلت وجرحت ما لا يقلّ عن ٤٠ من أفراده وأسرت أحد جنوده كما تمّ إعطاب ٥ دبابات للعدو خلال هذه العملية.

وفي ٩ تشرين الأول ١٩٦٩:

قامت مجموعة من الدوريات المصرية الاستطلاعية بلغ مجموعها ٢٥٠ فرداً،

بالعبور إلى الضفة الشرقية للقناة وتوغّلت في أعماق سيناء لاستطلاع دفاعات العدو ومواقعه الخلفية. واستمرّت العملية من بعد غروب الشمس حتى منتصف الليل. وقد وصف المراقبون العسكريون الأجانب هذه العملية بأنها أضخم عملية قامت بها القوات المسلّحة المصرية منذ حرب حزيران ١٩٦٧.

وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٩:

قامت مجموعة مكوّنة من سرية مشاة مصرية يقدّر عدد أفرادها بـ١٣٠ جندياً وضابطاً بعبور قناة السويس، واقتحمت مواقع العدو الحصينة بمنطقة الشط التي تشتمل على مواقع للمشاة والمدفعية والهاونات. وقد فقد العدو خلال هذه الاغارة ما بين ٧٠ و٨٠ قتيلاً.

وفي ٦ كانون الأول ١٩٦٩:

قامت سريتا مشاة يقدّر عدد أفرادها بـ٢٥٠ جندياً تعاونهما أسلحة الدعم الخاصة بهما، بعبور قناة السويس على جبهة واسعة في القطاع الشمالي من القناة وقد اقتحمت المواقع المحصّنة للعدو فانسحبت قواته المدرّعة بسرعة من أرض المعركة حتى عمق ٥ كيلومترات.

وقد استولت على مواقع العدو وظلّت مسيطرة عليها سيطرة كاملة حتى مساء اليوم التالي ثم عادت إلى قواعدها بعد ان رفعت العلم المصري على الموقع.

وفي ٢٨ كانون الأول ١٩٦٩:

عبرت وحدة من كومندوس البحرية المصرية خليج السويس وهاجمت مواقع العدو في منطقة دهيسة بين رأس سدر ورأس مسله. فتدخّل الطيران الاسرائيلي لكن المدفعية المصرية كانت له بالمرصاد وأسقطت طائرتين إحداهما من طراز فانتوم.

في ٢٩ كانون الأول ١٩٦٩:

عبر جنود الكوماندوس المصريون خليج السويس في منتصف الليل ونزلوا على الشاطىء الشرقي للخليج وقاموا بقصف منشآت العدو في منطقة الطور بالصواريخ، حيث توجد للعدو قاعدة عسكرية لقوات المظلاّت وعدد من بطاريات المدفعية

وبعض المنشآت والمستودعات الاسرائيلية.

وفي ٣١ أيار ١٩٧٠:

أذاعت وكالة رويتر من تل أبيب ان رجال الكوماندوس المصريين عبروا قناة السويس مرتين في اليوم السابق وهاجموا دوريتين اسرائيليتين وقتلوا ١٣ جندياً اسرائيلياً وأصابوا ٤ آخرين بجروح وأخذوا أسيرين. وتعتبر هذه الخسائر أكبر ما منيت به القوات الاسرائيلية في يوم واحد منذ حرب حزيران ١٩٦٧. وقد أثارت هذه العملية قلقاً شديداً في اسرائيل بسبب الخسائر المرتفعة في القوات الاسرائيلية. (اعترفت اسرائيل بمقتل وإصابة وفقدان ١٩ ضابطاً وجندياً).

وربط المراقبون بين هجومي رجال الكوماندوس الذين استخدموا البازوكا والقنابل اليدوية وبين الذكرى الثالثة لحرب ٥ حزيران.

وقد قام رجال الكوماندوس بأحد الهجومين في وضح النهار وقاموا بالهجوم الثاني عند الغسق.

وأشار المراقبون في تل أبيب إلى ان الهجومين المصريين في القطاع الشمالي من القناة كانا أفضل ما قام به رجال الكوماندوس المصريون من عمليات، من حيث التخطيط والتنفيذ وذلك منذ ان بدأ المصريون يعبرون القناة قبل سنة وعزوا ذلك إلى السوفيات.

وقد رافق العمليتين ستار كثيف من نيران المدفعية المصرية لتغطية عودة رجال الكوماندوس. وأعقبت ذلك إغارة جوية قامت بها الطائرات المصرية على المواقع الاسرائيلية مما أدى إلى إصابة جندي اسرائيلي بجروح.

- العمليات بعيدة المدى:

لقد ردّت القوات المسلّحة المصرية على اغارات العدو في العمق باغارات أشد منها وهذه أمثلة على البعض منها:

في ٢٨ أيلول ١٩٦٨:

قامت قوّة كوماندوس مصرية محمولة جواً بأول إغارة في عمق شمالي سيناء بمنطقة مصفق التي تبعد ٨٥ كيلومتراً من قناة

السويس. استخدم الكوماندوس لأول مرة طائرات الهليكوبتر والصواريخ في هجومهم على موقع اسرائيلي يضمّ حوالى ٦٠٠ ضابط وجندي. فقتل وجرح عدد كبير منهم.

وفي ٣٠ تشرين الأول ١٩٦٩:

شنّت وحدات من رجال الكوماندوس المصريين هجوماً كبيراً على مواقع العدو على شاطىء خليج السويس الشرقي في منطقة تمتدّ ٢٧ كيلومتراً، استخدم الكوماندوس طائرات الهليكوبتر، كما اشتركت أيضاً وحدات من الكوماندوس البحريين بالهجوم.

تولّت الوحدات المحمولة جواً مهمة الهجوم على منطقة رأس المطارمة بينما كانت القوات البحرية تهاجم المنطقة المحصورة بين رأس المطارمة ورأس ملعب.

وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٦٩:

عبرت وحدات من جنود الكوماندوس المصريين قناة السويس وتوغّلت مسافة ٧٥ كيلومتراً شرقي القناة حيث هاجمت مستعمرة «ديكلا» بصواريخ كاتيوشا وأسقطت طائرة هليكوبتر اسرائيلية.

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٩:

شنّت مجموعة من القوات المصرية الخاصة المنقولة بحراً هجوماً على العدو الاسرائيلي بسيناء المحتلّة وقصفت القوات المصرية المهاجمة مقر الحاكم العسكري الاسرائيلي ومستودعات وقود الصواريخ.

وفي ٢٨ كانون الثاني ١٩٧٠:

قامت مجموعة من قوات المغاوير المصرية بمهاجمة معسكر القيادة العامة للاسرائيليين في سيناء على بعد ١٩٥ كيلومتراً من قناة السويس. ويضمّ المعسكر مركز القيادة العامة لقوات سيناء وقطاع غزة، كما انه من أكبر مراكز التنصّت اللاسلكي والراداري اليهودي.

تمّ قصف المعسكر بعدد كبير من الصواريخ مما أدّى إلى تدمير أغلب منشآته ومعدّاته وإصابة عدد كبير من أفراده العسكريين العاملين فيه.

٤٢ - على جبهة الجولان:

- اشتباكات ٢٦/٦/١٩٧٠:

قام طيران العدو منذ الساعة ٩,٣٠،

بقصف معسكري (قطفة) و(كسوة) غربي وجنوبي دمشق ومعسكر سجن شمالي غربي السويداء. وفي الساعة ١٠,١٥ أدلى الناطق العسكري السوري بتصريح جاء فيه ان سلاح الطيران قد اشتبك مع طيران العدو في منطقة شيخ مسكين (الجولان المحتل) وتمّ إسقاط إحدى الطائرات المعادية. وفي الساعة ١٠,٤٥ أذاع راديو دمشق بان معركة جوية كبيرة اشتركت فيها ٤٠ طائرة سورية و٥٠ طائرة عدوّة أسفرت عن إسقاط ٥ طائرات للعدو وقعت اثنتان منها داخل الأراضي السورية وتمّ أسر طياريهما. وتمّ إسقاط طائرة سادسة بالمدفعية المضادة للطائرات، هذا ولم تصب أي طائرة من الطائرات السورية.

وفي الساعة ١٢,٣٠ أغارت قوّة مدرّعة إسرائيلية مؤلّفة من ٣٠ دبابة على ستة مواقع سورية جنوبي الرفيد في القطاع الأوسط وتمكّنت من التوغّل مسافة ٢ كلم شرقي خط وقف إطلاق النار.

وفي الساعة ١٦,٠٠ صرّح ناطق سوري بان تشكيلات مدرّعة وميكانيكية سورية قامت بهجوم مضاد كبير تساندها المدفعية والقوات الجوية واستهدفت قوات للعدو توغّلت جزئياً في بعض المواقع السورية في القطاع الجنوبي من الجبهة. وأردف ان طائرة سكاي هوك قد أسقطت في منطقة نوى بنيران المدفعية المضادة ووجد طيارها محترقاً بداخلها. وقامت وحدات من القوات السورية المدرّعة تساندها المشاة الآلية باجتياز خط وقف إطلاق النار في القطاع الشمالي من الجبهة وتمكّنت من اقتحام مواقع العدو الحصينة في جسر (الرقاد) و(الحرية) و(الحميدية) والسيطرة عليها.

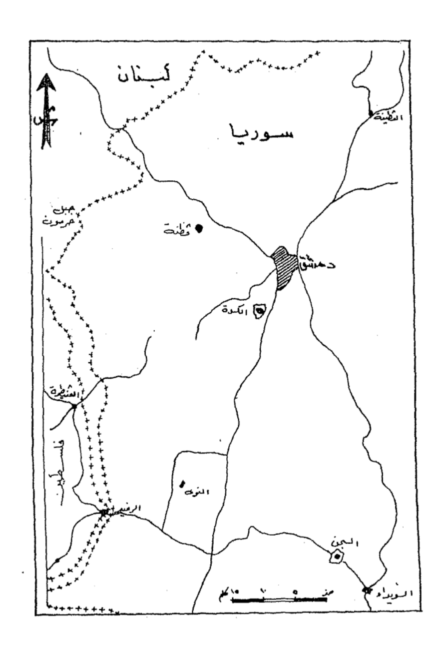
وفي الساعة ١٩,٣٠ ساد الهدوء خط وقف إطلاق النار وصرّح ناطق اسرائيلي بان القوات الاسرائيلية المهاجمة قد عادت في الساعة ١٦,٣٠ وصرّح الناطق السوري بأن القوات السورية قد عادت إلى قواعدها في الساعة ١٩,٥٠. (أنظر الخطيطة رقم ٢٥ و٢٦).

الخسائر:

أدلى الناطق السوري بالمعلومات التالية:

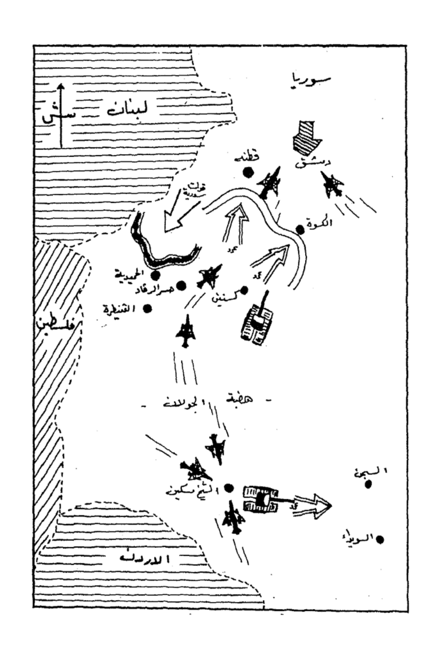
الخارطة رقم ٢٥

الحدود السورية – الفلسطينية



الخارطة رقم ٢٦

خطيطة معركة الجولان



خسائر العدو:

- ١١ طائرة ٤ منها داخل الأراضي السورية.
- ٢٥ دبابة و٣٢ مجنزرة - ٢٥ منصّة رشاش
- ٣ مراصد - محطتي رادار.
- تدمير مواقع العدو في الرقاد والحميدية والحربة.
- قتل وجرح حوالى ٢٠٠ عنصر.
- إبطال ١١ بطارية مدفعية وسرية صواريخ.

٤٣ - على الجبهة الأردنية:(١)

أ - معركة غور الصافي (١٩٧٠/١/٢١):

- الأسباب:

- في ليل ١٨ كانون الثاني ١٩٧٠، قامت عناصر مسلّحة من منظّمة فتح الفلسطينية بقصف المستعمرة اليهودية «نيعوت هاكيكار» وضواحيها جنوبي بحر الميت بالهواوين لمدّة ساعة ونصف الساعة. وعناصر أخرى نفّذت أيضاً اغارة على معسكر «الحصب» جنوبي البحر الميت وأشعلت النار فيه.
- في صباح ١٩ الشهر نفسه، قصف الفدائيون الفلسطينيون مدينة «سادوم» والمواقع العسكرية المحيطة بها وفي الليلة التالية قصفوا بالصواريخ مصانع البوتاس الاسرائيلية فيها. وقد نتج عن هذا القصف إشعال الحرائق في المصانع وتعطيل الأسلاك الكهربائية وتدمير بعض الاقسام من الأبنية.

- القوات المتجابهة:

تجاه هذه العمليات الفدائية والخسائر التي نتجت عن هذا القصف، قرّرت اسرائيل وضع حدّ لمثل هذه الإغارات، بالقيام بحملة عسكرية لتطهير منطقة غور الصافي من الفدائيين ورفع الروح المعنوية لسكان المستوطنات.

❖ اسرائيل:

- ٣ سرايا محمولة.

(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ١٧٥ - ١٧٨.

- ٨ عربات مدرّعة.
- مساندة نيران المدفعية والطيرن.

❖ **العرب:**
- عناصر من المقاومة الفلسطينية.
- وحدات من الجيش الأردني (اللواء الهاشمي).
- وحدات من القوات السعودية المرابطة في الأردن.

- **المعركة:**

بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٠، تحرّكت القوة الاسرائيلية من مستعمرة «نيعوت هاكيكار» باتجاه «فيفاء». وبتاريخ ٢١ من الشهر نفسه الساعة ١٩,٠٠، اجتازت الحدود الأردنية عبر وادي «فيفاء» فوصلت إلى نقطة التجمّع المحدّدة «طواحين السكر». ومن هناك تحرّكت برتلين واتجاهين حيث احتلّت مواقع لها في وادي «عباطة» وفي «خربة الديسه».

تمكّنت قوات الاستطلاع العربية من مراقبة تحرّكات العدو. فأرسلت أثناء الليل:

- مجموعة من قوات العاصفة مزوّدة بأسلحة مضادة للدروع واحتلّت موقعاً على التلال المشرفة على وادي عباطه.
- مجموعتين مجهّزتين بمدافع ١٠٦ ملم دون ارتداد، من قوات العاصفة والقوات السعودية احتلّت موقعاً على منحنى غور الصافي. كما اتخذت لها مراكزاً في مزارع الصافي لحماية مؤخّرة القوة خوفاً من إنزال مظليين معادين وراء القوات الصديقة. وكانت مواقع الجيش السعودي تمتدّ من غور النميرة حتى الظهيرة.

ابتدأت القوة الاسرائيلية تحرّكها باتجاه غور الصافي وهدفها الوصول إلى غور النميره لاحتلاله. وقد مهّدت لهذا التحرّك بقصف مدفعي عنيف مشّطت فيه المنطقة دون تحديد. وبعد منتصف ليل ٢١ - ٢٢ كانون الثاني، تصدّت لها إحدى المجموعات المجهّزة بالمدافع ١٠٦ ملم، فدمّرت إحدى دباباتها فوراً كما أعطبت دبابة أخرى. ولم يتمكّن قائد المجموعة الصديقة من تبديل مربض مدفعه بعد كلّ طلقة بسبب الأمطار الغزيرة والوحول فاعتلم

المركز ودمّر المدفع. بعد ذلك تراجع اليهود باتجاه نقطة التجمّع في طواحين السكر وباتجاه خربة الشيخ عيسى نظراً لضراوة المقاومة، ثم راحت مدفعيته تقصف المنطقة بصواريخ أرض أرض من قاعدة لها في سادوم بالاضافة إلى مدفعية الميدان والدبابات.

وبعد مضي عشر ساعات، لم يتمكّن الاسرائيليون من تحقيق أهدافهم فدفعوا بطائراتهم إلى المعركة في الساعة السابعة من صباح ٢٢ منه، التي قصفت التلال الشرقية والمناطق الغورية التي يتمركز فيها الفدائيون. ثم ظهرت الطوافات وراحت تقصف المراكز الصديقة بالصواريخ والرشاشات، كلّ ذلك لتغطية عملية الانسحاب التي بدأها العدو بعد حلول الظلام بينما واصل الفدائيون مطاردة فلوله.[1]

- نتائج المعركة:

كان هذا الهجوم من أعنف الهجومات على الأردن منذ حرب ١٩٦٧ وذلك بسبب مدّة العملية التي استمرّت حوالى عشرين ساعة تقريباً، وفي ظروف وأحوال جوية سيئة وقد أشرف عليها وزير الدفاع الاسرائيلي «موشي ديان» شخصياً وجرح في ساقه أثناء المعركة. وكانت النتائج كالآتي:

أولاً: منع العدو من تنفيذ خطته كما كان يريد والوصول إلى غور النميرة وأجبر على التراجع.

ثانياً: إعطاب وتدمير عدد من آلياته بينما دمّر للفدائيين سيارتا جيب ومدفع ١٠٦ ملم دون ارتداد، ورشاش وجرّار.

ثالثاً: سقط عدد غير محدّد من القتلى لليهود وبعض الجرحى من بينهم وزير الدفاع «دايان» بينما استشهد ستة من الفدائيين وجرح أربعة آخرون وقتل ضابط أردني وجرح تسعة عسكريين أردنيين وأصيبت ٣ آليات.

(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ١٧٨.

ب - نسف قناة الغور (٣١/٦/١٩٦٩):[1]

- الأسباب:

- أطلق الجيش الأردني نيران مدافعه غير المرتدّة على دورية اسرائيلية في منطقة «العدسية».

- تزايد العمليات الفدائية في تلك المنطقة من اسرائيل وخاصة على قرية «شعار هاجولان».

- التنسيق بين الجيش الأردني وقوات المقاومة التي كانت تقوم بعملية إغارة وتنسحب بمساندة مدفعية الجيش الثقيلة.

- الاغارة الاسرائيلية:

قامت بهذه الاغارة وحدة كومندوس من القوات الاسرائيلية لا نعرف عددها بالضبط ضد بعض مواقع الجيش الأردني في منطقة العدسية.

عبرت هذه الوحدة نهر اليرموك وتوغّلت مسافة ٢٥٠ متراً داخل الأراضي الأردنية حتى أصبحت على مسافة عشرات الأمتار من أحد مراكز الجيش الأردني. وعند وصولها بالقرب من قناة الغور، انقسمت إلى عدّة مجموعات صغيرة كانت مهمّة البعض منها تدمير القناة في حين كانت مهمة البعض الآخر تلقّي ومنع أي تدخّل أردني ضد هذه العملية.

بعد مرور ١٥ دقيقة، دمّرت القناة وبدأت مياهها تعود إلى اليرموك. وأطلق المركز الأردني بعض القذائف المضيئة.

- الخسائر:

لم تقع أية خسائر بالأرواح والعتاد بين الجانبين إنما انحصرت الخسائر بتدمير قناة الغور التي تروي الأراضي الزراعية في تلك المنطقة مما حدا ببعض المزارعين إلى هجر أراضيهم الزراعية فيها.

- لقد بدأت اسرائيل بالرد على أعمال الفدائيين بأعمال مماثلة لا تتوقف نتائجها

(١) الاحدب، مرجع سابق، مرجع ثاني، ص ١٨٠ - ١٨١.

- الخارطة رقم ٢٦.

على المراكز العسكرية بل تعدّتها إلى النقاط الحيوية والاقتصادية.

- كانت اسرائيل تريد تحميل البلاد العربية مسؤولية الفدائيين الفلسطينيين.

- ان القيام بعمليات فدائية والإغارة من أية جبهة عربية تتطلّب أن تكون هذه الجبهة قادرة على الرد وعلى تحمّل حرب الاستنزاف.

٤٤ - على الجبهة اللبنانية: (١)

أ - معركة العرقوب الأولى (١٢ أيار ١٩٧٠):

(١) - الأسباب:

في الأشهر السابقة لشهر أيار ١٩٧٠ تكاثرت عمليات الفدائيين بشكل إطلاق قذائف صاروخية من مختلف العيارات مستهدفة داخل فلسطين المحتلّة الأمر الذي حمل العدو على الرد بعنف بقصف القرى اللبنانية مثل الخيام وكفرشوبا وتدمير ما يقارب الخمسين منزلاً وجرح المدنيين في كلتا القريتين. وقد رافق هذه العمليات تصريحات للمسؤولين تحذّر الحكومة اللبنانية لوضع حدّ لأعمال الاطلاق من الأراضي اللبنانية وتحضّر الرأي العام العالمي كي لا يفاجأ إذا ما قام الجيش الاسرائيلي بالتحضير لعدوان على منطقة العرقوب وذلك بقصف المنطقة بالمدفعية والطيران وحشد القوى المدرّعة والمؤلّلة على الحدود المتاخمة.

(٢) - الهدف:

يقول الاسرائيليون ان الهدف من عمليتهم في ١٢ أيار ١٩٧٠ يتلخّص بما يلي:

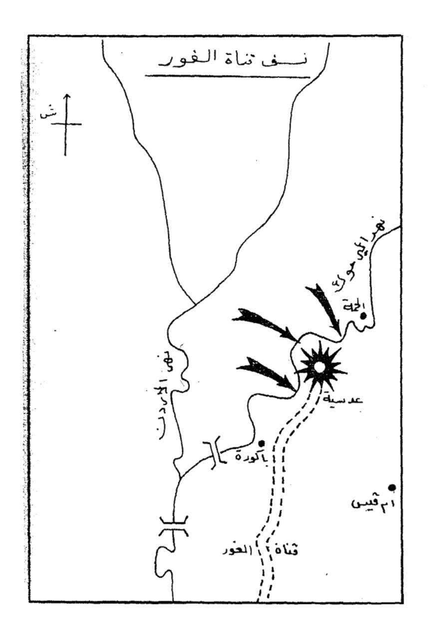
- إبادة أو أسر أكبر عدد من الفدائيين.
- تدمير قواعد الفدائيين وكسب أكبر كمية ممكنة من عتادهم.
- التأثير على المنظّمات الفلسطينية وتحطيم شعور الفدائيين بأن قواعدهم ليست آمنة في لبنان على مقربة من المستعمرات الاسرائيلية.

---

(١) دار نوبليس للنشر، الموسوعة اللبنانية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، الجزء ١٢، ص ٢١٥ - ٢٢١.
- أنظر الخارطة رقم ٢٧ و٢٨.

الخارطة رقم ٢٧

نسف قناة الغور



- إقناع السكان في الجليل الأعلى بأن الحكومة الاسرائيلية تعمل ما في وسعها لتحقّق لهم حدود آمنة.

(٣) - أرض المعركة:

تقع أرض المعركة التي تبلغ مساحتها حوالى ١٠٠ كلم٢ على سفوح جبل الشيخ الغربية الممتدّة حتى نهر الحاصباني، وهي جبلية وعرة كثيفة الأشجار تصعب الحركة فيها وتفصل بين مرتفعاتها وديان سحيقة صعبة الاجتياز. فهي مثالية لحرب العصابات والمعارك الصغيرة وتشكّل نموذجاً لعمليات القنص ضد الآليات ودخولها يكبّد القوات المهاجمة خسائر فادحة حتى ولو قامت بهذه العملية قوات محمولة بالطائرات العمودية.

(٤) - القوى المتجابهة:

* القوات الاسرائيلية:
- كتيبة وسرية دبابات.
- كتيبة مشاة معزّزة محمولة على آليات مجنزرة.
- كتيبة مدفعية ١٥٥ ملم مولّلة.
- كتيبة مشاة راجلة.
- فصائل هاون مختلفة محمولة على مجنزرات.
- الطيران: ما لا يقل عن ١٠٠ طائرة حربية: سكاي هوك - فوتور - ميراج.
- طائرات «بيير كاب» للقيادة والمراقبة وضبط رمايات المدفعية.
- طوافات: من مختلف الأحجام للاخلاء.

* القوات اللبنانية التي واجهت الهجوم الاسرائيلي:
- مجموعة قتال تعادل فوج مشاة معزّزة بسرية دبابات وبفصيلة مدفعية ١٥٥ ملم وسرية عند الاقتضاء.

* القوات الفدائية في المنطقة:
- عدد من الفدائيين.

(٥) - تمركز القوات الاسرائيلية قبل العملية:

- كتيبة دبابات «باتون وسنتوريون» تدعمها كتيبة مشاة محمولة على آليات مجنزرة متمركزة في النخيلة والبقعة جنوبي

العباسية معزّزة بفصائل هاون مختلفة محمولة على مجنزرات.
- كتيبة مدفعية ١٥٥ ملم، مؤلّلة متمركزة في جوار النخيلة عين التينة.
- كتيبة مدفعية ١٠٥، مؤلّلة متمركزة في جوار النخيلة.
- سرية دبابات مع عناصر محمولة وسرية مدفعية مؤلّلة تمركزت جنوبي المطلّة.
- ما يقدّر بكتيبة مشاة راجلة متمركزة شرقي مفرق شبعا ورويسات كفرشوبا على الحدود الشرقية للحدود اللبنانية.

(٦) - سير المعركة:

في الساعة ٤,٣٠ من يوم الثلاثاء ١٩٧٠/٥/١٢ اخترقت القوات الاسرائيلية الحدود اللبنانية عن طريق العباسية - الماري - يحميها غطاء جوي كثيف من القصف المدفعي الثقيل على منطقة العرقوب.

وعند وصول القوات المتقدّمة إلى جسر أبو زبلة تعرّضت إلى قصف من المدفعية اللبنانية فردّت المدفعية الاسرائيلية على النار بالمثل وضربت المرابض في القطاع الشرقي.

في الساعة ٦,٣٠ دخلت القوات الاسرائيلية بلدة الماري بعد أن تعرّضت لصعوبات فائقة بسبب وعورة المسالك والتحصينات المضادة للآليات. وفي الوقت نفسه كانت المدفعية اللبنانية تتابع قصف القوات المتقدّمة وتركّز رمايات دقيقة للغاية ما أدى إلى إصابة ثلاث آليات ودبابتين.

في الساعة ١١,١٥ وصلت القوات الاسرائيلية إلى راشيا الفخار وتفرّعت إلى فرعين:

اتجه الفرع الأول على محور راشيا الفخار كفرحمام وتمكّن من الوصول إلى كفرشوبا حوالى الساعة ١٦,٠٠.

واتجه الفرع الثاني نحو مفرق سوق الخان بعد ان تعرّض إلى قصف شديد من القوات اللبنانية.

في الساعة ١٧,٠٠ دخلت قوات العدو قرية الهبارية بعد ان قصفت طائراته بعنف المنحدر الشمالي لراشيا الفخار والأحراش الواقعة جنوبي البلدة. وفي هذا الوقت بالذات كانت كتيبة مشاة تتقدّم من الحدود الشرقية لجبال العرقوب لتمشيط الأحراج والجبال بحثاً عن الفدائيين.

لم تتمكّن القوات الاسرائيلية الانسحاب في النهار نفسه بسبب تأخّرها الناتج عن قوّة النيران الموجّهة إليها وطبيعة الأرض القاسية، ما أرغمها على البقاء طيلة الليل. وفي الساعة ٤,٣٠ من اليوم التالي باشر العدو انسحابه تحت غطاء كثيف من المدفعية والطيران، وخرج من الأراضي اللبنانية في الساعة ١٢,٣٠.

اشترك طيران العدو في هذه العملية بعدد لا يقل عن «١٠٠» طلعة بشكل دفعات متلاحقة. وقد حاول الجيش السوري التدخّل في أثناء العملية بصورة بطولية، فأرسل سرباً من طائرات الميغ ١٧ لاعتراض الطائرات المغيرة على قرى العرقوب فتصدّت لها الاعداد الكبيرة من طائرات العدو وحالت دون تدخّلها بصورة فعّالة.

كانت في هذه الأثناء نيران مدفعية العدو وطيرانه تنصبّ على المواقع اللبنانية مركّزة على المرتفعات والنقاط المشرفة على محور تقدّم آلياته، والتي تشكّل خطراً على قواته المتقدّمة.

بعد ذلك تفرّعت آليات العدو إلى فرعين: اتجه الفرع الأول وهو العدد الأكبر على محور راشيا الفخار - كفرحمام - كفرشوبا - داخلاً هذه القرى تباعاً وتمكّن من الوصول إلى كفرشوبا حوالي الساعة ١٦,٠٠.

توزّعت قوى العدو على الهضاب والمرتفعات المحيطة بهذه القرى، ولم يلق مقاومة سوى بعض الألغام المزروعة على مداخل القرى، وجسر منسوف على طريق كفرحمام - كفرشوبا.

(٧) - الخسائر:

❖ خسائر اسرائيل:

الأشخاص:

تقدّر بخمسة عشر رجلاً ما بين قتيل وجريح.

العتاد:

تقدّر بحوالي عشرين آلية ما بين دبابة ومجنزرة وسيارة شاهدها سكان الماري تخلى في أثناء العملية وفي أثناء الانسحاب النهائي من منطقة العرقوب.

❖ خسائر اللبنانيين:

العسكرية:

- قتيلان وخمسة جرحى وثلاثة أسرى.
- دبابتان م ٤١ الأولى تعطّلت والثانية أصيبت بأضرار.
- شاحنة احترقت وسيارة بيك آب أصيبت بقذيفة دبابة.
- مدفع ٢٥ رطل تعطّل.
- تدمير غرفة مركز هندسة.

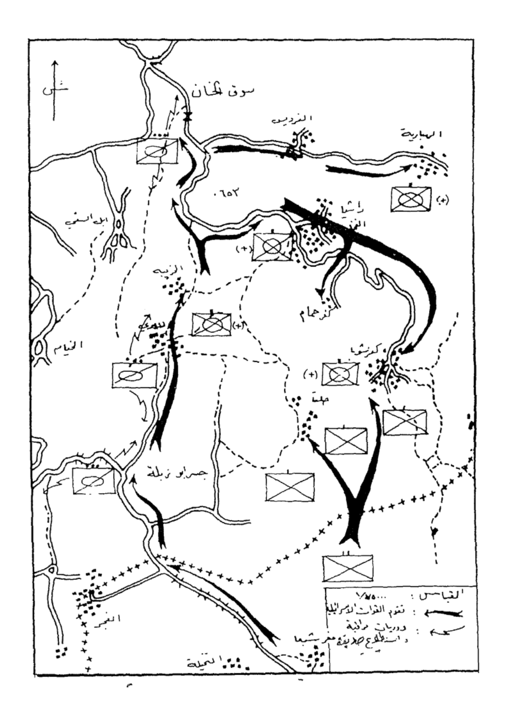
المدنية:

- ثلاثة قتلى، ثلاثة جرحى، أسير واحد.
- كما تمّ تدمير ١٢ منزلاً في كفرشوبا - ١١ منزلاً في كفرحمام - ١٠ منازل في الهبارية - منزلين في راشيا الفخار.
- ٥ آليات منها شاحنة وجرار زراعي و٣ سيارات.
- أسلاك كهرباء وهاتف وأعمدة وتخريب في الطرقات وتمديدات المياه.
- حرائق وإتلاف من جراء القصف خصوصاً في أحراج كفرحمام وحاصبيا.

❖ خسائر الفدائيين:

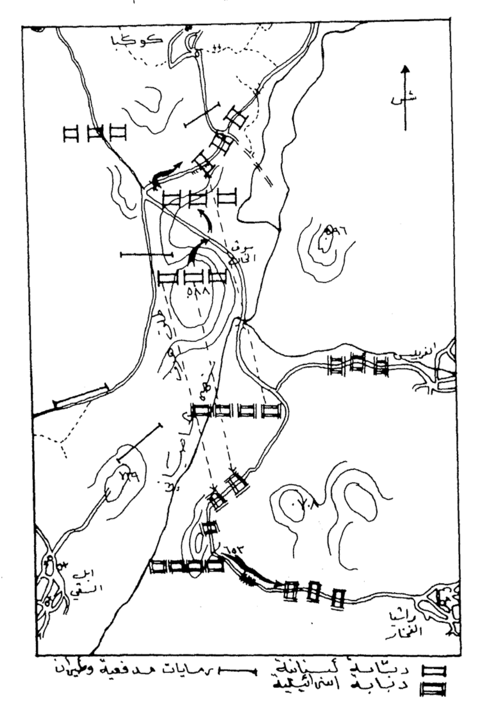
- لم تذع القيادة اللبنانية أية معلومات عن إصابات الفدائيين. أما اسرائيل فتقول بأن نتائج حَملتها كانت كما يلي:
- قتل ٣٠ فدائياً وأسر ١٥ (جريدة دافار ١٥/٥/١٩٧١).
- تدمير بطارية مضادة وتحصينين لصواريخ كاتيوشا.
- تدمير ١٠ آليات وحمولتها (جريدة لانفور ماسيون في ١٣/٥/١٩٧١).
- مصادرة كميات كبيرة من الأسلحة والمتفجرات (المصدر نفسه).
- أما المنظّمات الفدائية فأذاعت على لسان ناطق رسمي باسمها على أن خسائرها كانت كما يلي:
- ١٤ قتيلاً، ١٧٠ جريحاً، ١١٠ مفقودين.
- تدمير بعض الآليات التي تنقل مدافع مضادة ومركزين محصنين.

الخارطة رقم ٢٨
محاور تقدّم القوات الاسرائيلية



الخارطة رقم ٢٩

إشتباك الدبابات العدوة في سوق الخان ثم انكفائها



ب - معركة العرقوب الثانية (٢٥ شباط ١٩٧٢):[1]

(١) - توطئة:

قام العدو الاسرائيلي بعدوان واسع على جنوب لبنان في الساعات الأولى من يوم الجمعة ٢٥ شباط ١٩٧٢. وقد استمرّ العدوان أربعة أيام قام خلالها بإجراءات عسكرية استطاع بنهايتها ان يسيطر سيطرة تامة على منطقة العرقوب، ثم انسحب منها في الساعة ١٥,٠٠ من يوم ٢٨ شباط ١٩٧٢.

(٢) - أسباب العدوان:

- بث الشقاق بين اللبنانيين والفلسطينيين وإلغاء اتفاق القاهرة.
- تحقيق أطماع توسعية في جنوبي لبنان.
- تفشيل مهمة الوسيط الدولي يارينغ.

(٣) - أهداف العدوان:

- الوصول إلى قواعد الفدائيين لتدميرها والقضاء على معداتهم.
- قتل وأسر أكبر عدد ممكن من الفدائيين.
- الايقاع بين السكان والفدائيين.
- التأثير المعنوي وخلق روح الانهزامية بين صفوف المقاتلين، وذلك بالضربات المتتالية غير المتكافئة، تحت واقع قاس هو تفتيت المقاومة وعجز القيادات عن إخراجها من أزمتها أو على الأقل وضع حلول مناسبة.
- شق بعض الطرقات في أراضي العرقوب للسيطرة عليها، وفتح محاور لتقدّم المدرّعات بغية تحقيق الأهداف التوسعية اللاحقة:
- الوصول إلى مياه الحليطاني.
- تهديد الجبهة السورية بحركات التفاف من الغرب.
- خرق الجبهة اللبنانية وتهديدها بحركة التفاف من الشرق.

(٤) - العمليات العسكرية:

❖ التغطية الجوية:

بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٧٢ الساعة ٦,٣٠، قصفت طائرات العدو لمدّة ٤٥ دقيقة مخيّمات الفدائيين في منطقة:

(١) الموسوعة اللبنانية، دار نوبليس، مرجع سابق، ص ٢٢٢ - ٢٣٠.

«راشيا الوادي - دير العشائر - ينطا - حلوة - كفرقوق - بركة اليابسة - عين عطا».

❖ **الخسائر:**

أصيب الفدائيون بخسائر جسيمة بين بلدتي ينطا ودير العشائر حيث كانت تتمركز في الأحراج كتيبة من فتح مؤلّفة من ٥٠٠ عنصر وموزّعة إلى عدّة مخيّمات بين الصخور والأشجار:

- إبادة المخيم رقم ١ بكامله.
- تفجير مخزن ذخيرة في مخيم آخر أدّى إلى استشهاد ٨ فدائيين وجرح ١٥.
- إصابة ٣ منازل في بلدة حلوة واستشهاد وجرح ١٣ من حركة فتح.

وتعتبر نسبة الخسائر ضئيلة بالنسبة إلى عدد الطائرات المغيرة (١٠٠ هليكوبتر وفانتوم وسكاي هوك وميراج) نظراً إلى يقظة الفدائيين وسرعتهم في الحركة وتغيير المواقع.

كانت الغاية من إغارات العدو على مراكز الفدائيين بعنف وكثافة تغطية عملية تطويق عيناتا في قضاء بنت جبيل.

(٥) - عملية تطويق عيناتا:

- القوات الفدائية في عيناتا: ثماني قواعد.
- القوات الاسرائيلية المهاجمة: كتيبة مدرّعات معزّزة بكتيبتي مشاة آلية. (٢٥ دبابة و٣٥ نصف مجنزرة).

في الوقت الذي كان الطيران الاسرائيلي يضرب مخيّمات الفدائيين في منطقة دير العشائر كانت القوات المبيّنة أعلاه تدخل الأراضي اللبنانية عند المالكية وتتجه إلى عيترون فتعزلها ثم تتابع سيرها باتجاه بنت جبيل، وتطوّق عيناتا وتنسف ٢٣ منزلاً فيها وتقتل مدنياً واحداً، كما تطوّق (مركز المهنية) وتشتبك مع القوات اللبنانية وتصيب أحد العسكريين بجروح ثم تشتبك مع الفدائيين وتتكبّد إصابة في إحدى مدرّعاتها، ثم تنسحب في الساعة ١١,٤٠ ومعها بعض الغنائم من الأسلحة والذخيرة.

وقد صرّح ناطق عسكري في تل أبيب ان خمسة فدائيين على الأقل قد قتلوا، وان جميع القوات الاسرائيلية عادت سالمة إلى قواعدها. بينما أجمع الأهالي ان الفدائيين تمكّنوا من عطب دبابة اسرائيلية أجلاها الاسرائيليون في أثناء انسحابهم.

❖ سير المعركة:

القوات الفدائية:

مجموعة من ٢٥٠ عنصراً تابعين لخمس منظمات فدائية.

❖ الحشد والاستطلاع الجوي الاسرائيلي:

حشد العدو قواته قبل ٢٤ ساعة من بدء الهجوم في معسكر فشكول وفي منطقة دان وشارياشوف كما ظهر له نشاط واسع جوي وأرضي في اليومين اللذين سبقا بدء القتال. وكان كلّ شيء في المنطقة يدلّ على ان هجوماً كبيراً وشيك الوقوع.

- اليوم الأول:

في الساعة ١٢,٢٥ قصفت المدفعية الاسرائيلية (عيار ١٥٥) ملم المتمركزة في النخيلة لمدّة خمس ساعات محلّة (الشحار) وبلدتي (الهبارية) و(كفرحمام)، نتج عن هذا القصف:

- تصدّع عدّة منازل في راشيا الفخار.
- استشهاد مدني وجرح آخر كلاهما من بلدة الهبارية.

في الساعة ١٢,٤٨، وتحت غطاء هذا القصف المدفعي، تسلّلت قوات اسرائيلية مؤلّلة ومحمولة جواً، من جبل الروس إلى شرقي الهبارية فطوّقتها، ودارت على مداخلها معركة عنيفة فشل العدو بنتيجتها من دخول القرية. وتمكّن الفدائيون من محاصرة مجموعات من جنود العدو المحمولين جواً في منطقة الجرش. كما ان المدفعية اللبنانية قصفت تجمعات العدو خارج البلدة.

غير ان العدو استعان بمدفعيته وطائراته لفك الحصار، والانسحاب في الساعة ١٥,٤٠ باتجاه الأراضي المحتلّة.

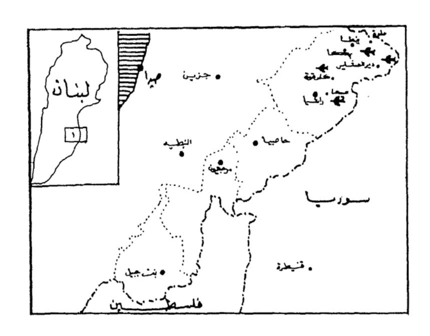
❖ الخسائر:

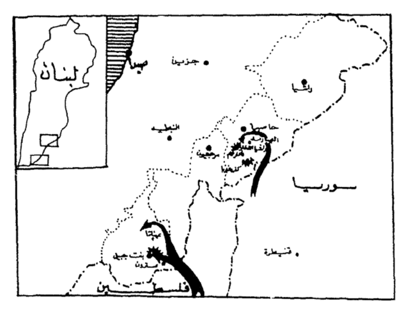
صرّح ناطق عسكري اسرائيلي ان ٤ جنود جرحوا وان ضابطاً اسرائيلياً أصيب برصاص الفدائيين، توفي في اليوم التالي أي في ٢٦ شباط.

صرّح ناطق من فتح ان بين الجرحى الذين أصيبوا خلال المعارك، اثنين من قادة فتح العسكريين، أحدهما برتبة مقدّم والآخر برتبة نقيب، كما أصيب أحد المفوّضين

الخارطة رقم ٣٠

خطيطة الهجوم الاسرائيلي الجوي على البقاع الغربي





خطيطة الهجوم الاسرائيلي على العرقوب وبنت جبيل

السياسيين. وقد بلغت الخسائر في هذا اليوم ١٢ شهيداً و٢٢ جريحاً.

في الساعة ١٥,٣٠ من ٢٥ شباط تابع العدو عملياته الاستطلاعية، حيث ظهرت طائرتان معاديتان فوق راشيا الوادي وسد القرعون فتصدّت لهما المدفعية اللبنانية المضادة للطائرات وأرغمتهما على الفرار.

وهذا ما حمل القادة المسؤولين على الظن بأن العدو قد يجدد هجماته على الجنوب في اليوم التالي.

٦ - اليوم الثاني في ٢٦ شباط ١٩٧٢:

❖ قصف مدفعي وجوي لتغطية شق طريق بلدة (كفر حمام):

في الساعة ٦,٠٥ صباحاً بدأت المدفعية الاسرائيلية عيار ١٥٥ ملم المتمركزة في النخيلة قصفاً مركزاً لمرتفعات الهبارية - راشيا الفخار - كفر حمام وجوارها، واستمرّ القصف مدّة ساعتين كانت خلالها إحدى الطائرات ترشد المدفعية إلى مواقع الفدائيين.

وبدا ان هذا القصف الصباحي استهدف تغطية عمل باشرته ثلاث جرارات اسرائيلية في شق طريق بلدة كفرحمام في مرتفع يسمى برج المطلين. وعندما اكتشف الفدائيون الأمر، شرعوا في قصف الجرارات من ضواحي الهبارية لإجبارها على التراجع وتعطيل أعمالها. وقد نجحوا في ذلك إذ دمّروا جرافة وأصابوا ثلاثة من عمالها الأمر الذي استتبع هجوم الطائرات.

وفي الساعة ١٠,٥٠ اخترقت الأجواء اللبنانية ١٠ طائرات اسرائيلية من نوع ميراج وسكاي هوك، وقصفت المرتفعات المحيطة بالهبارية وراشيا الفخار لمدّة خمس دقائق.

وفي الساعة ١٢,٠٠ تابعت المدفعية الاسرائيلية المتمركزة في النخيلة قصف جوار بلدة الهبارية وراشيا الفخار لمدّة ساعتين، ترشدها طائرة الاستكشاف. غير ان هذه الأخيرة لم تستطع تحديد مكان المدفع الفدائي الوحيد، الذي ما ان سكتت المدفعية الاسرائيلية في الساعة ١٤,٠٠ حتى استأنف قصف الجرارات، فعادت طائرة الاستكشاف إلى الظهور، لكنها فشلت مرّة أخرى في تحديد مكانه.

وعم الهدوء حتى الساعة العاشرة ليلاً، تجدّد قصف المدفعية. وقد أخذ الأهالي

بالنزوح عن قرى المنطقة خوفاً من دخول القوات الاسرائيلية في صباح ٢٧ شباط عبر الطريق الجديد الذي شقوه نحو برج المطلين والذي يشرف على شبكة طرق العرقوب.

❖ الخسائر:

بلغت ٧ شهداء و١٤ جريحاً من الفدائيين.

واعترف العدو بإصابة جنديين اسرائيليين بجروح.

٧ - اليوم الثالث في ٢٧ شباط ١٩٧٢

❖ احتلال العرقوب:

بعد فشل اغارة العدو الأولى على الهبارية في اليوم الأول من عملياته (٢٥ شباط)، عاود الكرة في اليوم الثالث (٢٧ شباط) بعد استعداد أوفر وتهيئة قوات أضخم.

❖ هدف العدو:

احتلال بلدة الهبارية.

❖ خطة العدو:

هجوم المشاة والمدرعات على محورين توازيين مع:

❖ جهد أساسي:

على محور جبل الروس - كفرشوبا - كفر حمام - راشيا الفخار - الفريديس - الهبارية.

❖ جهد ثانوي:

على محور جبل الروس - الهبارية.

(٨) - وسائل دفاع الفدائيين:

- شبكة من الالغام المضادة للدروع على الطريق الموصل إلى راشيا.
- نسفية بكمية ٣٠٠ كيلوغراماً من المتفجرات تنفجر ذاتياً لدى مرور أول آلية للعدو.
- أشراك والغام مضادة للاشخاص وألغام قفازة تصل إلى ٢٠٠ متر في الاحراش.
- عناصر تحمل أسلحة مضادة للدروع داخل بلدة راشيا الفخار.

❖ **القوات الاسرائيلية:**

- كتيبة مشاة آلية معزّزة بسرية مدرّعات وفصيلة مغاوير محمولين جواً، على محور جبل الروس - كفر شوبا - كفر حمام - راشيا الفخار.
- سرية مشاة آلية معزّزة بفصيلة مدرّعات ومفرزة هندسة على محور جبل الروس - الهبارية.

❖ **مساندة مدفعية:**

- سرية مدفعية عيار ١٥٥ ملم في النخيلة.
- سرية هواوين عيار ١٦٠ ملم شمالي الرمتا.

❖ **مساندة جوية:**

- عدد من طلعات سلاح الجو الاسرائيلي.

❖ **التنفيذ:**

- **معركة راشيا الفخار:**

في الساعة ٢,١٥ بدأت القوات الاسرائيلية تتقدّم في اتجاه رويسات الرمتا - كفر شوبا عن طريق فشكول تحت غطاء كثيف من المدفعية والطائرات.

وفي الساعة ١١,٤٥ اشتبك العدو مع قواعد الفدائيين المتقدّمة على محور جبل الروس - الهبارية.

وفي مدخل راشيا الفخار أعطب الفدائيون دبابة كانت في المقدّمة الأمر الذي أخّر تقدّم الرتل أكثر من ساعة ونصف. ازاء التصدي الفدائي للمدرعات الاسرائيلية عادت الطائرات إلى الأجواء وبدأت ترمي أطناناً من القنابل المحرقة، وقد سهّل هذا الأمر متابعة تقدّم المدرّعات.

كانت معركة راشيا الفخار أعنف مواجهة بين الفدائيين والجيش الاسرائيلي أظهر فيها الفدائيون صموداً أدى إلى سقوط أكثر من ٢٠ جريحاً وعدد من الشهداء. كما كان لوسائل الدفاع المعزّزة بها مواقع راشيا الفخار الاثر في تعثّر العدو وإيقاع الخسائر بدباباته وآلياته وأفراده.

- **التقدّم نحو الهبارية:**

بعد السيطرة على راشيا الفخار تابع العدو تقدّمه فدخلت قواته المدرّعة كفر حمام في الساعة ١٦,١٠ بعد معركة ضارية.

في الساعة ١٧,٣٠ وصلت مدرّعات العدو إلى مفرق الفريديس ولم تتجه إلى سوق الخان حيث تتمركز عناصر من الجيش اللبناني بل انعطفت نحو بلدة الهبارية. وقبل الوصول إلى الفريديس اشتبك الفدائيون بمعركة مع العدو، دخل فيها الجيش اللبناني، فدمّر للعدو دبابة وسيارتين ونصف مجنزرتين وأوقع في صفوفه عشر خسائر في الأرواح. وأصيبت دبابة واحدة للجيش وجرح جنديان.

- احتلال الهبارية:

وأخيراً تمكّن العدو من بلوغ هدفه ودخل الهبارية وكان الليل قد خيّم على المنطقة فلم تستطع القوات الاسرائيلية من القيام بأي نشاط يذكر. وقد ساعد هذا الأمر على التقليل من خسائر الفدائيين الذين انسحبوا تحت جنح الظلام.

٩ - اليوم الرابع في ٢٨ شباط ١٩٧٢:

❖ عملية العزل والتفتيش:

بعد ان عزل العدو المنطقة التي احتلّها قام بتفتيش كلٍّ من راشيا والهبارية وكفرحمام ونسف فيها عدداً من المنازل، كما قام بإخلاء خسائره من الآليات والمعدات، وقد أخذ منه هذا جهداً كبيراً.

❖ الانسحاب ودخول الجيش اللبناني منطقة العرقوب:

في الساعة ١٤,٠٠ بدأ العدو بالانسحاب من الهبارية على محورين، بينما كانت الطائرات تحوم فوق المنطقة ويستمر القصف المدفعي لحماية عملية الانسحاب. وفي الساعة ١٨,٠٠ عبرت القوات اللبنانية وآلياتها نهر الحاصباني ودخلت قرى العرقوب للمرة الأولى منذ العام ١٩٦٩.

❖ الخسائر:

زعم الاسرائيليون ان عدد الإصابات التي لحقت بالجنود الاسرائيليين في العرقوب بلغت ١١ جريحاً فقط. ولم يذكروا عدد الإصابات في الآليات. كما زعموا انهم قتلوا ٥٠ فدائياً وجرجوا ١٠٠ آخرين بينما قال الفدائيون انهم كبّدوا العدو بين ٤٠ و٥٠ إصابة في الأرواح وأعطبوا ١٠ آليات.

ج - معركة القطاع الأوسط (١٦ - ١٧ أيلول ١٩٧٢):

(١) - توطئة:

بعد نهاية معركة العرقوب الثانية في شباط ١٩٧٢، ساد الجنوب اللبناني جو من الحذر الشديد وجرت عمليات عسكرية شبه يومية، إنما كانت محصورة بالزمن والمكان. ترافق ذلك مع تهديدات اسرائيلية شبه دائمة للبنان.

(٢) - القوات المتجابهة:

❖ اللبنانية:

- كتيبة المشاة الرابعة منتشرة بارهاط لا يتعدّى واحدها الخمسة عناصر تقوم بمهمتين: الأولى حفظ الأمن ومنع الفدائيين من الظهور ضمن القطاع الأوسط. والمهمة الثانية وهي الأساسية، الدفاع عن حدود لبنان الموازي للقطاع.
- سرية دبابات .A.M.X.
- سرية مصفحات بانهرد.
- سرية مدفعية ٢٥ رطل.
- دعم عام (سرية مدفعية ١٥٥ كلم).
- سرية مغاوير.
- مفرزة هندسة.
- مفرزة إشارة.

❖ الفدائيون:

- ٧٥٠ مقاتلاً بحوزتهم أسلحتهم الفردية وأسلحة مضادة للآليات - موزعين على بقعة القطاع الأوسط.

❖ الاسرائيليون:

قدّرت القوات الاسرائيلية بلواء مؤلّل معزّز، يحميه غطاء جوي كثيف، لعب دوره الهام في المعركة وتسانده نيران المدفعية الثقيلة (مدافع ١٥٥ ملم).

٣ - المعركة:

- اخترقت القوات العدوة الأراضي اللبنانية من عدّة محاور في القطاع الأوسط في فجر ١٦ ايلول ١٩٧٢:
- رميش - عين ابل - بنت جبيل - عيناتا.
- العديسة - الطيبة - القنطرة.

ومن هناك تقدّمت لملاحقة وتدمير الفدائيين على المحاور التالية:

- عيناتا - بيت ياحون - برعشيت - صفد البطيخ - تبنين.
- بيت ياحون - تبنين.
- بيت ياحون - عيتا الزط - حداثا - حريص - كفرا صديقين.
- كفرة - دير عامص - محرونة جويا - الشهابية.
- قصفت الطائرات الحربية كافة التلال المحيطة بهذه المحاور عند تقدّم القوات.
- حاولت القوات الاسرائيلية اكتناف مراكز الجيش اللبناني وحواجزه لملاحقة الفدائيين المنسحبين على الطرقات، لكن وحدات الجيش تصدّت لهذا التقدّم على كافة المحاور وضربت القوات العدوة بكافة الأسلحة التي بحوزتها، فأخّرت وعرقلت تقدّمها خاصة بعدما فجّرت النسفيات المعدّة على محاور التقدّم. وهذا ما استدعى قوات العدو أن تقصف بالطيران مرتفعات بير السلاسل السلطانية - صفد البطيخ (مراكز سرية الدبابات) وعيتا الزط (مراكز سرية المدفعية) وغيرها من المرتفعات والمحاور والمعتصمات.

ارغم العدو الاسرائيلي على الانسحاب بعد ان تكبّد خسائر في الأرواح والمعدات. وقد دام القتال يومين متتاليين (١٦ و١٧ ايلول) صمد فيها الجيش اللبناني صمود الأبطال بالرغم من عدم التكافؤ في نسبة القوى.

٤ - الخسائر:

❖ في صفوف العدو:

عدد كبير من القتلى والجرحى لم يحدد بالضبط.

عتاد:

- تدمير ٤ دبابات على محور صديقين - بيت ياحون.
- تدمير ٣ دبابات على محور جويا - محرونة.
- تدمير ٣ مجنزرات على محور قانا - صور.
- تعطيل دبابتين على محور صديقين - بيت ياحون.

❖ في صفوف الجيش:

- ١٨ شهيداً.

- ٤٦ جريحاً.
- ١٥ أسيراً.

❖ **صدى المعركة:** [١]

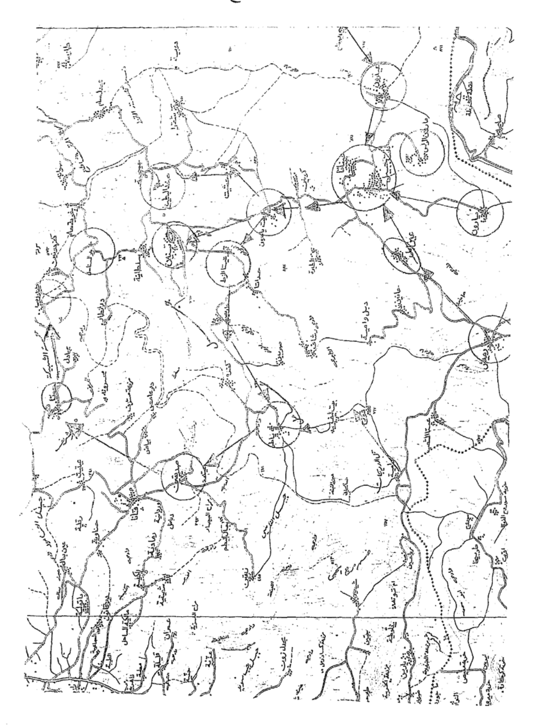
- قاومت قوات الجيش اللبناني ضراوة الهجوم ببطولة رائعة وبذلت دماءها بسخاء دفاعاً عن أرض لبنان وكرامته فاستحقت ثناء الأوساط العالمية والمحلية.
- وقد صدرت جميع الصحف اللبنانية بعناوين ضخمة كلّها فخر واعتزاز وتقدير لاستبسال الجيش اللبناني في ضرب العدو وصدّه.
- أما على صعيد الصحافة الأجنبية، فقد اعترف المراسلون الأجانب الذين رافقوا الهجوم الاسرائيلي، بصمود الجيش اللبناني ومما قاله أحدهم:

«ان الجيش اللبناني قاتل بشدّة، وان مقاومته أعطت صورة جيدة عن نفسه وقلبت رأساً على عقب جدول التوقيت الاسرائيلي. وقد حملت هذه المقاومة الاسرائيليين على إجراء تعديلات في خططهم».

(١) الخارطة رقم ٣١.

الخارطة رقم ٣١

الحدود الجنوبية - القطاع الأوسط



الفصل الثاني
حرب تشرين الأول ١٩٧٣ - العمليات العسكرية

١ - مدخل إلى الحرب

«لقد فاجأونا! لقد أمسكوا بنا ونحن لا نزال في سراويلنا الداخلية! لقد أمسكونا ونحن في قمة سعادتنا وثقتنا، عندما كنا نثق بقواتنا أكثر مما ينبغي، وعندما كنا نعتقد اننا نستطيع ضرب أي عدو في ستة أيام».(١)

بعد توقّف حرب الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية، والتي تكبّد فيها الطرفان، الاسرائيلي والعربي، خسائر كبيرة في الأرواح والمنشآت والمعدات العسكرية، سيطر على الساحة العربية جو من الجمود الذي عزّز الاحساس باختلال الميزان العسكري لمصلحة اسرائيل، خصوصاً بعد وصول شحنات الاسلحة الأميركية المتطوّرة. وتأكّد، بالتالي، ان أية تسوية سياسية ستعني الاستسلام التام للشروط الاسرائيلية في المنطقة، سواء تمت هذه التسوية ضمن إطار مشروع روجرز الأميركي أو من خلال مبعوث الأمم المتحدة يارينغ. ولم تستطع اسرائيل خلال ستة أعوام كاملة تحويل انتصارها في حزيران ١٩٦٧ إلى معاهدة مع أية دولة عربية، مما يترجم ذلك الانتصار في استسلام عربي للهزيمة.

وعلى الرغم من واقع الهزيمة عام ١٩٦٧، شهدت الجيوش العربية، خصوصاً الجيشين السوري والمصري، تطوّرات جذرية في مجالات التسلّح والاعداد والتدريب. وشهدت

(١) رفل بنكلر - جريدة اسرائيلية، على همشمار في ١٩٧٣/١٠/٩.

حرب الاستنزاف اختباراً حياً لكفاءة الجندي العربي وبسالته متى أتيحت له الفرصة لإثبات ذلك. واتجهت القيادات العسكرية نحو تطوير القدرات الخاصة بالمقاتل العربي، واستغلال عامل التفوّق البشري للتغلّب على تفوّق اسرائيل التقني.

كان قرار حرب ١٩٧٣، قراراً مصرياً سورياً – سعودياً. وهنا يكمن الفارق بالنسبة إلى ظروف حرب ١٩٦٧، إذ دخل العرب حرب تشرين الأول متضامنين في قواهم الرئيسية، بينما فرضت عليهم حرب ١٩٦٧ في وقت لم يكن فيه هذا التضامن قائماً.

كانت الدول العربية في صراعها الطويل مع اسرائيل تعبّىء جزءاً من طاقاتها البشرية والروحية والاقتصادية، ضد عدو شرس للغاية. واستطاعت العقيدة الصهيونية ان تعبّىء كلّ طاقاته وتزجّها في المعركة، مستغلّة الخوف العضوي الكائن في أعماق المجتمع الاسرائيلي، وعقد نقصه التي تشابكت مع عقد العظمة لتخلق حالة ذهنية ونفسيّة معقّدة قلبت سكان اسرائيل، المولودين على أرض فلسطين أو القادمين إليها، إلى مجتمع «مريض نفسياً» يتّسم بكلّ مساوىء المجتمع الالماني في ظل النازية، دون أن يكون لديه مزايا المجتمع الالماني وفروسيته وحضارته.

ومع تصاعد الخطر الاسرائيلي على الدول العربية بعد حرب ١٩٦٧ تصاعد إحساس هذه الدول بالخطر، ونما وعيها بضرورة تعبئة قواها وتوحيد جهودها لصدّه. وانتقل ردها من الانفعال إلى الفعل ومن امتلاك القوة الكامنة إلى الوعي بهذه القوة والاعداد لاستخدامها. وكان من الطبيعي ان ينعكس ذلك كلّه على تعبئة القوى بمفهومها العام، واستخدامها في حرب تشرين الأول ١٩٧٣.

٢ – المراحل الرئيسية لسير العمليات(١)

٢١ – توطئة:

كان لا بدّ من ان تقوم الدول العربية، لاسيما مصر وسوريا، بعمل عسكري يبدّل

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

الواقع البغيض الذي فرضته اسرائيل. وكان الجو مشحوناً على الجانبين. وفي شهر ايار ١٩٧٣، قامت اسرائيل بمناورة عسكرية واسعة المدى، وكأنها كانت تحذّر الدول العربية بانها تستطيع ان تطالها حيث كانت قواتها. ففي منتصف شهر ايلول ١٩٧٣، نشبت معركة جوية بين سوريا واسرائيل، خسرت فيها الأولى عدداً من طائراتها. وتتابعت اعتداءات اسرائيل على الزعفرانة في البحر الأحمر. وكانت هذه هي التي اتخذت الذريعة المباشرة لهجوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، وذلك بعد ان أوكلت مهمة عبور القناة إلى الجيشين الثاني والثالث المصـريين وإلى اختراق هضـبـة الجولان السوري بواسطة فرقتين مدرّعتين سوريتين الأولى والثالثة إلى جانب ثلاث فرق مشاة مؤلّلة سورية أيضاً - الخامسة والسابعة والتاسعة.(١)

أطلق على هذه الحرب «حرب رمضان» بسبب الشهر الذي نشبت فيه. وقد سماها اليهود «حرب يوم الغفران» لأنهم كانوا يحتفلون بعيد الغفران.

مـرّت هـذه الحرب عـلى مسرحي العمليات الشمالي والجنوبي بعدّة مراحل تعاقبت بسرعة، وانتقلت فيها القوات المتجابهة عبر أشكال القتال المتعدّدة:

- هجوم، دفاع، هجوم مضاد، انسحاب وتراجع، تطويق وفك تطويق.(١)

والشكل الوحيد الذي لم تشهده هذه الحرب القصيرة نسبياً، والطويلة بالنسبة للمجابهات العربية الاسرائيلية السابقة، هو:

- المطاردة واستثمار النجاح.(١)

٣ - العمليات على الجبهة المصرية

في الساعة الرابعة عشر من بعد ظهر يوم السادس من تشرين الأول ١٩٧٣، بدأت العمليات العسكرية على جبهة قناة السويس في اللحظة نفسها الذي انطلق فيها

(١) الأيوبي، الهيثم، دراسات عسكرية في حرب تشرين، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٥، ص٢١ .
- فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

الهجوم السوري على هضبة الجولان باتجاه فلسطين المحتلّة. وكانت هذه العمليات في بدايتها عبارة عن هجوم محضّر اجتازت فيه القوات المصرية قناة السويس في عملية كان التخطيط لها جيداً للغاية، وتدرّب عليها المقاتلون المصريون، بكافة رتبهم، تدريباً حسناً، ونفّذوها بسرعة وإتقان. وكان ذلك، بأي مقياس، عملاً حربياً ممتازاً.

قامت بهذا الهجوم قوات عبور محمولة على قوارب مطاطية وآليات مدرّعة برمائية تحت غطاء كثيف من نيران الطيران والمدفعية الثقيلة على مختلف عياراتها والصواريخ الموجّهة المضادة للآليات ومدافع الدبابات والرشاشات الثقيلة، ضد خط الدفاع الاسرائيلي المحصّن «خط برليف» على الضفة الشرقية للقناة. وخط بارليف يستند على مانع مائي عريض (قناة السويس)، وتدافع عنه بشراسة وحدات من جيش الدفاع الاسرائيلي، وتتمركز خلفها وحدات مدرّعة كاحتياط وبطاريات مدفعية ثقيلة جاهزة للقيام بهجوم مضاد محلي وتدمير رؤوس الجسور في حال عبور القوات المصرية. ويمكن تقسيم العمليات العسكرية التي دارت على هذه الجبهة منذ بدء القتال حتى وقف إطلاق النار الفعلي في ٢٤ تشرين الأول إلى خمس مراحل قتالية.(١)

٣١ - المرحلة الأولى - العبور (١٩٧٣/١/٦):

كان الرأي العام الاسرائيلي لا يتقبّل إطلاقاً، ان العرب سيهاجمون اسرائيل عندما يرون الوقت مناسباً لهم. فبعد حرب الأيام الستة العام ١٩٦٧، ساد الاعتقاد في اسرائيل ان العرب عاجزون عن خوض حرب حديثة، وأيضاً ان التفوّق الاجتماعي والتكنولوجي والصناعي في اسرائيل كان بيّناً بحيث لا يترك لهم أي أمل في إمكانية ردم الهوّة. لقد أعلنت غولدا مائير، رئيسة الوزراء ان «مجرّد فكرة ان يستطيع الجيش المصري عبور القناة هو إهانة للعقل»؟؟!.(٢) الجنرال اريبل شارون قائد الجبهة الجنوبية في

---

(١) الخارطة رقم ٣٢.

- شارون، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

سيناء، من جهته، لم يبخس المصريين أبداً قدرهم، وجاءت خبرته على هذه الجبهة تدعم هذا الرأي، إذ كتب: «تقول، إهانة للعقل أم لا، كنا نتابع استعداداتنا الخاصة فيما المصريون يتدرّبون».[١] «كنا نستطيع مشاهدة الوحدات المصرية الخاضعة لتدريب مكثّف. كانت تكرّر بلا انقطاع تقدّم الدبابات والمشاة حتى ضفة القناة، وتنشر تجهيزات ثقيلة وتبني جسوراً، معيدة تمثيل أطوار انزال على الضفة الأخرى بكلّ تفاصيلها... ولكي يحلّ المصريون المعضلة، التي تطرحها عليهم سواترنا الرملية المنحنية السطح، كانوا يتدرّبون منهجياً على ثقب حواجز الرمول والتراب بواسطة نوافير مياه قوية...».[٢]

لقد تسنّى للاسرائيليين مئات المرات مشاهدة التدريب ذاته:

- ابرار القوارب، ثقب السواتر الحاجزة، رمي جسور فوق الضفتين ومرور الجنود المصريين إلى الضفة الشرقية من قناة السويس.[٣]

وكما قال شارون «... كنا بعيدين جداً عن الجيش الذي عرفناه منذ خمسة أعوام أي العام ١٩٦٧.[٣] لقد بدأ المصريون يعرفون نقاط ضعفهم ويجهدون لمعالجتها.

ابتدأت المرحلة الأولى (العبور) بعبور القوات المصرية من مشاة وهندسة، قناة السويس واقتحام خط بارليف الحصين بعد قصف عنيف اشتركت فيه المدفعية الثقيلة والصواريخ والطائرات الحربية المصرية.[٤] ويقال ان عدد القذائف التي سقطت على القوات الاسرائيلية كان حوالى ١٧٥ قذيفة في الثانية. وكانت العملية بمجملها عبارة عن عبور القناة بالقوة تحت أنظار ونيران القوات المدافعة عن خط بارلييف. وبلغ من حجم المفاجأة في هضبة الجولان وقناة السويس، في اسرائيل، والذعر الذي أحدثته ان أوشك القادة العسكريون فيها على استخدام

---

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

(٢) شارون، مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٣) مماثل، ص ٣٤٢.

(٤) اشتركت بالقصف ١٩٠ طائرة مقاتلة مصرية - عراقية.

أسلحتهم الذرية ضد الأهداف العربية الاستراتيجية، وفكّرت رئيسة الوزراء غولدا مئير آنذاك في الانتحار، وأصيب وزير الدفاع موشيه دايان بالذهول والانهيار...(١)

رافق عبور القناة إبرار قوات مغاوير محمولة بالطوافات وراء خط بارليف لمهاجمته من الخلف وقطع طرق الانسحاب وخطوط المواصلات وعرقلة تقدّم الاحتياط العملاني الاسرائيلي للقيام بهجوم مضاد لردّ القوات المصرية إلى ما وراء ضفة القناة. لقد تمّت هذه المرحلة بنجاح وسرعة بفضل المفاجأة، وكثافة وقوة نيران الدعم المدفعي والصاروخي والتنظيم الممتاز وحسن اختيار توقيت الهجوم بناء على دراسات التيارات المائية في القناة. لم يتمكّن سلاح الجو الاسرائيلي من التدخّل بفعالية بسبب نيران وسائل الدفاع ضد الجويات مثل بطاريات الصواريخ سام ٣ وسام ٢ (أرض جو) والطائرات المصرية المقاتلة والمدفعية المضادة. ولم تتمكّن قوات الاحتياط الاسرائيلي من التقدّم بسبب الصواريخ الموجهة المصرية المضادة للدبابات المتمركزة وراء الساتر الترابي على طول الضفة الغربية للقناة، وقد كبّدته خسائر كبيرة لدى كلّ محاولة كان يقوم بها.(٢)

انتهت المرحلة الأولى هذه ببناء جسور عائمة لمرور الآليات المدرّعة والمؤلّلة والمدفعية المتحرّكة اللازمة لتدعيم رؤوس الجسور وتوسيعها في ليل ٦ - ٧ تشرين الثاني ١٩٧٣.

وفعلاً لقد تمكّنت الهندسة العسكرية المصرية، كما قال شارون من استخدام المتفجرات ومضخات المياه القوية لتدمير الجدار الترابي القائم في الضفة الشرقية للقناة بهدف تسهيل عملية نصب الجسور وعبور الآليات على مختلف أنواعها وأشكالها من الغرب إلى الشرق ووضع الرجل على برّ سيناء.

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٣.
(٢) الايوبي، مرجع سابق، ص ٢٩.

٣٢ - **المرحلة الثانية - تثبيت الجسور (٧/١٠/١٩٧٣):**

في السابع من تشرين الأول، بدأت مرحلة جديدة من القتال العنيف، قامت بها القوات الاسرائيلية مستعملة طائراتها الحربية المقاتلة بكثافة لتدمير رؤوس الجسور التي تمكّن المصريون من إقامتها بغية متابعة هجومها في الصحراء. وقد ردّت القوات المصرية على هذا الهجوم الجوي بكلّ ما تملك من وسائل دفاع جوي ومقاتلات وتمكّنت من تثبيت وجودها ملحقة بالعدو الاسرائيلي خسائر فادحة بالطائرات والمعدات. ويقول مراسل جريدة النيوزويك الذي شهد هذه المعركة «ان ٣ مقاتلات من كلّ خمس مقاتلات اسرائيلية حلّقت فوق القناة سقطت بفعل وسائط الدفاع الجوي المصري».(١)

لم يكن قصف المقاتلات الاسرائيلية دقيقاً فوق الجبهة بسبب إلقاء قنابلها من ارتفاعات شاهقة لأن وسائط الدفاع الجوي المصري كانت لها بالمرصاد وقد تمكّنت منها بكلّ جدارة ودقة.

أما مدفعية الميدان الثقيلة الاسرائيلية من عيار ١٧٥ ملم، فلم تتمكّن من إصابة رؤوس هذه الجسور بفعالية لأنها كانت تفتقر إلى المراقبة الدقيقة التي كانت تؤمّنها لها الطوافات التي لم تستطع أن تنفّذ مهمتها كما يجب بسبب نيران الوسائط الجوية المضادة. فكانت القذائف تسقط اما وراء رؤوس الجسور واما أمامها مما سمح لهذه بالبقاء في أمكنتها دون تدمير أو إصابة إلاّ ما ندر.(٢) لقد أصيب سلاح الطيران الاسرائيلي في سيناء بنكسة وبفضل هذه الدفاعات المصرية ضد الجويات، بدا سلاح الطيران اليهودي في سيناء مشلولاً بشكل ملحوظ.

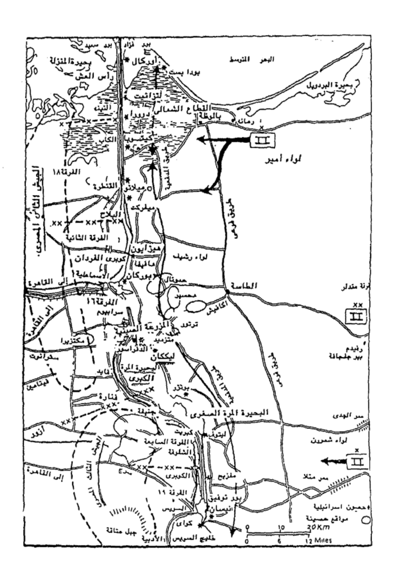
يقول شارون في مذكراته «فالقناة تبعد ٢٥٠ كيلومتراً من المعسكر الاسرائيلي، وينبغي الوصول إليها في أسرع وقت ممكن. ولا يتوفّر في الجبهة بكاملها سوى فرقة عاملة

(١) جريدة النيوزويك تاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٣.

(٢) كانت اسرائيل تملك مدافع ١٧٥ ملم أميركية الصنع يبلغ مدى رمايتها حوالى ٣٢ كيلومتراً.

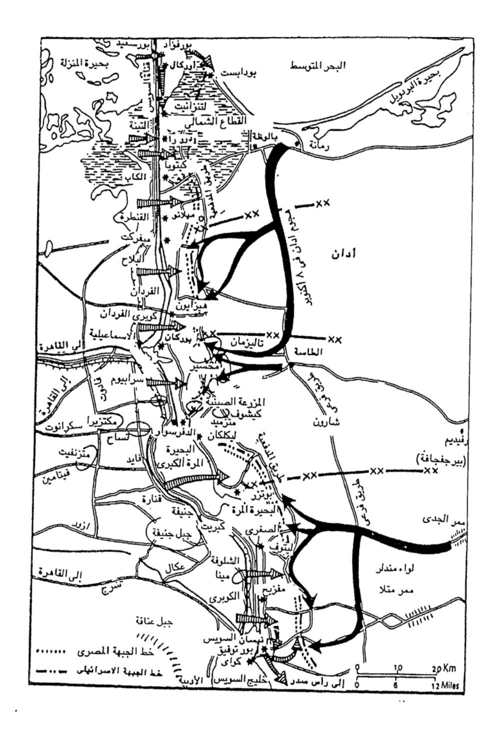
الخارطة رقم ٣٢

توزيع القوات السبت في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣



الخارطة رقم ٣٣

الهجوم الاسرائيلي على رؤوس الجسور المصرية ٧ و٨ أكتوبر ١٩٧٣



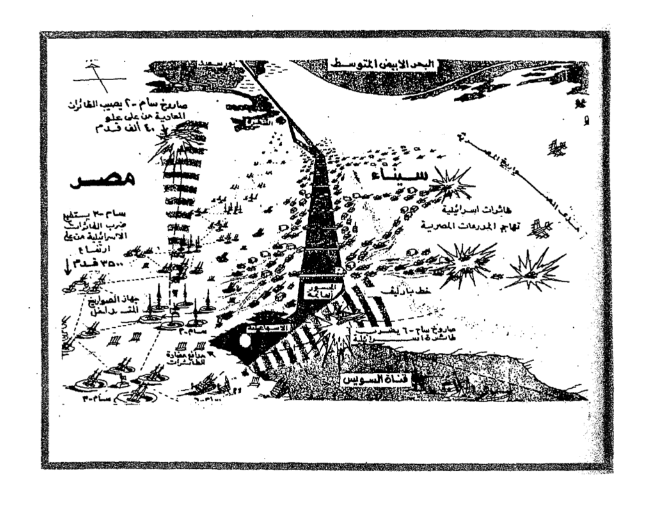
بقيادة الجنرال ابراهم البرت ماندلر مع ٢٩٤ دبابة. في مواجهة قواتنا هذه نشر المصريون خمس فرق مشاة وثلاث فرق مؤلّلة وفرقتين مدرّعتين أي حوالي ١٤٠٠ دبابة. وقبل ان تصل القناة قواتي وفرقة الاحتياط التي يقودها الجنرال ابراهم ادان، يتعيّن على الجنرال ابراهم مندلر ان يخوض إذاً معركة دفاعية ضد عدو يفوقه عدداً على نحو كبير... ففي خضم هذه الفوضى العامة قد يقرر أحد قطاعات الجبهة، وهو في فورة اضطرابه، انه بحاجة إلى دبابات ليواجه وضعاً حرجاً في نظره».(١)

بتاريخ ٨ - ٩ تشرين الأول، بدأ الهجوم الاسرائيلي المضاد غير انه فشل أولاً فكثّف اليهود عملياتهم العسكرية واستطاعوا تشبيت الخط الدفاعي وإيقاف القوات المصرية عن تقدّمها. بعد ٩ تشرين الأول قام المصريون بهجمات متكرّرة دون أن يستطيعوا اختراق الجيش الاسرائيلي كما قاموا بهجوم على منطقة السويس جنوباً لكنهم فشلوا. مع العلم ان المصريين كانوا قد سيطروا سيطرة تامة على مواقع خط بارليف ما عدا موقع واحد هو موقع بودابست الذي لم يقع بأيدي المصريين.

٣٣ - المرحلة الثالثة - توسيع رؤوس الجسور وتدعيمها:

بدأت هذه المرحلة باجتياز القوات المصرية وتدفقها إلى الضفة الشرقية عبر الجسور، وقيامها بتطهير كافة مواقع الاسرائيليين على خط بارليف. «لم يكن أحد على علم بما كان يجري حقاً على هذه الجبهة، ولم نجد من سبيل لتحديد الموقع الذي انطلق منه هجومهم الرئيسي... وفي غياب صورة واضحة كيف نحدّد تكتيك لهجوم مضاد، وما هي المواقع التي يتعيّن علينا احتلالها؟؟... فقواتنا في الخطوط الأولى تلقّت ضربات قاسية. وقد وردت إلينا تقارير عديدة عن وحدات فُقد الاتصال بها كلياً، وعن حصون ومراكز دفاعية على خط بارليف، مطوّقة... ولا يتوفّر قوات

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.



رسم بياني تناقلته صحف العالم عن عملية عبور قناة السويس والتوغل في سيناء، وقد ظهرت فيه قواعد الصواريخ وراء زحف الدبابات، والمجال الجوي الذي مزّقت فيه هذه الصواريخ أسطورة التفوّق الاسرائيلي.

لتعزيزها...».(١) ويزيد اريل شارون: «في المقابل لم تنشر وحدات الدبابات على طول القناة، كما كانت تلحظ خطة الدفاع. في المقابل، كان قرابة ٢٠٠ من دباباتنا، من أصل ٣٠٠ دبابة لفرقتنا في سيناء، على بعد ١٠٠ كيلومتر تقريباً من القناة، فلم تستطع من هناك الرد فوراً على عبور المصريين القناة».(٢)

وكان الاسرائيليون يحاولون مهاجمة رؤوس الجسور بقوات الاحتياط العملاني من الألوية المدرّعة: ١٤٠ ولواء غابي ولواء دان، وبالقوات الاحتياطية الاستراتيجية المدرّعة والمؤلّلة التي جمعت على عجل وراحت تندفع إلى مسارح العمليات بالتقسيط، دون أن تشكّل قوات كبيرة قادرة على تسديد ضربات ساحقة ضد القوات المصرية.(٣)

«استجابة لهذه الاستغاثات أرسلت فصائل دبابات من قوات الطليعة لمساعدة الوحدات الأمامية،... ولدى تقدّم الدبابات نحو القناة جوبهت بنيران جهنمية من الدبابات المصرية ومن الصواريخ المضادة للدبابات «ساغر وسنايبر والـ رب ج - ٧» المثبتة فوق السواتر الترابية الحاجزة في الدفاعات المصرية مقابل ضفتنا».(٢)

كما ان قوات المغاوير المصرية المنتشرة في سيناء كانت تعرقل حركة الهجمات المضادة وتضرب مؤخّرتها. «... وحتى تلك التي نجحت في التخلّص من القذائف والصواريخ وقعت في كمائن وحدات مسلّحة بالـ آر بي جي ٧ وبصواريخ ساغر المضادة للدروع، التي كانت تنتظرها في جوار التحصينات... ففي اليوم الأول خسرنا ٢٠٠ دبابة من أصل ٣٠٠ المتوفرة في الخطوط الأولى».(٤)

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٣٨٢.
(٢) مماثل، ص ٢٨٣.
(٣) الايوبي، مرجع سابق، ص ٣٠.
(٤) شارون، مرجع سابق، ص ٣٨٣ - ٣٨٤.
- الأيوبي، مرجع سابق، ص ٣٠.

ونجم عن ذلك امتصاص رؤوس الجسور للضربات المضادة الاسرائيلية وصدها ومتابعة التقدّم وتعزيز المواقع. لم يتمكّن اليهود من تحقيق السيطرة الجوية فوق الجبهة الأمر الذي كان له تأثير كبير على سير العمليات البرية. فالاسرائيليون اعتادوا القتال تحت حماية جوية كاملة، أما الآن فالامر قد اختلف جذرياً مما أثّر على الاداء العملاني. «هل من المعقول ان تكون القيادة العامة «الاسرائيلية» غير عارفة بالوضع الميداني؟[1] وقد تبيّن أيضاً ان المصريين قد أقاموا رؤوس جسور في المياه الضحلة على امتداد القطاع الجنوبي للقناة».

لقد طالت هذه المرحلة أكثر مما ينبغي. ولم تستغل القيادة المصرية خلالها انشغال عظيم القوات الاسرائيلية على الجبهة السورية للقيام بهجوم شامل نحو الشرق للوصول إلى الممرات (ميتلا والجدي) قبل ان يتمكّن اليهود من إنهاء استعداداتهم في سيناء. وقد اعترفت مصادر أجنبية عدّة - بينها مؤيّدون لاسرائيل، بان أسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر قد انهارت تماماً وانقلب «منتصرو» حزيران ١٩٦٧ إلى مهزومي السادس والسابع من تشرين الأول ١٩٧٣. كما اعترفت المصادر بخسائر «جيش الدفاع الاسرائيلي» الفادحة. «كان يوم الثامن من تشرين الأول ١٩٧٣، كارثة حقيقية وكابوساً لرجال الدبابات. أطلقنا في المعركة أشهر وحداتنا المدرّعة والمؤلّلة، فلم يكتف المصريون بصدّها بل عمدوا إلى نتف ريشها...».[2]

٣٤ - المرحلة الرابعة - التقدّم نحو الشرق (١٤/١٠/١٩٧٣):

بدأت هذه المرحلة في ١٤ تشرين الأول صباحاً لتخفيف الضغط الاسرائيلي عن الجبهة السورية، وذلك بعد ان عزّزت رؤوس الجسور مواقعها، وعبر الضفة الشرقية للقناة العظيم من وحدات الجيشين المصريين الثاني والثالث. وأصبحت القوة المصرية

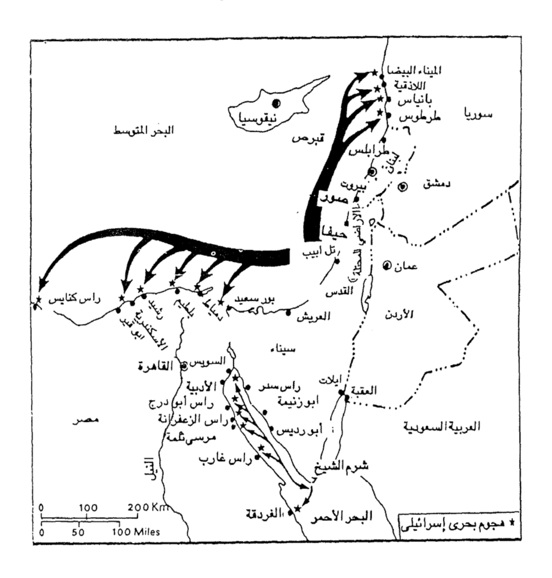
(١) شارون، مرجع سابق، ص ٣٨٤.

(٢) مماثل، ص ٣٩٨.

الخارطة رقم ٣٤

غارات إسرائيلية بحرية

كان الهدف من الغارات البحرية إبقاء قوّات عربية في حالة التأهّب على الشواطىء للتخفيف من قوى الإحتياط العربي



المحتشدة في سيناء ذات حجم هجومي قادر على التغلغل في العمق.

في صباح الأحد ١٤ تشرين الأول قام الجيش المصري بهجوم شامل على الجبهة بين الساعة ٦,٠٠ والساعة ٨,٠٠ صباحاً من قواعد انطلاق ثلاث على رؤوس الجسور في المناطق الواقعة شرقي القنطرة وشرقي الاسماعيلية وشرقي الشط. وكانت قاعدة الانطلاق الأولى على المحور الشمالي: القنطرة - العريش، وكانت القاعدة الثانية للانطلاق على المحور الأوسط: الاسماعيلية - بير جفجافة - أبو عجيلة، على حين كانت القاعدة الثالثة للانطلاق على المحور الجنوبي: الشط - ممر متلا - سدر الحيطان، والذي يتفرّع بعد ذلك إلى محورين يتّجه أحدهما نحو القسيمة والثاني إلى الكونتيلا وإلى ايلات.

وقد وُصف هذا الهجوم بأنه الأضخم خلال الحرب. اشتركت فيه حوالى الألفي دبابة والهدف منه احتلال ممري الجدي ومتلا.[١]

تقدّم المصريون نحو الشرق بحذر وثقة دون التورّط بالابتعاد عن مدى حماية الصواريخ المضادة للطائرات ودون إطالة خط الامداد بشكل يخلق لها مشكلة لوجستية حادة. كان المصريون يتقدّمون مستخدمين اسلوب الهجوم الدفاعي مقابل أسلوب الدفاع الهجومي الاسرائيلي.[٢] وفي كلّ مرة يتمكّنون من الاستيلاء على بقعة من الأرض، كانوا يحصّنوها بشكل يجتذب هجمات اليهود المضادة ويدمّروها، دون ان يسعوا إلى المطاردة واستغلال النجاح. فالتقدّم لم يكن سريعاً على الإطلاق. لقد تمّ الهجوم بوثبات منفصلة بطيئة لكنها ثابتة (أسلوب المحدلة الساحقة).

لقد جرت هذه المرحلة في المنطقة المحصورة بين المرتفعات في بر سيناء ورؤوس الجسور على القناة. وهي منطقة واسعة منبسطة تتخلّلها الكثبان الرملية، ولكنها بمجملها صالحة لمناورة الوحدات المدرّعة الكبيرة. حاول المصريون فيها استنزاف قوات الاحتياط العدوة قبل اقتحام

(١) نوبليس، مرجع سابق، المجلد رقم ١٢، ص ٢٠٥.
(٢) الايوبي، مرجع سابق، ص ٣١ - ٣٢.

المرتفعات والممرات. على حين حاول الاسرائيليون فيها منع تقدّم المصريين وتقليص رؤوس جسورهم أو إجبارهم على التوقّف في المواقع التي وصلوا إليها ريثما يتم استيعاب الامدادات الأميركية وتتوفر الظروف الملائمة لعبور القناة إلى الضفة الغربية.

لم يكد يمضي الأسبوع الأول من القتال حتى كانت الولايات المتحدة قد أقامت جسراً جوياً وآخراً بحرياً لنقل السلاح والذخيرة بكميات كبيرة وأنواع متطوّرة إلى اسرائيل، بحيث بلغت الشحنات اليومية من العتاد والذخائر بين ١٧٠٠ و١٨٠٠ طن. وهذا الذي وفّر لاسرائيل الوقوف أولاً ثم التقدّم.(١)

اتسمت معارك هذه المرحلة بالعنف والشراسة وضخامة القوات المشتركة فيها (لقد بلغت القوات المصرية ثماني فرق مؤلّلة ومدرّعة وكذلك الاسرائيليين تقريباً). ومن أبرز ما قام به المصريون في هذه المرحلة كان استخدام القوات الجوقلة وإنزالها على نطاق واسع وراء خطوط العدو.(٢)

لقد ردّت القوات الاسرائيلية الهجوم في هذه المرحلة وفقد الجيش المصري عدداً كبيراً من دباباته. فكانت هذه المعركة نقطة تحوّل في حرب سيناء (خسارة ٤٦٢ دبابة مصرية في يوم واحد، ١٤ تشرين الأول).(٣)

٣٥ - المرحلة الخامسة - اليهود يعبرون إلى الضفة الغربية (١٦ تشرين الأول):(٤)

كانت اسرائيل خلال المرحلة الرابعة من هذه الحرب، بين ٨ و١٤ تشرين الأول، تعدّ العدّة لعبور القناة والوصول إلى الضفة الغربية. ففي «ليل ١٠ - ١١ تشرين الأول وصلت كتيبة استطلاع (من فرقة شارون)

---

(١) فلسطين مرجع سابق، ص ٢٠٣.
(٢) الايوبي، مرجع سابق، ص ٣٣.
(٣) نوبليس، مرجع سابق، ص ٢٠٥.
(٤) الخارطة رقم ٣٢ - ٣٣.

إلى طريق لكسيكون، على بعد مئات من الأمتار من ضفاف البحيرة المرة الكبرى، من دون ان تصطدم بأية مقاومة مصرية. تقدّمت الدبابات بحذر في اتجاه الشمال واقتربت من الضفة العليا لبحيرة الدفرسوار، ليس بعيداً عن المكان حيث اعادت، في أيار من هذه السنة نفسها، السواتر الترابية المحاطة بجدار توقعاً لعبور محتمل للقناة... لماذا ننتظر ان يكتشف المصريون «الثغرة» لسدها».(١)

كانت خطة العبور معدّة من قبل ارييل شارون منذ ان كان قائداً لقوات سيناء بعد حرب ١٩٦٧. لقد حاول شارون القيام بهذا الهجوم المضاد وعبور القناة منذ يوم ١٩٧٣/١٠/١١ ولكن القيادة الاسرائيلية أخّرت العملية حتى يتم وصول الأسلحة الأميركية الحديثة عن طريق الجسرين الجوي والبحري (دبابات، طائرات مقاتلة، صواريخ تو، موجّهة مضادة للدبابات، قنابل ذكية، طوافات مسلّحة) ويتمّ توزيعها على القطع والوحدات الاسرائيلية. «في السابعة والربع من ١٩٧٣/١٠/١١ اتصل بي مساعد مدير العمليات العامة غونين، اوري بي اري وقال لي ان المسألة حلّت واننا لن نهاجم. وطلب مني ان أسحب قواتي من خط القتال (عند ضفاف البحيرة المرة الكبرى) واترك مواقع متقدّمة كنا نجحنا في احتلالها خلال النهار».(٢)

لقد فضّلت القيادة الاسرائيلية عدم البدء بالهجوم المضاد قبل ان ينتهي عبور غالبية مدرّعات الجيشين المصريين الثاني والثالث إلى الضفة الشرقية حتى لا تلاقي مجموعة العبور مقاومة عنيفة في مراحل العبور الأولى. وحتى تضمن اسرائيل تطويق معظم مدرّعات الجيش المصري، وقطع خطوط امدادها وتدميرها بعد ذلك في سيناء.

«في ١٥ تشرين الأول دعوت عند الساعة السادسة صباحاً ضباط فرقتي لاجتماع...

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٤٠٠ - ٤٠١.
- الايوبي، مرجع سابق، ص ٣٣.
(٢) شارون، مرجع سابق، ص ٤٠١.

لنعرض خطة المعركة. وكانت المعلومات التي أُبلغت إلينا تقول ان «الثغرة» بين الجيشين الثاني والثالث المصريين لا تزال مفتوحة، ما يبرهن على ما يبدو ان المصريين لم يكتشفوا حتى الآن وجودنا. في شمال هذه الثغرة طريقان من الشرق إلى الغرب كنت أنشأتها في أثناء الأعمال الكبرى العام ١٩٧٠، أحداهما، أسميناها «اكافيش» تصل تاسا بضفة البحيرة المرة الكبرى. وعلى بعد ثمانية كيلومترات شرقي القناة تمتدّ الثانية «طرطور» في موازاة «اكافيش» وإلى الشمال منها، وقد أُنشئت خصيصاً لقطر جسر الأنابيب إلى القناة، وهو جسر فولاذي يزن قرابة ٦٠٠ طن... وتنتهي إلى مكان تجمّع في أثناء العبور... هاتان الطريقان تحدّدان سيرنا نحو القناة، وعلينا ان نأتي عبرهما وعبر منطقة الرمال جنوباً بفرقتين، إضافة إلى كلّ تجهيزات عبور القناة...».[1] «وإلى الجنوب من اكافيش توجد منطقة «الثغرة» غير المحمية بين الجيشين المصريين، الأمر الذي يعطينا هامشاً واسعاً للمناورة. ولكن عند الطرف الشمالي للثغرة كانت طرطور تلف حول محيط رأس الجسر الذي أقامه الجيش المصري الثاني وكان جوارها محمياً جداً. وهناك أقام المصريون قاعدة كبيرة محصّنة «ميسوري»، موطّدة في قطاعها الجنوبي الغربي بدفاعات «المزرعة الصينية».[2]

في الساعة الواحدة من صباح ١٦ تشرين الأول، كانت طليعة المظليين اليهود تصعد إلى القوارب المطاطية وتعبر القناة. ولما وصلوا إلى الضفة الثانية، وجدوا القطاع خاوياً تقريباً. وبعد ان أقاموا جسرهم نقلوا بالراديو كلمة الشيفرة: «اكابولكو» وتعني مهمة منتهية.

لقد نجحت هذه القوة في المرور عنوة عبر الثغرة الواقعة بين الجيشين المصريين الثاني والثالث، رغم مقاومة لواء المشاة المصري ١٦ الذي كان يغطّي الجناح الأيمن للجيش

(١) المرجع السابق، ماثل، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.
- الخارطة رقم ٣٣.
(٢) شارون، مرجع سابق، ص ٤٠٦.

الثاني، في الوقت الذي كانت به قوات اسرائيلية، أخرى تشاغل وحدات الجيش الثاني جبهياً.(١)

«أنار فجر السادس عشر من تشرين الأول (اكتوبر) المشهد الأكثر روعة الذي قُيِّض لي رؤيته في حياتي. فطوال كلّ هذه الليلة خاض لواء امنون، الذي يضم عدّة وحدات مظليين وبقايا وحدة استطلاع يؤاب بروم وإحدى كتائب طوبيا وكتيبة أخرى لحاييم إرز، معركة في هذا القطاع ضد خيرة الفرقتين المصريتين. كنت أصغي إلى تقاريرهم بالراديو حابساً أنفاسي فيما ألسنة اللهب وبروق المعركة تنير السماء من الجهة الشمالية. لكن كلّ القيادة العامة لفرقتنا كانت منشغلة بالعمل وملتزمة إنجازه بقوة بحيث اننا لم نَعِ تماماً مدى المعركة وقوتها وعنفها القاتل. وعندما شحبت السماء تكشَّف المشهد عن مئات ومئات العربات المشتعلة أو المفحَّمة. أُتلفت خمسون من دباباتنا، وتبعثر حولها فوق رمال الصحراء مئة وخمسون دبابة مصرية محطّمة، ومئات العربات المدرعة والجيبات والشاحنات الملتوية. وهنا وهناك دبابات اسرائيلية ومصرية حطمت الواحدة الأخرى على بعد أمتار معدودة، وقد التحمت أساطينها في صراع مخيف وجهاً لوجه. وحول الدبابات وفي هياكلها المحطمة جثث طواقمها... وإذ دنوت شاهدت أجساد الجنود المصريين والاسرائيليين مختلطة في وضعها الأخير قبل الموت: قفزوا سوية من الهياكل الفولاذية الضخمة وهي تحترق، وسوية قتلوا. ولن يستطيع لسان أبداً أن يصف هول هذا المشهد، ولا رسام ان يصوّر ما حدث. وفي هذه الليلة نفسها سقط قرابة ثلاثمائة من رجالنا وجُرح مئات آخرون. وكانت خسائر المصريين أكثر فداحة أيضاً.

في ذلك النهار طلع فجر لا مبالٍ على هذه اللوحة شمال المكان الذي نحن فيه. وفي اللحظة ذاتها لفتت أعيننا صورة أخرى أخّاذة، من نوع آخر، ولكن هذه المرة في جوار القناة. فالجرافات هدمت ما تبقى من سواتر ترابية فاتحة الفناء صوب القناة. والآن ها هي

(١) الايوبي، مرجع سابق، ص ٣٣.

مصر تمتد أمام أنظارنا مباشرة نحن الواقفين على بعد مئتي متر من خط الماء. كنا أمام الفتحة المحدّثة في السواتر، مأخوذين بالأشجار والنباتات الوافرة، في ضفّتنا صحراء قاحلة ورمال وغبار. ومن جهتهم أشجار نخيل وبساتين مخضوضرة... بدا لنا اننا نشاهد الفردوس».(١)

في تلك الليلة نفسها عبر كلّ لواء المظليين بقيادة داني مات، وسرعان ما لحقته عربات مدرّعة وثمانٍ وعشرون دبابة تابعة لحاييم إرز، منقولة على أطواف. ومنذ شططت مدرّعات حاييم اندفعت غرباً وهي تحصد الوحدات المصرية التي صعقتها المفاجأة وتدمّر المواقع التي شاء سوء حظها ان توجد في طريقها. «وعند الساعة التاسعة أعلمتنا الوحدة المهاجمة انها نجحت في هدم خمس منصات صواريخ أرض - جو، ممزّقة على نطاق واسع المظلّة الجوية المصرية التي حمت حتى الآن هذه المنطقة ضد هجمات طياراتنا».(١)

عندما وصلت القوة الاسرائيلية إلى قناة السويس، عبرت دباباتها وعرباتها البرمائية من شمال البحيرات المرّة وأقامت رأس جسر صغير على الضفة الغربية للقناة، لم يلبث ان عزّز بقوات منقولة جواً. وقامت قوة العبور بالتوجّه نحو الشمال والشرق معرضة رأس الجسر حتى الدفرسوار حيث قام مهندسو العدو بنصب الجسور التي أمّنت عبور بقية قوة شارون.

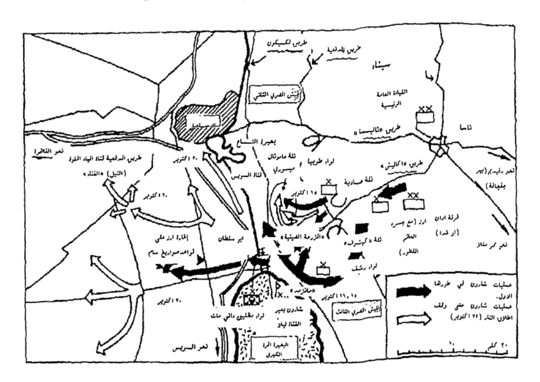
وكان ردّ المصريين في يوم ١٦ تشرين الأول ضعيفاً وبطيئاً وغير متناسب مع خطورة العملية الاسرائيلية. الأمر الذي ساعد قوة شارون على توسيع منطقة رأس الجسر وتطهيرها من المقاومات المصرية ومن الصواريخ أرض - جو. وساعدتها في هذه العمليات طائرات الهليكوبتر المسلّحة وطائرات العدو المزوّدة بأحدث ما أنتجته المصانع الأميركية من صواريخ جو - أرض (قنابل ذكية). وهكذا فتحت ثغرة في شبكة الدفاع الجوي المصرية سمحت للطيران

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٤١١ - ٤١٢.

الخارطة رقم ٣٥[١]

المعركة التي قرّرت مصير الحرب

العبور المفاجىء لقناة السويس من قِبل فرقة شارون في ١٩٧٣

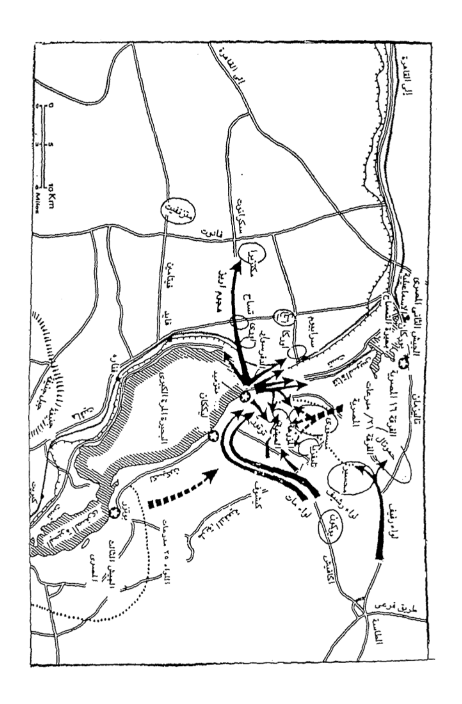


لم يكن الجيش الاسرائيلي يستطيع تحاشي نصر عربي في حرب الغفران (حرب اكتوبر) إلاّ بعبوره قناة السويس وتهديد مؤخّرة القوات المصرية في سيناء. كفلت فرقة شارون بهذه المهمة، فهاجمت في مساء ١٥ تشرين الأول (١ اكتوبر). واجتاز لواء مظليين القناة على متن قوارب، مستفيداً من «الثغرة» غير المرئية بين جيشي مصر، الثاني في الشمال والثالث في الجنوب. وبعدهم عبر القناة لواء دبابات فوق أطواف. وليس بعيداً من هنا - في قطاعي «المزرعة الصينية» و«وميسوري» كان باقي الفرقة يخوض المعركة الأكثر دموية التي عرفها الجيش الاسرائيلي في تاريخه.

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٤٢٧.

الخارطة رقم ٣٦

عملية العبور إلى الضفة الغربية ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣



الاسرائيلي بالتسلل والعمل بحرية أكبر خلال دعم قوات الثغرة التي اتجهت نحو الشمال لقطع طريق القاهرة - الاسماعيلية، وتطويق الجيش الثاني، وضرب مؤخراته.

وفي يوم ١٨ غدا الرد المصري أكثر عنفاً وتنظيماً. واشتركت فيه قوات احتياطية تضم المدرّعات والصواريخ ووحدات الكوماندوس وطائرات الهليكوبتر. واستطاعت هذه الهجمات، بالتعاون مع قطعات الجيش الثاني تحديد تقدّم قوات الثغرة نحو الشمال، ومنعتها من تحقيق أغراضها، الأمر الذي دفع العدو إلى التوجّه نحو الجنوب بغية الوصول إلى طريق القاهرة - السويس وتطويق الجيش المصري الثالث.

ودارت في فترة (١٨ - ٢٢) معارك على جانبي القناة. وكانت معارك الضفة الغربية عبارة عن هجمات اسرائيلية على محاذاة الشاطىء الغربي للبحيرات المرة، وهجمات معاكسة مصرية تقوم بها وحدات احتياطية والوحدات المحدودة الموجودة على مؤخّرة الجيش الثالث. وكانت مواقع المصريين في هذه المنطقة غير متكاملة نظراً لأنها تقابل البحيرات المرة التي اعتبرتها القيادة المصرية محوراً ثانوياً لا يُتوقع عبور العدو منه. لذا استطاعت قوّة شارون التقدّم باتجاه مدينة السويس. أما معارك الضفة الشرقية فكانت عبارة عن هجمات مضادة شنّتها وحدات من الجيشين المصريين ٢ و٣ بغية قطع طريق قوات شارون، وعزلها عن كبد القوات الاسرائيلية العاملة في سيناء. ولقد استطاعت القوات البرية الاسرائيلية بالتعاون مع الطيران والهليكوبترات المسلّحة صد هذه الهجمات. وبقي الممر الواصل بين الدفرسوار وسيناء مفتوحاً تتدفّق منه القوات المتجهة إلى الضفة الغربية. وفي يوم ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر)، وهو يوم وقف إطلاق النار رسمياً بناء على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨، كان حجم القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية قد بلغ ٢٥ - ٣٠ ألف رجل وحوالى ٣٠٠ دبابة، وكانت هذه القوات قد وسّعت الجيب حتى وصل إلى عمق ٢٠ - ٢٥ كيلومتراً، وامتدّ في الشمال إلى مسافة عدّة كيلومترات من طريق القاهرة الاسماعيلية، وامتدّ في الجنوب حتى بعد ١٠ كيلومترات من مدينة السويس. وطهّرت هذه المنطقة من

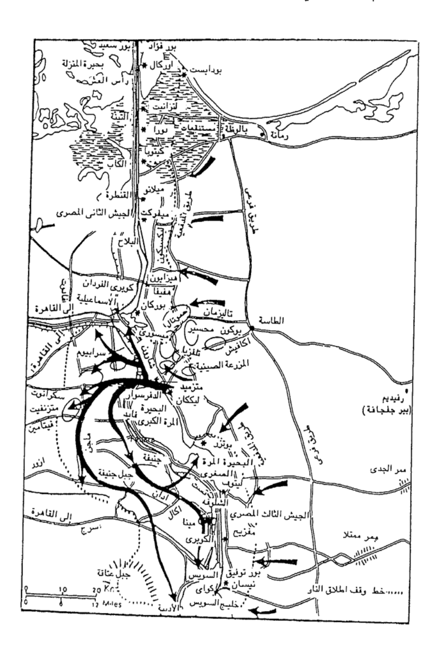
الدفاعات الأرضية المضادة للطائرات. واستولت على عدد من الطائرات المصرية (فايد، وكبريت، وكسفريت) واستخدمتها لإمداد قوة شارون بالمعدات والذخائر والأسلحة.

ولقد وجدت القيادة الاسرائيلية أن إيقاف إطلاق النار في ذلك الوقت يعني وضع قوة شارون في موقف حرج دون التوصّل إلى تحقيق أغراض الثغرة، لذا أصدرت هذه القيادة أوامرها بمتابعة التقدّم. واستغلّت قوّة شارون الوضع الجديد الناجم عن توقّف القتال والدعم الجوي الكبير الذي أمكن الحصول عليه فتابعت تقدّمها بسرعة ووصلت إلى مشارف مدينة السويس بعد ظهر (١٠/٢٣)، واحتلّت ميناء الأدبية (على خليج السويس) في صباح (١٠/٢٤)، وأكملت الطوق حول مدينة السويس ووحدات الجيش ٣ الموجودة على الضفة الشرقية للقناة، رغم صدور قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ الذي يؤكّد ضرورة إيقاف القتال فوراً.

في يوم ٢٤ حاول الاسرائيليون دخول مدينة السويس، ولكن قوات الجيش الثالث المتمركزة فيها استطاعت إيقافهم بالتعاون مع قوات المقاومة الشعبية. ولكن الاسرائيليين تابعوا الضغط على مدينة السويس بدون جدوى، الأمر الذي أدّى إلى توتر الجو العالمي بشكل خطير. وأعلن الرئيس الأميركي نيكسون استنفار القوات الأميركية الاستراتيجية (النووية) المنتشرة في جميع أنحاء العالم في (١٠/٢٤)، وادعى أن هذا التدبير عبارة عن إجراء وقائي، اتخذه بعد ورود معلومات تفيد بأن السوفيات أعدّوا قوة محمولة جواً (٤٠ ألف جندي) للتدخل وإيقاف القتال بالقوة. ووسط هذا الجو المنذر بصدام عالمي، اجتمع مجلس الأمن في (١٠/٢٤) وأصدر القرار رقم ٣٤٠ مؤكداً ضرورة إيقاف القتال فوراً والعودة إلى خطوط ١٩٧٣/١٠/٢٢. ورغم إعلان الاسرائيليين عن استعدادهم لإيقاف القتال فقد هاجموا السويس في صباح ٢٥، ولكن هجومهم باء بالفشل بعد أن تكبّدوا خسائر كبيرة. وتوقّف إطلاق النار على الجبهة الجنوبية في الساعة الثالثة وخمسين دقيقة بعد ظهر يوم ١٩٧٣/١٠/٢٥. وانتهت بذلك مرحلة

الخارطة رقم ٣٧

التقدّم الاسرائيلي غرب القناة وخط وقف إطلاق النار (١٩٧٣)



عنيفة من مراحل الصراع العربي - الاسرائيلي الطويل.[1]

قال الجنرال الفرنسي «غالو» تعليقاً على العمليات العسكرية في حرب ١٩٧٣، ان هناك عناصر ستة كانت حاسمة في بعض النجاحات التي أحرزها العرب:

١ - عنصر المفاجأة.

٢ - براعة الخطة العسكرية التي أعدّت من قبل مصر وسوريا.

٣ - فعالية القوات المصرية في اقتحام القناة إلى الضفة الشرقية منها.

٤ - قدرة القوات المصرية على الاحتفاظ بالجسور التي أقاموها على القناة.

٥ - نوعية المقاتل العربي التي اختلفت هذه المرة كثيراً عن المرة السابقة (١٩٦٧).

٦ - ظهور الصواريخ سام ٦ التي لم تكن معروفة لدى وزارة الحربية في الولايات المتحدة (البنتاغون) وسقوط أسطورة طائرة الفانتوم.

٤ - العمليات العسكرية على الجبهة السورية (٦ تشرين الأول إلى ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣)

٤١ - توطئة:

لعلّ وراء كلّ معركة حاسمة في التاريخ عبقرية عسكرية. والعبقرية الحربية هي التي تعرف كيف تفيد من أمور عدّة، لا بدّ من وضعها في الميزان قبل رسم الخطط.

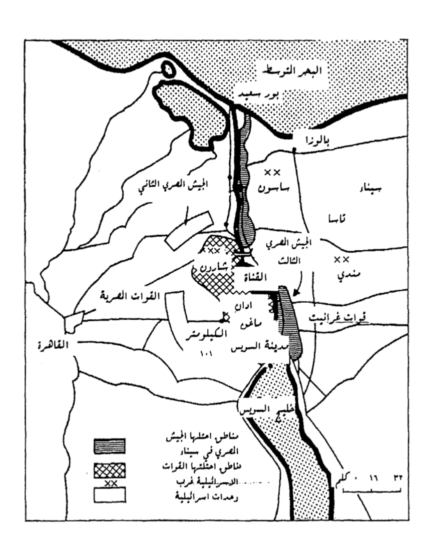
ومن أبرز الأمور، أرض المعركة، واختيار زمانها، (التوقيت) ومعرفة إمكانيات العدو، والقدرات الخاصة. والوضع النفسي لدى المتجابهين، وحسن التقاط الفرص، وعدم تفويت أية بادرة أو سانحة يمكن ان تفيد في القتال. وأثبتت حرب تشرين ان الأسلحة التي كانت تهيمن على ساحة القتال حتى الآن، مثل الدبابة والطائرة المقاتلة، قد أصبحت مهدّدة في متناول الأسلحة التي يستخدمها رجال المشاة.

كانت اسرائيل في حروبها تعتمد، بحكم وضعها الجغرافي، على تثبيت إحدى

(١) الايوبي، مرجع سابق، ص ٣٤ - ٣٥ - ٣٦.

الخارطة رقم ٣٨(١)

جبهة سيناء في ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر) عندما أوقفت القوات الاسرائيلية تقدّمها



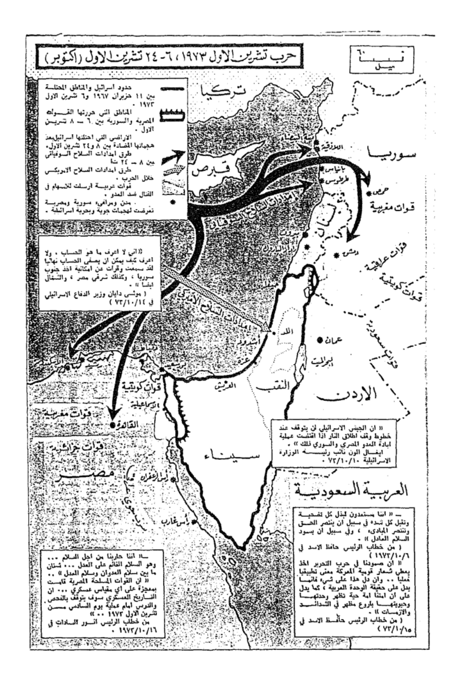
(١) شارون، مرجع سابق، ص ٤٣٣.

شارون جريحاً أثناء حرب تشرين ١٩٧٣


شارون جريحا اثناء حرب تشرين 1973

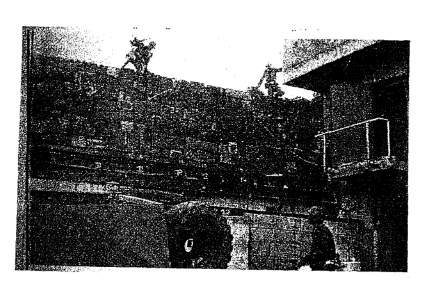
الخارطة رقم ٣٩

حرب تشرين الأول ١٩٧٣، ٦ - ٢٤ تشرين الأول (اكتوبر)



الكولونيل آصاف ياغوري قائد الكتيبة الاسرائيلية التي أسرته القوات المصرية في سيناء





اقتحام القوات السورية لمواقع جبل الشيخ

الجبهات العربية دفاعياً، والعمل على الجبهة الأخرى، ثم الانتقال إلى الهجوم على الجبهة الثانية، بعد حسم الموقف على الجبهة الأولى.

ولكن حرب ١٩٧٣ فاجأت القيادة الاسرائيلية بهجوم عربي منسّق من الجبهتين، وكان الضغط مستمراً من الشمال والجنوب. ولم يستطع الجيش الاسرائيلي حسم الموقف على إحدى الجبهتين، كما رأينا على الجبهة المصرية وسنرى على الجبهة السورية، لحشد قواته على الجبهة الأخرى. وبقيت قواته دائماً موزّعة الأمر الذي أفقده القدرة على تحقيق مبدأ الحشد والضرب بقوة.

لقد كانت اسرائيل تعتمد في تفوّقها على مبادىء أساسية في الحرب الخاطفة وهي: المفاجأة، والمبادرة، وسرعة الحركة وتفوّق السلاح الجوي، واستفراد الجبهات القتالية العربية بالتركيز على إحداها. وجاء هجوم القوات العربية ليقلب المعادلة، وليحدّ من عوامل التفوّق الاسرائيلي ويشلّ مفعوله المطلق.

٤٢ - مراحل الهجوم السوري:

في الساعة الرابعة عشرة من اليوم السادس من تشرين الأول ١٩٧٣، بدأت العمليات العسكرية على هذه الجبهة بهجوم محضّر قامت به فرقتان مدرّعتان: الفرقة الثالثة المدرّعة السورية والفرقة المدرعة الأولى السورية تؤازرهما ثلاث فرق أخرى هي: الفرقة السابعة السورية والفرقة التاسعة السورية والفرقة الخامسة السورية، تحت غطاء كثيف من نيران المدفعية الثقيلة وبطاريات الصواريخ والطيران ومدافع الدبابات. والصواريخ الموجّهة المضادة للدبابات. وجّه هذا الهجوم ضد خط «الون» المحصّن تحميه حقول ألغام ضد الآليات والأشخاص، ويمتد أمامه خندق مضاد للدبابات وتدافع عنه وحدات من الجيش الاسرائيلي، معزّزة بوحدات مدرّعة تمّ دفعها إلى هضبة الجولان في مرحلة التوتر التي سبقت القتال.

أ - المرحلة الأولى (الهجوم السوري):

بدأت هذه المرحلة بهجوم جوي مفاجىء قامت به طائرات سورية مقاتلة، قُدّرت بحوالى

مئتي طائرة انقضاضية، على طول خط الدفاع الاسرائيلي وسهل الحولة، إلى جانب رمايات تحضيرية من الف من المدافع الثقيلة، صبّت قذائفها على المعتصمات والمعاقل اليهودية في الهضبة. وأعقبها اندفاع القوات السورية من قواعد انطلاقها في شرقي الجولان وغربي حوران، ترافقها حوالى ١٥٠٠ دبابة، كانت تتمركز على طول الجبهة البالغ حوالى ٧٠ كيلومتراً، يقابلها ١٧ معتصماً اسرائيلياً مدعماً بالدبابات التي تتقدّمها الخنادق للاسلحة المضادة للدروع.[١] لقد تركّز الهجوم على ثلاثة محاور:[٢]

(١) - المحور الرئيسي:[٣]

وهو المحور الأوسط باتجاه سعسع - تل شمس تقاطع ماعص - المال - الحارة. وقد حقق فيه المهاجمون خرقين أساسيين، يتجه أولهما على محور خان أرنبه - الحميدية - طريق القنيطرة مسعده، ويطوّق القنيطرة من الشمال. والثاني يكمل الطوق حول القنيطرة من الجنوب.[٤] وكان هدف هذا الهجوم محاصرة القوات الاسرائيلية الموجودة في القنيطرة وتدميرها ثم متابعة التقدّم غرباً على محورين:[٤]

- القنيطرة - واسط - جونين.
- القنيطرة - كفرنفاخ - الصنوبر.

(٢) - المحور الشمالي:[٥]

وهو محور ثانوي يخرق الجبهة في اتجاه مجدل شمس مسعدة - بانياس. وكان من المنتظر التقدّم نحو الجنوب على طريق مسعدة - واسط العرضاني، لمشاركة قوات القطاع الأوسط المنطلقة من واسط باتجاه الشمال لمحاصرة القوات العدوة الموجودة بين

---

(١) دار نوبليس، مرجع سابق، المجلد رقم ١٢، ص ٢٠٧.
- الأيوبي، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) الخارطة رقم ٤٤.

(٣) الخارطة رقم ٤٠.

(٤) الخارطة رقم ٤٠.

(٥) الخارطة رقم ٤٤، ٤٠.

الطريق العرضاني مسعدة - واسط، وخط وقف إطلاق النار.

(٣) - المحور الجنوبي:[١]

وهو محور ثانوي يخرق الجبهة عند الرفيد وينقسم إلى فرعين. فرع يتّجه شمالاً على محور الرفيد - تل فرس - الغرارة - القنيطرة لمحاصرة القوات الاسرائيلية الموجودة بين الخط الأمامي وطريق الرفيد - القنيطرة. وفرع يتجه نحو الجنوب الغربي على طريق الرفيد - الجوخدار - العال - جعفات يواف، بالإضافة إلى ضربة تتجه من تسيل باتجاه طريق الرفيد - فيق لقطع مواصلات القوات اليهودية في الجوخدار.

ورافق هذه العمليات البرية عملية إبرار بقوات سورية وفلسطينية بالهليكوبتر على جبل الشيخ وعلى مفارق الطرق والمرتفعات والنقاط الحساسة وراء خطوط العدو. ولقد حقق هذا الهجوم نجاحات واضحة في اليومين الأولين، وخرَق خطوط العدو، واندفع في عمق ترتيبه الدفاعي بأسلوب الحرب الخاطفة، وحرّر الجزء الأكبر من الجولان، ووصل في عدد من النقاط إلى مواقع تشرف على بحيرة طبرية، وحرّر مرصد جبل الشيخ، وطوّق القنيطرة التي غدا تحريرها أمراً متوقعاً في كلّ لحظة.

وكان إنجاز هذه المرحلة بأكملها يهدف إلى تطويق الجزء الأكبر من القوات الاسرائيلية المدافعة، وتقسيمها إلى جزر منعزلة، وإبادتها، ودفع الاسرائيليين إلى المنحدر المعاكس، الأمر الذي يسمح بدحرهم ومطاردتهم. وأمام هذا الهجوم الصاعق، كانت القوات الاسرائيلية تتراجع أو تنكمش داخل جزر المقاومة، وتقوم بعملية الصد مستخدمة قوتها الذاتية، والدعم الجوي الأقصى، ووحدات المدرعات العاملة والاحتياطية التي كانت القيادة الاسرائيلية تدفعها إلى جبهة الجولان على عجل.

ب - المرحلة الثانية (الهجوم المضاد الاسرائيلي):

وفي اليوم الثالث للقتال (١٠/٨) توقف الهجوم السوري وأنهى العدو معركة الصد، ودفع إلى الجولان قواته الاحتياطية التي تمّ

(١) الايوبي، مرجع سابق، ص ٢٢.

جمعها خلال اليومين الماضيين وركّز ثقل قواته الجوية على الجبهة السورية. وكان همه في هذه المرحلة إبعاد الخطر عن مستوطنات سهلي طبرية والحولة، واستعادة الجولان للحصول على عمق دفاعي كاف. وكان تركيزه على الجبهة السورية لا على الجبهة المصرية ناجماً عن وجود عمق كاف في سيناء يسمح بالتراجع، ووجود خط الممرات الذي يمكن الوقوف عنده، وأخذ مواقع الدفاع بقوات محدودة، وعدم توفّر هذين العاملين على الجبهة الشمالية.

ولقد بنى العدو خطته في هذه المرحلة على النقاط التالية:

(١) - محاولة استعادة السيطرة الجوية مهما كلّف ذلك من خسائر، وذلك عن طريق قصف المطارات، وتدمير قواعد الصواريخ أرض - جو، وتدمير الطائرات في الجو.

(٢) - القيام بعمليات قصف جوي وبحري ضد أهداف استراتيجية ومنشآت حيوية وضرب المناطق السكنية للتأثير بشكل غير مباشر على معنويات المقاتلين.

(٣) - القيام بعمليات تشتيتية بحرية على الساحل السوري لإجبار السوريين على سحب جزء من قواتهم الاحتياطية وتجميدها لمجابهة احتمالات الخطر الذي يمكن أن يأتي من البحر.

(٤) - شنّ هجوم مضاد على طول الجبهة السورية قبل وصول الجزء الأكبر من القوات العراقية البرية والجوية إلى مسرح العمليات.[1]

وكانت معارك اليوم السادس (١٠/١١) من أعنف معارك الهجوم المضاد المعادي. وكان جهد العدو الرئيسي مركّزاً على المحورين الشمالي والأوسط نظراً لأنهما ينفتحان على الطريق المؤدية إلى دمشق. وكان الاسرائيليون يستهدفون من التقدّم نحو دمشق استغلال هذا التهديد إعلامياً ونفسياً، والتقدّم إلى المدى الذي يسمح لهم (١٢ كيلومتراً)، على الأقل، بقصف

(١) الخارطة رقم ٣٤.

العاصمة بالمدفعية البعيدة المدى بعد أن عجز الطيران عن تحقيق هذا القصف على نطاق واسع، بسبب قوة الدفاعات الأرضية ضد الطائرات.(١)

وفي نهاية يوم (١٠/١١) بدا بوضوح أن العدو قد نجح في القطاع الشمالي أكثر من أي مكان آخر، وخلق جيباً على محور القنيطرة سعسع بعمق ٢٤ كلم واستولوا على طرق حُضر (مرتفع له أهمية استراتيجية) وبيت جن وتل شمس. وكان من الواضح انه ينوي استغلال هذا النجاح في اليوم التالي. وبالفعل حاولت تحشدات العدو المدرّعة المدعومة بالطيران تركيز جهودها في الأيام التالية على المحور الشمالي لاستغلال الخرق ومتابعة التقدّم. وكان التقدّم على هذا المحور بسرعة يعني تهديد دمشق من جهة، وتطويق القوات السورية المقاتلة على المحور الأوسط من جهة أخرى. وفي ١٢ تشرين الأول استولى العدو على قرية ناسج وجعلوا قيادتهم في تل شعار وهو موقع متحكّم بمداخل دمشق.

ولقد اعتقد الاسرائيليون بعد صد الهجوم السوري في القطاع الشمالي وتجاوز خط وقف إطلاق النار، انهم سينتقلون بعد الخرق إلى حرب الحركة التي تبنّوا عقيدتها وطبّقوها بنجاح في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧. ولكن اعتقادهم كان مبنياً على فهم خاطىء لحقائق الحرب الرابعة وموازين قواها على أرض المعركة. فلقد جابههم دفاع قوي، عزّزه قدوم وحدات عراقية مدرّعة ومؤلّلة، انتقلت بسرعة من العمق الاستراتيجي إلى مسرح العمليات تحت غطاء جوي أمّنه سلاحا الطيران العراقي والسوري. ولقد وصلت وحدات مدرّعة عراقية إلى مكان المعركة في الوقت المناسب نظراً لانتقال بعضها على السلاسل، ودخلت المعركة التصادمية منذ يوم ٦/١٢ بعد اعداد واستطلاع قصيرين.(٢) ولم يستطع الطيران الاسرائيلي التعرّض لهذه

(١) الخارطة رقم ٤٢ و٤٣.
(٢) الخارطة رقم ٤٣.

الحركة الاستراتيجية، كما تعرّض لحركة القوات العراقية في حرب ١٩٦٧، وذلك لعدّة أسباب هي: السرية والمفاجأة، وانشغال الطيران الاسرائيلي بمهمات الصد على الجبهتين وتغطية عملية جمع الاحتياط، وسعة منطقة التحرّك وإمكانية سير الارتال خارج الطرقات، وتزويد الارتال المتحرّكة بأسلحة تقليدية مضادة للطائرات.

وكان الدفاع السوري الذي جابه الهجوم المضاد الاسرائيلي شرقي الخط الأخضر مبنياً على جبهة لا على خط. وهذا يعني ان خرق الموقع الأمامي من قبل العدو لا يقدّم له إمكانية الاندفاع في أرض خالية من الدفاعات، كما أن موازين القوى وضخامة الحشد العربي يعني أن التقدّم مضطرّ للاصطدام بقوات احتياطية مجهّزة لشن الهجمات المضادة على جميع المستويات. ولقد حدَّ من فاعلية الهجوم المضاد المعادي ثلاثة عوامل هي: عدم قدرة الطيران الاسرائيلي على تحقيق السيطرة الجوية التي تعطيه تفوّقاً برياً ساحقاً، واضطرار القوات المتقدّمة إلى العمل على أرض وعرة صخرية محدودة المسالك لا تسمح بالمناورة الآلية ولا تعطي القوات المدرّعة فرصاً جيّدة لاستغلال إمكاناتها الحركية، وصمود القوات السورية - العراقية في الدفاع عن الأرض.

واصطدم الهجوم الاسرائيلي بالفعل بدفاعات قوية ورمايات مدفعية وصواريخ كثيفة. ولم يستطع الطيران تأمين الدعم الجوي اللازم للتقدّم كما لم يستطع إسكات بطاريات المدفعية التي نفّذت أمام قوات العدو البرية سدوداً نارية قوية. وطبّقت القوات السورية - العراقية أساليب الدفاع الديناميكي، وشنّت هجمات مضادة شديدة كسرت حدّة الهجمات المعادية وأوقفتها على جميع المحاور. وفي ١٠/١٤ انتهت المرحلة الثانية وتوازنت قوى الطرفين، واختفت إمكانات التقدّم نحو دمشق، ولم يعد لدى الاسرائيليين أي أمل بتحقيق مفاجأة استراتيجية، أو قلب التوازن الاستراتيجي للقوات العربية.

ج - المرحلة الثالثة (التوازن الاستراتيجي):[١]

أصبح خط الجبهة في المرحلة الثالثة متعرّجاً ومتشابكاً تصطدم فيه المدرعات والمشاة المؤلّلة والمدفعية فوق أرض وعرة مكشوفة تصلح لقتال المشاة والمدفعية أكثر من صلاحياتها لقتال القوات المتحرّكة الآلية (دبابات ومشاة مؤلّلة). ويرجع سبب تعرّج خط الجبهة وتداخل وحدات الطرفين إلى الهجمات السورية الأولى التي حققت النجاحات في مختلف القطاعات، والهجمات المضادة الاسرائيلية التي جاءت لتحقق بعض النجاح على القطاعين الشمالي والأوسط، وهجمات السوريين والعراقيين في الأيام التالية، وردّ العدو عليها بهجمات مضادة محلية. ولقد بقي الوضع على هذا الحال منذ يوم ١٠/١٤ حتى وقف القتال، وحاول كلّ طرف من الطرفين تحسين وضع مواقعه باحتلال مرتفع أو بطرد قوة من مكان متحكّم أو خط يصلح للدفاع أو الانتشار. وكانت تجري طوال النهار مبارزات بين بطاريات مدفعية الميدان، ومبارزات بين مدافع الدبابات، دون أن تقوم هذه الدبابات بحركات واسعة ودون قيام الطرفين بعمليات ليلية واسعة النطاق. ولقد اشتركت في هذه المبارزات غالباً بطاريات المدافع والمدفعية الصاروخية والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات. واعتمد السوريون على استخدام بطاريات صواريخ «سنايبر» و«ساغر» الموجهة السوفياتية الصنع، كما عمد الاسرائيليون إلى استخدام بطاريات «س.س. - ١١» الفرنسية الصنع التي فرضت الحكومة الفرنسية عليها حظراً ومنعت شحنها إلى منطقة الصراع، كما اعتمدوا على الصواريخ الأميركية «تاو» المضادة للدبابات، وعلى طائرات الهليكوبتر المسلّحة بالصواريخ الموجهة المضادة للدبابات. في ١٦ الشهر تعرّض اليهود لهجوم من قبل الفرقة الأردنية التي دخلت الجبهة لمساعدة السوريين ولكنه فشل. كما قام العراقيون بهجوم آخر، لكنه لم ينجح.[٢]

---

(١) الخارطة رقم ٤٤.

(٢) نوبليس، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

ويمكن اعتبار المرحلة الثالثة التي بقيت حتى وقف إطلاق النار مرحلة تشترك فيها فرقتان مدرّعتان سوريتان (أعيد تنظيمهما)، وفرقتان مدرّعتان عراقيتان، ولواء أردنياً. ولكن صدور قرار وقف إطلاق النار، وقبول مصر به أوقف العملية الهجومية التي كانت تستهدف تصفية ثغرة سعسع ومطاردة القوات الاسرائيلية غربي الخط الأخضر.

ومن المؤكّد ان العبء الأكبر على الجبهة السورية وقع في هذه المرحلة على عاتق السوريين والعراقيين. وقامت الوحدات المغربية وقوات جيش التحرير الفلسطيني بدورها القتالي على أكمل وجه ضمن قطاعات عمل القطاعات الكبرى السورية العاملة في القطاعين الشمالي والأوسط. أما الوحدات الأردنية والسعودية فكانت مشاركتها متناسبة مع صغر حجمها، ووجودها على محاور ثانوية، ودخول المعركة بعد امتصاص القوات السورية - العراقية لعنف صدمة الهجوم المضاد المعادي، وبدء تركيز الجهد الاسرائيلي على جبهة سيناء.

مع العلم انه خلال الفترة الممتدة من ١٦ حتى ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣، استغلّ الاسرائيليون الموقف للقيام بهجوم على الموقع الاسرائيلي الذي فقده اليهود في جبل حرمون (مركز الرادار) في أول الحرب وسيطروا عليه من جديد في ٢٢ تشرين الثاني. وفي مساء هذا اليوم وافق السوريون على وقف إطلاق النار الصادر عن هيئة الأمم المتحدة.[١]

٥ - دور لبنان المشرف في حرب تشرين ١٩٧٣[٢]

٥١ - اتفاقية الهدنة حالت دون مساهمة لبنان في القتال:

منذ أن وقّع لبنان الهدنة بعد حرب ١٩٤٨ واسرائيل تسعى بجميع الطرق والوسائل لإبطال مفعول هذه الاتفاقية رغبة

(١) نوبليس، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

(٢) الاحدب، مرجع سابق، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

منـهـا في اسـتـدراج لـبـنـان إلى الحرب والاستيلاء على منطقة الجنوب. وبفضل هذه الاتفاقية وموقف المسؤولين اللبنانيين، حافظ لبنان على سلامة أراضيه ولم يخسر قطاعات من أرضه كما حصل في مصر وسوريا في حرب حزيران ١٩٦٧.

ان هذا الوضع بالذات هو الذي قضى بأن يحارب لبنان على الجبهة الدبلوماسية ويترك جبهة النار صامتة، إلاّ إذا تخطاها العدو وخرق باقتحامها اتفاقية الهدنة. فعندئذ ينتقل إلى الحرب الدفاعية كما حصل في أيلول من العام ١٩٧٢ حيث عطل للعدو عدّة مدرّعات تبارى المصوّرون الصحافيون في التقاط صورها.

٥٢ - لبنان يساهم بالدم:

بينما كانت الدماء السورية والمصرية تلوّن أرض المعركة، كانت الدماء اللبنانية الذكية تسقي عروق الجرحى والمصابين من الطرفين: فقد هرع المواطنون بعفوية صادقة إلى التبرّع بدمائهم وجادوا بها رخيصة لإسعاف إخوانهم وإنقاذهم وإعادتهم إلى الصمود والقتال. وفتحوا أبواب المستشفيات وشرّعوها لاستقبال المصابين السوريين ومعالجتهم، وأوفدوا بعثات الصليب الأحمر إلى دمشق وحمص واللاذقية للمساهمة في إسعاف الجرحى.

وهكذا جاد اللبنانيون بدمائهم في المعركة، وسالت دماؤهم إلى حيث يمكن ان تبقى حياة وتنقذ بطلاً وتحفظ مقاتلاً، وكانوا بحق، أكثر إيجابية وفضلاً، من الصامتين والمتريثين والمنتظرين.

٥٣ - لبنان يساهم بالمال:

بصرف النظر عن مساهمة لبنان بخمسة بالمئة من موازنته السنوية للمجهود الحربي، اجتمعت فئات عديدة من النواب والشخصيات وممثلي المجالس والأحزاب والهيئات والجمعيات والنقابات واتفقت كلمتهم على وجوب دعم المعركة وتوحيد الجهود وتنسيقها بما في ذلك الاشراف على جمع المال وتوحيد الجباية بواسطة الهيئات واللجان المحلية وسائر العاملين لهذه الغاية.

أما دار الفتوى في بيروت فقد أعلنت ان الظروف الراهنة التي تمرّ بها الأمة في أثناء الحرب، تحتّم على المسلمين شرعاً ان يحوّلوا

أموال زكاتهم لدعم المجهود الحربي على مختلف جبهاته.

هذا مع العلم ان دار الفتوى مع كثير من المراكز الوطنية قد افتتحوا صناديق خاصة لتلقي الأموال والمساعدات وتحويلها إلى الجهات ذات العلاقة.

٥٤ - لبنان يساهم بالغذاء:

وفي نطاق المساعدات الغذائية أرسل لبنان الشاحنات تنقل الألبان والأجبان والحليب المعقّم والبيض والفراريج. وقد تمّ إرسال هذه المواد الغذائية تباعاً وبطريقة منسّقة.

٥٥ - لبنان يساهم بإدامة المعركة:

بعد ان ضرب الطيران الاسرائيلي مستودعات النفط في اللاذقية وحمص قلّت كمية المحروقات في سوريا وكادت مدرّعات الجيش السوري وآلياته ان تتعطل عن العمل. عندئذٍ سارع لبنان إلى نجدة سوريا بقوافل من شاحنات النفط عملت دون انقطاع وحتى نهاية الحرب.

٥٦ - الاعلام اللبناني يزعج اسرائيل:

برز دور الاعلام اللبناني في وصف المعارك ودقة الوقائع لدرجة ان اسرائيل لم تعد تتحمّل وطأة هذا الاعلام فعمدت إلى نسف الكابل البحري في خليج السان جورج بواسطة ضفادعها البشرية.

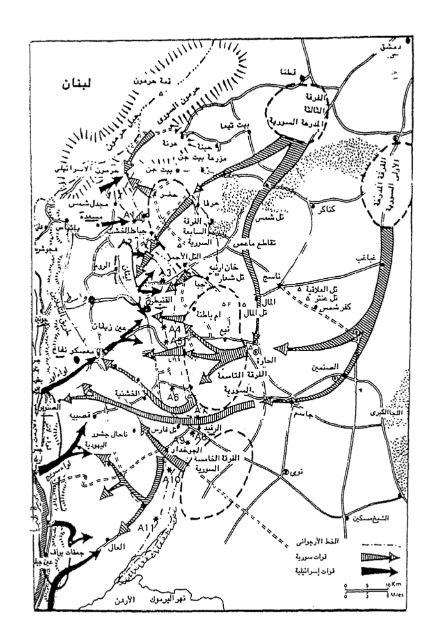
٥٧ - شهادة حق بلبنان:

في تصريح لوزير الاعلام السوري السيد جورج صدقني أدلى به إلى السيد داوود الصايغ قال:

«ان موقف لبنان الرسمي يرفع الرأس، وموقفه الشعبي رائع. نحن راضون عن موقف لبنان إلى أقصى حدود الرضى. ولا بدّ في هذه المناسبة من توجيه تحية خاصة للرئيس فرنجية رئيس الجمهورية اللبنانية الذي تجلّت وطنيته الأصيلة أثناء المعركة، فقدّم لبنان الشقيق إلى سورية كلّ المساعدات التي في وسعه ان يقدّمها، ولبّى كلّ النداءات التي وجّهت إليه».

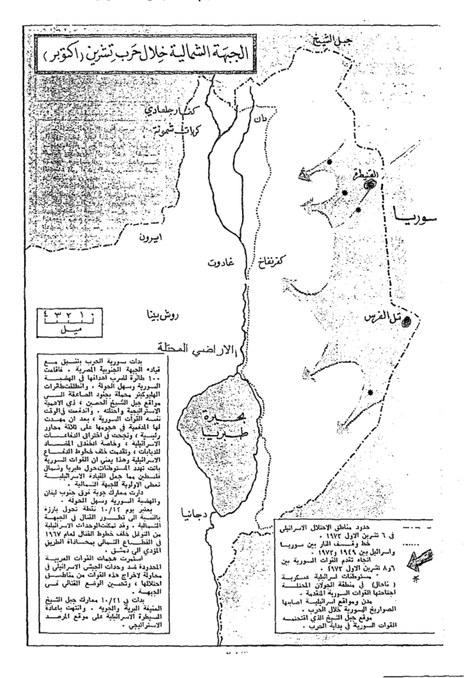
الخارطة رقم ٤٠

أقصى مدى للاختراق السوري، منتصف ليلة الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣



الخارطة رقم ٤١

الجبهة الشمالية خلال حرب تشرين (اكتوبر)



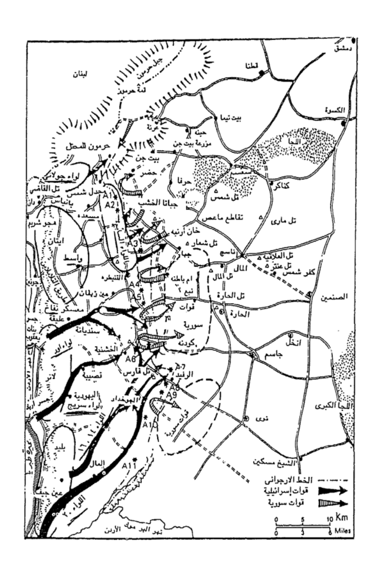
---

(١) الاحدب، مرجع سابق، ص ٦٣ - ٦٤.

الخارطة رقم ٤٢

الهجوم الاسرائيلي المضاد يبلغ الخط الارجواني

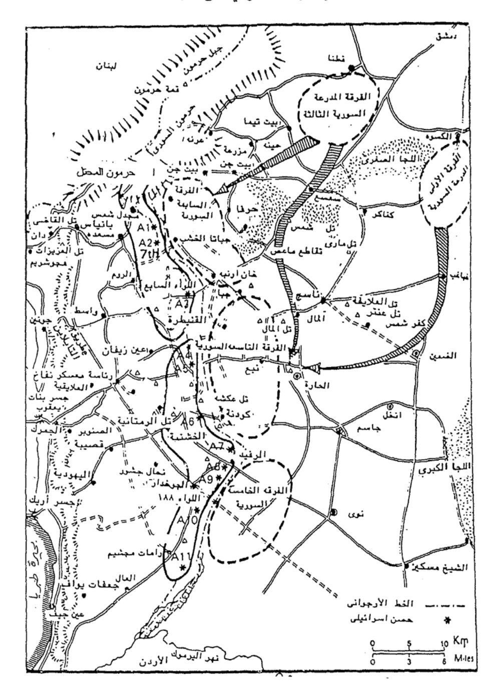
صباح الاربعاء ١٠ أكتوبر ١٩٧٣



الخارطة رقم ٤٣

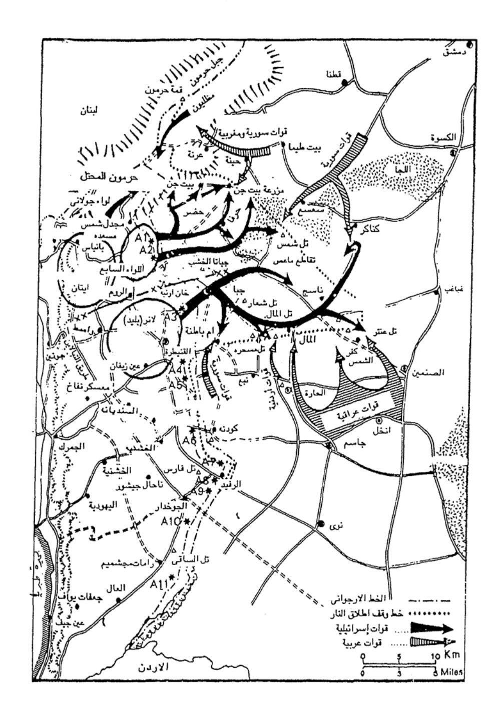
توزيع القوات، السبت ١٦ أكتوبر

محاولة الإختراق السوري من جهة الشمال



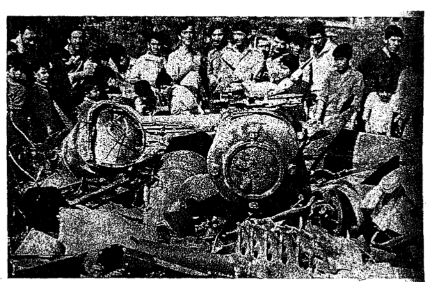
الخارطة رقم ٤٤

الاختراق، ١١ تشرين الأول ١٩٧٣



بعض الأسرى الاسرائيليين في حرب ١٩٧٣





حطام طيران العدو في شوارع دمشق ١٩٧٣

الفصل الثالث
الدروس المستخلصة من حرب ١٩٧٣[١] واتفاقيات فصل القوات

١ - الدروس المستخلصة

سقوط نظرية القوة المتفوّقة:

عمدت اسرائيل إلى تحقيق قوة عسكرية متفوّقة على القوات العربية، تستطيع ردعها أو التغلّب عليها في حالة الحرب. وقد آمنت أميركا بهذه الفكرة وعمدت بدورها إلى تدعيم قوة الردع الاسرائيلي، لأنها بنظرها الضمانة الوحيدة لاستقرار المنطقة ومنع نشوب الحرب.

فماذا حصل؟ رفضت الدول العربية التحدي واستطاعت أن تشكّل قوات مسلّحة قلبت موازين القوى، وأطلقت شرارة القتال في حرب لم تعهدها اسرائيل من قبل.

التبدّل في ميزان القوى:

كانت اسرائيل تعتمد على تفوّقها العسكري المطلق في هذا الميزان، وكانت لها ذراع طويلة تضرب بها من تشاء لفرض الارهاب الاسرائيلي على المنطقة.

وجاءت الحرب الرابعة لتعدّل من ميزان القوى هذا، ولتغير من معدّلاته ولتقطع ذراع اسرائيل الطويلة، وتحوّل تفوّقها المطلق إلى تفوّق نسبي.

---

(١) الاحدب، عزيز - كارثة الصحراء وصناعة النصر - الطبعة الأولى ١٩٩١، شركة جروس برس، طرابلس، لبنان، مرجع ثاني، ص ٢٥٣ - ٢٧٠.

ولقد كانت اسرائيل تعتمد في تفوّقها على مبادىء أساسية في الحرب الخاطفة وهي: المفاجأة، والمبادرة، وسرعة الحركة، وتفوّق السلاح الجوي، واستفراد الجبهات العربية بالتركيز على إحداها. وجاء هجوم القوات العربية ليقلب المعادلة، وليحدّ من عوامل التفوّق الاسرائيلي ويشلّ مفعوله المطلق.

سقوط نظرية الردع:

يرتكز مفهوم الأمن القومي الاسرائيلي، إلى حدّ بعيد، على الردع، عن طريق استعمال القوة. ولقد مارست القوات الاسرائيلية عمليات الردع طوال السنوات الماضية وفق مقتضيات الأوضاع المحلية والعالمية. وكان امتلاك القوة المتفوّقة يمنح اسرائيل قوّة رادعة لا يستهان بها. وبالرغم من وجود هذه القوة وإمكاناتها، فقد اندلعت الحرب الرابعة وتحطّم الردع. ويعود السبب في ذلك إلى أن هدف الحرب، بالنسبة للعرب كبير، ولا يمكن التخلي عنه، لأنه يتعلّق بأرضهم وكرامتهم ومصيرهم ومستقبل أجيالهم الصاعدة.

سقوط نظرية الخطوط المحصّنة:

وبالرغم من اعتماد اسرائيل خطة الحرب الخاطفة، فقد تبنّت القيادة العسكرية خلال حرب الاستنزاف ١٩٧٠ فكرة بناء خط بارليف الحصين الذي تحدّثنا عنه. ولكن حرب تشرين أثبتت من جديد، عدم قدرة الخطوط المحصّنة على الصمود أمام هجوم عنيف، تدعمه المدفعية والقوات المحمولة جواً. ولقد جاء الإثبات هذه المرة حاسماً لأن خط التحصينات لم يكن خطاً عادياً في أرض منبسطة، بل كان خطاً مرتكزاً على مانع مائي مما يعزّز قدرته على الصمود.

فشل المناورة الاستراتيجية:

تعتمد اسرائيل بحكم وضعها الجغرافي على تثبيت إحدى الجبهات العربية دفاعياً، والعمل على الجبهة الأخرى، ثم الانتقال إلى الهجوم على الجبهة الثانية، بعد حسم الموقف على الجبهة الأولى.

ولكن حرب تشرين فاجأت القيادة الاسرائيلية بهجوم عربي منسّق من الجبهتين، وكان الضغط مستمراً من الشمال

والجنوب، ولم يستطع الجيش الاسرائيلي حسم الموقف على إحدى الجبهتين لحشد قواته على الجبهة الأخرى. وبقيت قواته دائماً موزّعة الأمر الذي أفقده القدرة على تحقيق مبدأ الحشد والضرب بقوة.

فشل سلاح الطيران في الحسم الاستراتيجي:

إنهارت أسطورة سلاح الطيران الاسرائيلي الذي لا يقهر، عندما تمكّنت أجهزة الدفاع العربية (صواريخ أرض - جو، طائرات معترضة، مدفعية مضادة) حرمانه من حرية العمل وجرّدته من القدرة على ضرب القوات وتنفيذ الحسم العملاني، كما جرّدته من القدرة على ضرب المدن، لتأمين الحسم الاستراتيجي، عن طريق انهيار الجبهة الداخلية.

خطأ التقدير الاستراتيجي:

كان التفكير الاسرائيلي على أن المصريين لن يتعرّضوا للملاحة الاسرائيلية، حتى ثبت العكس حيث أقدم المصريون على إقفال باب المندب. وبهذا يكونوا قد فرضوا الخنق الاستراتيجي في البحر الأحمر وأوقفوا شحنات النفط إلى اسرائيل.

أهمية الصواريخ البعيدة المدى:

ان عدم ضرب اسرائيل للعمق المصري لم يكن أخلاقياً بقدر ما كان تخوّفاً من تحذير الرئيس السادات بضرب العمق الاسرائيلي. وبالفعل فإن صواريخ سكود المصرية قد شلّت قوة الردع عند اسرائيل وليس الصواريخ المضادة للطائرات.

إن يد اسرائيل الاستراتيجية أصبحت محدودة في عملياتها ضد العرب.

نجاح فكرة الاستراتيجية العربية:

قال الجنرال بوفر: «ان الخطة العربية كانت حلاً ممتازاً لحرب محدودة: عملية عسكرية ذات مرمى سياسي. لقد نجحت هذه الخطة رغم التطوّرات التي فرضتها الحيوية الاسرائيلية».

ليس هناك سلاح هجومي وآخر دفاعي:

أسقطت حرب تشرين نظرية التمييز بين

الأسلحة الدفاعية والأسلحة الهجومية فقد كانت هناك أوهام تقول ان السوفيات لا يعطون العرب أسلحة هجومية بل دفاعية، حرصاً على عدم تحويل النزاع في الشرق الأوسط إلى خطر يهدد السلام العالمي.

وفي الواقع لا وجود لشيء اسمه سلاح هجومي، إذ ان السلاح يكتسب صفة الدفاع أو الهجوم وفقاً لتصرّف الذين يستعملونه، ولما يريدونه من وراء استخدام السلاح. وفيما يلي بعض الأمثلة:

١ - الدبابة:

انها سلاح «نار وصدمة» وهي تستخدم بكثرة في الهجوم، كما توزّع على وحدات المشاة في الدفاع.

٢ - والمدفع:

إنه سلاح هجومي إذا استخدم لدعم القوات المتقدّمة أو لرمي خطوط العدو قبل الهجوم. وهو يصبح سلاحاً دفاعياً إذا ما خصص لخلق السدود النارية الثابتة أو المتحرّكة أمام المهاجمين.

٣ - والصاروخ سام ٦ المضاد للطائرات:

انه سلاح دفاعي إذا ما كلّف بمهمة حماية المنشآت الحيوية أو مراكز تجمّع القطاعات المدفعية، ولكنه سلاح هجومي إذا ما واكب القوات المتقدّمة وحماها من طيران العدو.

٤ - والطائرة القاذفة:

انها سلاح معدّ لقصف أهداف العدو في العمق. سواء أكان هذا القصف لمساعدة القوات المهاجمة أم كان للحد من اندفاع العدو ضد القوات المدافعة.

٥ - والطائرة المقاتلة المعترضة:

انها سلاح قادر على حماية أجواء البلاد ضد هجمات العدو الجوية، كما أنه قادر على حماية القاذفات المتوغّلة في أجواء العدو لضرب أهداف يتوقّف تقدّم الهجوم على تدميرها.

٦ - والطائرة القاذفة المعترضة:

إنها سلاح يجمع صفتي القاذفة والمعترضة معاً، لذا فإن من الطبيعي أن

ينطبق عليها ما ينطبق على هاتين الطائرتين.

٧ - والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات:

انها أسلحة فعالة قادرة على إيقاف تقدّم دبابات العدو، إذ ما أخذت مواقعها في الخطوط الدفاعية، كما أنها قادرة علي دعم الدبابات المهاجمة، ومساعدتها على تدمير دبابات العدو وحصونه وأسلحة مواقعه الدفاعية.

وهكذا يمكن ذكر عشرات الأمثلة التي تؤكّد الحقيقة التالية:

«ليس هناك سلاح هجومي وآخر دفاعي. وإنما هناك استراتيجية هجومية وأخرى دفاعية».

العوامل التي تحدد طبيعة الاستراتيجية:

ان كمية السلاح وحجم القوة النارية، ومدى التفوّق المحقق، ومستوى الاستيعاب التقني للسلاح، والقوى المعنوية، والمستوى القيادي اوالتدريبي، هي العوامل التي تحدد طبيعة الاستراتيجية، أي تحدّد ما إذا كانت الأسلحة المتوافرة، ستستخدم للهجوم أو للدفاع.

انحدار دور الهجوم وبروز دور الدفاع:

قال الجنرال الفرنسي بوفر في حديثه عن الدروس المستخلصة من حرب تشرين ما يلي:

«لو أخذنا في الاعتبار، الدور الرئيسي الذي لعبه السلاح المضاد للطائرات، والمضاد للدبابات، فاننا نعاصر الآن مرحلة مهمة من التحوّلات الاستراتيجية، وهذا التحوّل هو بروز دور الدفاع وانحدار دور الهجوم.

ان دور الدفاع كان يلي دائماً دور الهجوم، إلاّ ان ما تمّ في حرب تشرين الأول، يدعونا إلى الاعتقاد أنه في القريب العاجل سيكون أهم من دور الهجوم. وهذا يناقض كلّ النظريات الاستراتيجية العسكرية التقليدية. والله أعلم...؟

عامل الزمن:

ان عامل الزمن، عنصر أساسي

واستراتيجي في الحروب العسكرية، وهو دائماً لمصلحة العرب. وفي حرب تشرين شعر العدو الاسرائيلي بأنه ولأول مرة في تاريخ المواجهات الفعلية، أمام خطر حرب استنزاف طويلة لا طاقة له على تحمّلها.

خطة العرب الجديدة:

ان خطة العرب الجديدة مبنية على:

١ - الحرب الطويلة المدى.

٢ - وحدة جبهة القتال العربية والتنسيق الكامل في الخطوات.

٣ - الهجوم وتحصين المواقع المحررة.

أهمية الاعداد والتخطيط:

ان أهم أسباب نجاح القوة الجوية المصرية، هو الاعداد الجيّد المسبق للقوات، وللاهتمامات المتوقّعة، وسرعة استعادة المواقف المبنيّة بالدرجة الأولى على الكفاءة الفنية في إصلاح المعدات الالكترونية والتخطيط الصحيح لتوفير قطع الغيار المناسبة.

أهمية التدريب:

إن القوات العربية المسلّحة التي جابهت العدو، كانت قوات مدرّبة بعد أن انصرفت إلى مهمتها الأساسية من خلال تمارين ومناورات واقعية.

إبعاد الجيش عن السياسة:

قال أحد الدبلوماسيين الغربيين:

إن كبار ضباط القيادة المصرية الذين تسلّموا مراكزهم بعد حرب ١٩٦٧، طلبوا من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ووافق معهم، على أن تشرف القيادة بنفسها على الترقيات داخل الجيش، بحيث يخضع الجيش لقيادته العسكرية، التي تخضع بدورها للقيادة السياسية.

المواهب والكفاءة:

ان مناصب القيادات قد ملئت على أساس من المواهب والكفاءة، مما كان له التأثير البالغ في رفع قدرة القوات العربية المسلّحة في الجو والبحر والبر.

مفعول الانضباط:

ان التغيير الكبير في المسلكية العربية في الحرب، والتغيير الكبير في معنويات المقاتلين العرب، إنما يرجع إلى سبب هام، هو التقيّد بالانضباط.

الجيش والمجتمع:

كان ثمة تحليل لحرب الأيام الستة يقول، ان مردّ الفوز فيها إلى التفوّق التكنولوجي والنظام لجانب من حارَب ضد أناس متخلّفين تعليمياً واجتماعياً. وقد أثبتت هذه الحرب انه يمكن بناء جيش متقدّم جداً، عن القاعدة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والتكنولوجية التي ينتمي إليها، وربما كان ذلك هو أكثر دروس الحرب خطراً على الإطلاق.

حرب الصحراء:

برهنت وقائع العمليات الحربية ان حرب الصحراء هي:

١ - حرب الحركة والمناورة، بالقوات المشتركة من جوية وبحرية وبرية، حيث تجتمع العناصر كفريق متكامل وبتخطيط مشترك.

٢ - حرب استدراج الدبابات إلى مصيدة أو كمين، تعدّ فيه ستارة من الأسلحة المضادة لها، لتدميرها بشدة.

٣ - حرب ظهرت فيها أهمية الطيران كعنصر استطلاعي وكعنصر قتال.

٤ - حرب الامدادات وأهمية الماء... فالماء في الصحراء سلاح لا تقل أهميته عن الوقود والذخيرة.

القيادة والتخطيط:

١ - تبيّن أن تغيير القادة بحكمة، قد يكون من العناصر الفعالة لدرء خطر التدهور في الروح المعنوية بعد الهزائم أو الفشل.

٢ - التخطيط للحرب يجب أن يكون شاملاً لجميع مراحلها، وليس لمرحلة منها.

٣ - التخطيط لتحقيق المفاجأة، أمر له أهميته، ويجب أن يكون الهدف فيه، هو تدمير قدرات الخصم القتالية، وليس امتلاك الأرض.

٤ - توقعات القائد، بعد أن يتاح له دراسة أسلوب خصمه، تفيد في إبطال المفاجأات وخصوصاً إذا كرّر الخصم أسلوبه القيادي.

أكبر انتصار بأقل ثمن:

كانت تقديرات المصريين سابقاً هي إمكانية حدوث خسارة قد تصل إلى عشرة آلاف شهيد خلال عمليات العبور الأولى. وكانت هناك تقديرات لخبراء عسكريين أجانب، بأن مصر لا بد أن تخضع في حسابها خسارة تصل إلى ٥٠ ألف جندي خلال اليوم الأول للعبور. ولكن الخسارة الفعلية كانت ١٤٨ جندي فقط. والله أعلم...!

التدمير والمناورة:

كان تشرشل يقول ان الفوز في الحروب يتمّ إما عن طريق المجازر أو المناورة. وقد كانت حرب الأيام الستة، حرب مناورة من الطراز الأول، أما الحرب الأخيرة فقد تغلّب فيها التكتيك على الاستراتيجية، والاستنزاف على الحركة، وكانت المعارك بطيئة مضنية لم يتعدّ فيها جيش من الجيوش ١٠ كيلومترات في اليوم الواحد.

أي أنها كانت حرب إبادة وتدمير أكثر منها حرب مناورة.

أهمية سلاح المشاة:

أثبتت حرب تشرين أن الأسلحة التي كانت تهيمن على ساحة القتال حتى الآن، مثل الدبابة والطائرة، قد أصبحت مهدّدة، وفي متناول الأسلحة التي يستخدمها المشاة.

اختيار الوقت الأنسب لوقف إطلاق النار:

ان لوقف إطلاق النار في العمليات الاسرائيلية، فترة من التأرجح يستفيد منها العدو دوماً، للتقدّم وثبة جديدة إلى الأمام. من هنا تظهر الضرورة في الحروب المحدودة. ان تتضمّن خطة العمليات، إشارة خاصة عن الوقت الأنسب، لوقف النار وما يجب أن يؤخذ له من تدابير.

وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة:

لم يكن القتال بالسهولة التي تصوّرها البعض. فقد قاتل العدو الاسرائيلي بشراسة في أكثر النقاط، كما أن هناك نقاطاً قليلة استسلمت بسرعة أو هرب أفرادها. ومثال على شراسة العدو في القتال:

١ - قيامه بـ١٦ هجمة مضادة ضد رأس جسر في القطاع الأول شمالاً وجنوباً.
٢ - استرداد العدو لنقطة حصينة شمال البلاد، ثم استردادها من قبل القوات المصرية قبل منتصف الليل.
٣ - عدم سقوط نقطة بور توفيق إلاّ يوم ١٢ تشرين الأول ١٩٧٣.

هذا مع العلم أن القوات المصرية كانت تقاتل وسط صعوبات ثلاث:
أ - مواجهة العدو من الأمام.
ب - مهاجمة العدو لها من الجوانب.
ج - مهاجمة العدو لها من الخلف، من نقاط العدو، التي لم تسقط بنيران الطيران والدبابات.

١١ - الدروس المستخلصة في مجال الطيران:

المعركة الجوية:

ان متطلّبات الحماية للمطارات، وضرورة توزيع الطائرات وإبعادها عن بعضها، وقوّة الصواريخ المضادة للطائرات، كلّ هذه العوامل أدت إلى تغيير شكل المعركة الجوية تغييراً جذرياً. فعوضاً عن أن تكون فاصلة شأنها سنة ١٩٦٧ تباطأت حتى آخر الحرب، لدرجة أن معظم الطائرات العربية نجت من التدمير، لتبقى قدرة استراتيجية صالحة للاستعمال بعد المعركة.

أما الاسرائيليون على عكس ذلك، فقد أرادوا مواصلة استعمال الطائرات كما في السابق، فأنزلت بها خسائر جسيمة.

تضاؤل أهمية سلاح الطيران:

قال معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن، في تقريره السنوي، ان النظام الشامل للدفاع الجوي الذي استخدمه العرب لأول مرة في حرب تشرين، أكّد تضاؤل أهمية الطائرات المقاتلة والطائرات القاذفة المقاتلة.

فقد سلاح الجو قدرته على الحسم:

لم تستطع الأجهزة الالكترونية تخليص الطائرات من ضربات الصواريخ. فخسر طيران العدو أعداداً كبيرة من الطائرات. وكان على الطائرات أن تحلّق على ارتفاعات عالية وتلقي قنابلها من دون تسديد محكم. وغدت كلّ مغامرة لتدمير هدف حيوي

محمي بالصواريخ، تعني خسارة نصف الطائرات المهاجمة على الأقل. وهكذا فقد السلاح الجوي قدرته على الحسم، وغدا سلاحاً معاوناً للقوات البرية.

سلاح الجو يمكن إبادته من الأرض:

بدون حماية الأجهزة المضادة الالكترونية، تواجه حتى أفضل الطائرات المقاتلة في العالم، لحظات صعبة جداً، في محاولتها التخلّص من أجهزة الدفاع الجوية الأرضية.

ووفقاً لما تقوله الولايات المتحدة نقلاً عن المصادر الاسرائيلية، خسرت تل أبيب ١١٠ طائرات. أسقط ٨٠ بالمئة منها بواسطة صواريخ سام، وسقطت البقية في معارك جوية كلاسيكية.

أهمية استعمال الطوافات:

استعمل الفريقان الطوافات في تحليق منخفض، لوضع الكمائن ونقل المغاوير إلى مؤخّرة العدو. إلاّ أن العملية الأهم التي نفّذت في هذا المضمار كانت تلك التي قامت بها سرية سورية للاستيلاء على قمة جبل الشيخ.

مستقبل الطيران:

إن أي وهم في إسكات الصواريخ العربية المضادة للطائرات على أساس تفوّق الطيارين أصبح أمر مشكوك فيه. كذلك تبخّرت نظرية الطائرات الأسرع من الصوت.

تفوّق الطيران الاسرائيلي:

ان الطيران الاسرائيلي لا يزال متفوّقاً على الطيران العربي رغم عديده المتفوّق وذلك يعود إلى أن حمولة الطيران الاسرائيلي هي ضعفي حمولة الطيران العربي، ولأن الطائرة الاسرائيلية تقوم بخمس أو ست طلعات في اليوم الواحد في حين أن الطائرات العربية لا تستطيع القيام بأكثر من ثلاث أو أربع طلعات...

طائرة دون طيار:

يسرع سلاح الطيران الأميركي في تطوير طائرة آلية تهاجم وسائل الدفاع الجوي، دون

المجازفة بأرواح الطيارين، وذلك نتيجة لخسائر اسرائيل الكبيرة بالطائرات في حرب تشرين الأول ١٩٧٣.

١٢ - الدروس المستخلصة في مجال الصواريخ:

فعالية صواريخ سام:

أثبتت صواريخ سام الموجّهة من الأرض إلى الجو، أنها أشد فتكاً في طائرات سلاح الجو الاسرائيلي مما كان متوقّعاً. وقد لعبت هذه الصواريخ دوراً مهماً في تبديل ميزان القوى بين العرب واسرائيل.

لقد أثبتت حرب تشرين بما لا يقبل الشك، ان لدى مصر أقوى نظم صواريخ ودفاع جوي في الشرق الأوسط.

كان الاسرائيليون يعرفون ان قواعد صواريخ سام، على الضفة الغربية، هي قواعد ثابتة. وعندما بدأ العبور المصري انطلق سلاح الطيران الاسرائيلي لضرب مواقع هذه الصواريخ. ولكن القوات الاسرائيلية فوجئت بأن لهذه الصواريخ قواعد متحرّكة تمّ تحريكها بسرعة فائقة، فضربت الطائرات الأماكن السابقة لهذه القواعد، بينما انطلقت صواريخ سام من القواعد الجديدة لتحطّم الموجات الأولى من الطيران الاسرائيلي.

ولعلّ ما جعل صواريخ سام بهذه الفعالية المخيفة، انها وزّعت ونشرت في جهاز جوي دفاعي منسّق ومتكامل، يتألّف من صواريخ سام ٢ وسام ٣ الاقدم عهداً، وصواريخ سام ٦ الحديثة المحمولة على شاحنات، وصواريخ سام ٧ التي يحملها الجندي على كتفه ويطلقها. وقال أحد خبراء البنتاغون: «ان صواريخ سام ٧ أبسط من صاروخ سام ٦ ولكنه أكثر فعالية ونادراً ما تستطيع الطائرات المغيرة الفرار منه».

الصواريخ تحدّ من استعمال القوات المنقولة جواً:

في الحروب السابقة كانت الوسيلة الكلاسيكية لضرب مؤخّرة العدو هي إنزال وحدات من المظليين وراء خطوطه الأمامية. أما في حرب تشرين فقد بدت مثل هذه المحاولة عملية إنتحارية حقيقية، لأن اصطياد طائرات النقل العسكرية الضخمة، التي تحمل أعداداً كبيرة من رجال المظلات، في

منتهى السهولة، بالنسبة لبطء مثل هذه الطائرات الثقيلة، وبفضل وجود صواريخ أرض – جو بكثرة في القواعد المصرية ومما يؤكّد هذه النظرية ان حرب تشرين لم تشهد أية عملية إنزال مظلي لا على الجبهات ولا في العمق.

الصواريخ عديمة الجدوى ضد الهجمات البرية:

يرى الخبراء العسكريون ان بطاريات الصواريخ الجاثمة على منصاتها، تغدو عديمة الفعالية، ضد هجمات أرضية بالأسلحة التقليدية، حتى وان توفّرت لتلك القواعد حماية جيّدة. ذلك أن قنبلة واحدة من مدفع دبابة أو مدفع ميدان أو بازوكا تكفي، لتعطيل صاروخ قابع في قاعدته على الأرض.

صواريخ أرض – أرض «فروغ»:

استعمل السوريون لأول مرة صواريخ أرض – أرض من نوع «فروغ» أي الضفدعة، في ضرب مطاري «صفد» و«رافات دافيد». وهذه الصواريخ تستعمل لأول مرة في الشرق الأوسط. وهي كما وصفتها المصادر العسكرية من أحدث أنواع السلاح الذي أنتجته المصانع السوفياتية. تزن القذيفة منها طنان، ومداها يصل إلى ٤٥ ميلاً. ويقول الاسرائيليون ان بعض هذه الصواريخ أصابت المستوطنات الاسرائيلية فأنزلت بها خسائر فادحة في المباني والأرواح. فقامت عدّة أسراب من طائرات الفانتوم بغارات في عمق الأراضي السورية، في دمشق وفي حمص انتقاماً لضرب المستوطنات المذكورة.

١٣ – الدروس المستخلصة في مجال الدبابات:

فعالية الدبابات عندما تؤمّن لها الحماية اللازمة:

أثبتت الدبابات المصرية، المدعومة بحماية شبكة الدفاع الجوي القوية، ونيران مدفعية الميدان المساندة لها بصورة مباشرة وفعالة، قدرتها القتالية الكافية، لأول مرّة في تاريخ المواجهات المسلّحة مع الجيش الاسرائيلي منذ عام ١٩٥٦، نظراً لأنها في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧، لم تتح لها الفرصة كي تستخدم استخداماً حقيقياً وفعالاً يبرز حقيقة إمكاناتها وقدراتها.

وقد ثبتت هذه المقدرة القتالية للمدرعات المصرية، من خلال المعارك العنيفة، التي أعقبت عملية عبور القناة، عندما حاولت المدرّعات الاسرائيلية القضاء على رؤوس الجسور، في سلسلة هجماتها المضادة، التي حصلت في الأيام الأولى، والتي أسفرت عن تدمير اللواء ١٩٠ المدرّع، وإلحاق أضرار جسيمة بلوائين مدرّعين آخرين. كما ثبتت هذه المقدرة مرّة أخرى، في بداية الهجوم المصري الثاني، الذي بدأ فجر يوم ١٤ تشرين الأول، حيث أمكن لهذه المدرّعات أن تواصل تقدّمها الحثيث، وتلحق خسائر متزايدة وقوية الأثر، بالمدرعات الاسرائيلية، في ظلّ دعم جوي مباشر محدود نسبياً، بسبب تدخّل الطيران الاسرائيلي.

عدم استعمال الدخان على الجبهة السورية:

لم يستعمل السوريون والاسرائيليون الدخان لحجب دباباتهم، وهذا تقصير جسيم لأن استعمال الدخان وسيلة فعّالة لحصر الرؤيا في ساحة القتال مع التنويه بما لهذا الحصر من أهمية:

تضاؤل دور الدبابات:

فقدت الدبابات فعاليتها الهجومية أمام قوات المشاة المزوّدة بالصواريخ المتقدّمة المضادة للدبابات. وبذلك أصبح السلاح المضاد للدبابات أهم من الدبابات نفسها.

فعالية الصواريخ المضادة للدبابات:

أثبت الصاروخ المضاد للدبابات فاعليته الحاسمة، وأتاح للمشاة سلاحاً فعالاً للمدى الطويل والمدى القصير على وجه الخصوص.

كان للصواريخ الموجّهة سلكياً، والتي حملها المصريون عند عبورهم القناة، دوراً فعالاً هاماً في الحرب البرية. وقد أحدثت تأثيراً مدمّراً. لقد كانت معظم الصواريخ الموجّهة المتحرّكة من نوع سنايبر وسافار هي التي تسبّبت في تدمير معظم الدبابات التي دفعت للمعركة على الجبهتين المصرية والسورية.

واسرائيل التي، كانت تعتقد أن الدبابات نفسها هي أفضل سلاح لمقاومة الدبابات أصبحت تشعر بأن الصواريخ المضادة للدبابات قد تساعد في انقاص التكاليف

والخسائر الباهظة في الرجال والعتاد التي تنتج عن الاصطدامات المدرّعة.

الخسائر الجسيمة:

ان الاحصاءات أظهرت ان ٥٠٪ من خسائر الدبابات ألحقتها بها الأسلحة المضادة للدروع، وأن ٣٠٪ ألحقها بها قتال الدبابات فيما بينها، بينما الـ٢٠٪ الباقية ألحقتها بها الالغام ونيران الطائرات.

وفي أقل من عشرين يوماً من القتال حصل تدمير ٢٥٠٠ دبابة لكلّ الأطراف. وتستطيع أن تعرف خطورة هذا الرقم، إذا تذكّرت ان انتاج فرنسا من الدبابات كلّه لا يزيد عن ٣٠٠ دبابة في السنة.

كانت معارك الدبابات في حرب تشرين أكبر من كلّ ما حصل في الحرب العالمية الثانية، وكانت الخسائر فيها أعلى بسبب الصواريخ.

مستقبل الدبابات:

ذكر «ابان سمارت» مساعد مدير المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن: «ان الصواريخ السوفياتية منحت جندي المشاة ما لم يكن يحلم به أحد من قبل. وهو المقدرة على الفتك بالدبابة المهاجمة بقذيفة واحدة قبل أن تستطيع العمل». حتى أولئك الذين لا يزالون يرفضون حتى الآن، الاعتراف بأن الدبابة أصبحت سلاحاً مقضياً عليه، يقولون ان لا بدّ من تغيير كامل في استراتيجية استخدام الدبابات. والتغيير الأكثر احتمالاً، هو ما يسميه البنتاغون، إنشاء ألوية ذات المقدرة المثلثة. وفي مثل هذه الألوية تتعاون الدبابات، والمشاة الذين يستخدمون مصفحات خفيفة، والدعم الجوي المتحرّك ويعملون معاً، كما لو كانوا لواءً واحداً.

٢ – اتفاقيتا فصل القوات في سيناء والجولان

٢١ – قرار وقف إطلاق النار الرقم ٣٣٨ وتداعياته على الأرض:

بعد مرور أسبوعين على بدء القتال، دعا الاتحاد السوفياتي وزير خارجية الولايات المتحدة، هنري كيسنجر، إلى موسكو وجرى الاتفاق على اقتراح وقف إطلاق النار.

وصـــدر في ٢٢ تشــريــن الأول ١٩٧٣ قــرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ وهذا نصّه:

«ان مجلس الأمن:

١ - يـدعـو جـمـيـع الأطـراف المشتركـة في القتال الدائر حالياً إلى وقف إطلاق النار بصـورة تـامـة، وإنـهـاء جـمـيـع الأعـمـال الـعسـكـريـة فـوراً في مـدّة لا تـتـجـاوز ١٢ سـاعـة مـن لحظـة اتـخـاذ هـذا الـقـرار وفي المواقع التي تحتلّها الآن.

٢ - يدعو جميع الأطراف المعنية إلى البدء فوراً، بعد وقف إطلاق النار، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه.

٣ - يـقـرّر أن تـبـدأ فـور وقـف إطـلاق الـنـار وخلاله، مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الاشراف الملائم بهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط».

بدأ تنفيذ وقف إطلاق النار مساء الاثنين في ٢٢ تشــريــن الأول، وكـانـت الـقـوات الاسرائيلية على بعد حوالى ١٥ كيلومتراً إلى الشـمـال مـن مـديـنـة السـويس. وادعت اسرائيل بأن المصريين خرقوا وقف إطلاق النار يوم الثلاثاء، أي في اليوم التالي لوقف إطلاق النار، وتقدّمت وحدات اسرائيلية إلى ضواحي السويس وإلى جنوبي المدينة على شاطىء البحر الأحمر.[١]

وعلى الجبهة السورية، عاد اليهود يومي ٢٢ و٢٣ تشرين الأول فاحتلّوا جبل الشيخ ودفعوا لذلك ثمناً غالياً من الضحايا.

وكان ذلك على نمط اسرائيلي مألوف. فـبـعـد كـلّ هـدنـة (١٩٤٩، ١٩٥٧، ١٩٦٧) كانت القوات الاسرائيلية تواصل أعمالها الـعـدوانـيـة. وهـكـذا فـعـلـت هـذه المرة على الجبهة السورية.

أما في خصوص ما كان يجري في جوار مدينة السويس، فان الرئيس المصري أنور الســادات طـلـب قــوّة أميركـيــة - روســيــة مشتركـة لمراقبـة وقـف إطـلاق الـنـار. وكـان ذلك في ٢٤ تشرين الأول.

وبلغ الولايات المتحدة ان فرقاً سوفياتية حشدت في قواعد جوية في المانيا الشرقية وبولندا. وكان الاتحاد السوفياتي قد اقترح

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

إرسال قوات أميركية - روسية إلى الشرق الأوسط للاشراف عل مراقبة وقف إطلاق النار. وخشي الأميركيون ان يقدم الاتحاد السوفياتي، منفرداً، على إرسال قوّة تتدخّل في القتال، وحذّر الروس من الاقدام على ذلك. وفي صباح ٢ تشرين الأول، وضعت القوات الأميركية في العالم في حالة الانذار والتأهّب. وبدا العالم كأنه على شفير الهاوية أمام احتمال المواجهة النووية بين الجبارين في الأرض.(١)

بعد ذلك التأزّم القصير بين الدولتين العظميين عادت سياسة الانفراج أو الوفاق بينهما لتقرّر وقف القتال بين العرب واسرائيل وتعد بإيجاد تسوية للنزاع.

وشهدت حرب رمضان استخدام سلاح عربي مؤثّر. فقد عمدت الدول العربية المنتجة للبترول إلى رفع أسعار النفط. وقرّرت تلك الدول، في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) في اجتماعها بالكويت. أن تخفض إنتاجها من البترول ٥٪ كلّ شهر حتى انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلّة. وبعض تلك الدول (وبينها المملكة العربية السعودية) قرّر تخفيض إنتاجه فوراً ١٠٪ وإيقاف تصدير البترول كلياً إلى الولايات المتحدة الأميركية وهولندا.(١)

وسبّب ذلك قلقاً عالمياً بالغاً، وهدّد اقتصاد الدول الصناعية في أوروبا الغربية واليابان، وكان في طليعة الأسباب التي جعلت الدول الغربية تضغط على أميركا من أجل تسوية منصفة للعرب. وأخذت أميركا تدخل في حسابها حاجتها إلى البترول العربي وما قد يسبّب لها انقطاعه وارتفاع أسعاره من أزمة اقتصادية بعيدة المدى.

ولعلّ استعمال سلاح البترول في الوقت الملائم قد غيّر موازين القوى. فعلى الصعيد العسكري، لم يكن هناك انتصار حاسم، ولكن بفضل سلاح البترول تحوّلت الحرب إلى انتصار عربي سياسي واستراتيجي.(١)

وأدّت المساعي الدولية إلى اتفاقية فك الارتباط بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤.

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

وانسحبت القوات الاسرائيلية من الجيب الذي احتلّته في الضفة الغربية من قناة السويس. وبقيت القوات المصرية في الضفة الشرقية. وأصبح بعد ذلك تنظيف القناة ممكناً. وقد تمّ تنظيفها فعلاً وأعيد فتحها للملاحة الدولية في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٥. وذلك بعد مضي ثمانية أعوام على إغلاقها منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

ووضعت اتفاقية فك ارتباط بين القوات السورية والقوات الاسرائيلية في أيار ١٩٧٤. وانسحبت القوات الاسرائيلية من النتؤ الذي احتلّته في الطور الثاني من القتال. وكذلك انسحبت من مدينة القنيطرة التي احتلّتها في حرب ١٩٦٧، بعد ان دمّرتها تدميراً شاملاً. وبقيت على التلال المحيطة بالقنيطرة وعلى سفح جبل الشيخ وفي أراضي الجولان المحتلّة منذ سنة ١٩٦٧. أما قمّة جبل الشيخ، فقد رابطت فيها قوات الطوارىء الدولية.

٢٢ - اتفاقيتا فصل القوات في سيناء والجولان: (١)

أ - في سيناء: (٢)

بدأت خطوط هذه السياسة تتضح في نشاطات الدكتور هنري كيسنجر ورحلاته المكوكية في عواصم المنطقة. وكانت أولى ثمارها اتفاقية فصل القوات في سيناء.

فبعد وقف إطلاق النار على جبهات القتال، ركّز كيسنجر معظم جهده ووقته لإنجاز تسوية سياسية في المنطقة، على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢. وأمضى أسابيع عدّة متنقّلاً بين مصر وإسرائيل، للبحث في بنود اتفاقية تقضي بفصل القوات في سيناء، كخطوة أولى تتلوها خطوات.

وقد نجحت مهمّة كيسنجر في التمهيد لمؤتمر السلام في جنيف الذي عقد في ٢١ كانون الأول ١٩٧٣، برعاية الأمين العام للأمم المتحدة، الدكتور كورت فالدهايم،

---

(١) فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

- الجامعة اللبنانية، أوراق خاصة، ١٩٧٥.

(٢) الخارطة رقم ٤٤.

وبرئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، وبحضور وفود تمثّل مصر والأردن وإسرائيل. وقد قرّرت سورية عدم الاشتراك في المؤتمر لاقتناعها بأن المناورات الأميركية ستحوّله عن الاهتمام بالقضية الرئيسية إلى أمور جزئية هامشية.

لم يتمكّن مؤتمر جنيف من إنجاز اتفاقية لفصل القوات على الجبهة المصرية، فقرّر تشكيل فريق عمل عسكري مصري - إسرائيلي لمتابعة البحث في هذا الموضوع،وإنجاز الاتفاقية. وقد استدعى ذلك جولات عديدة قام بها كيسنجر في عواصم المنطقة، إلى أن تمّ توقيع الاتفاقية في ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ عند الكيلومتر ١٠١ في سيناء، بحضور قائد قوات الطوارىء الدولية، الجنرال انسيو سيلاسفيو. ونصّت الاتفاقية على توقّف العمليات العسكرية، وانسحاب القوات الاسرائيلية إلى خط غربي خط الممرات، ووضع قوات دولية بين الفريقين. كما نصّت على أن «مصر واسرائيل لا تعتبران هذه الاتفاقية اتفاقية سلام نهائية، انها تشكّل الخطوة الأولى نحو سلام عادل ودائم طبقاً لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨، وضمن إطار عمل مؤتمر السلام الشرقي أوسطي في جنيف».(١)

وتميّزت الفترة اللاحقة بتدهور علني ومتسارع في العلاقات المصرية - السوفياتية، وشهدت في المقابل تحسّناً مطرداً في العلاقات الأميركية - المصرية. وأعلن السادات في ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٧٤ إعادة العلاقات بالولايات المتحدة والتي كانت قد قطعت في حرب ١٩٦٧. وفي ١٨ آذار ١٩٧٤، أعلن وزراء النفط العرب، في اثر اجتماعهم في فيينا، رفع الحظر الذي فرض على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة.

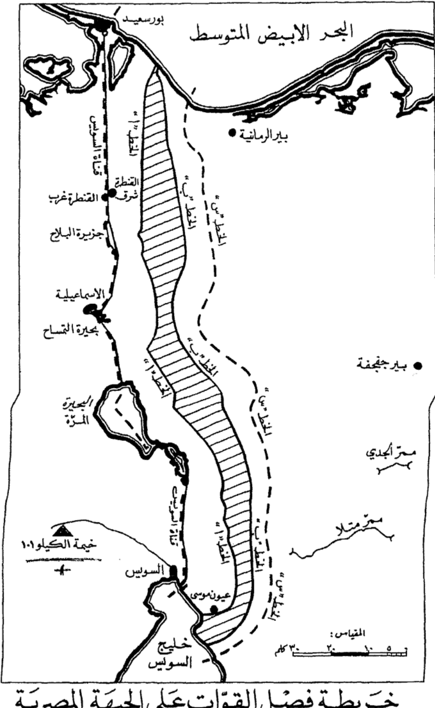
ب - في الجولان:

في هذا الوقت كانت سوريا تخوض حرب استنزاف في الجولان وعلى قمم جبل الشيخ. وصبّ كيسنجر جهده على تذليل المصاعب التي تحول دون التوصّل إلى اتفاقية لفصل القوات على جبهة الجولان.

(١) الخارطة رقم ٤٥.

الخارطة رقم ٤٥

خارطة فصل القوّات على الجبهة المصرية



خريطة فصل القوّات على الجبهة المصرية

منطقة قوة الطوارئ التابعة للامم المتحدة . ـــ ـــ حدود مناطق القوات المحدودة

وأمضى في سبيل ذلك أكثر من ثلاثة أسابيع متنقّلاً بين اسرائيل وسورية وبعض الدول العربية. وفي ٣١ أيار ١٩٧٤ وقّعت الاتفاقية في جنيف بحضور قائد قوات الطوارىء الدولية في الشرق الأوسط، ورئيس الوفد الأميركي، ورئيس الوفد السوفياتي. وتضمّنت الاتفاقية وقف إطلاق النار، وانسحاب القوات الاسرائيلية من جزء من الجولان المحتل منذ سنة ١٩٦٧، وخصوصاً من مدينة القنيطرة، ومن المواقع التي احتلّت في جبل الشيخ في حرب ١٩٧٣، وإقامة منطقة عازلة مجرّدة من السلاح، ترابط فيها قوّة مراقبي فصل القوات التابعة للأمم المتحدة وتتولّى الاشراف على تنفيذ الاتفاقية.(١)

وفي ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٤، عقد مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط، وكان بين أبرز القرارات التي صدرت عنه: «حق الشعب الفلسطيني في إقامة السلطة الوطنية المستقلّة بقيادة منظّمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، على أية أرض فلسطينية يتمّ تحريرها». لكن المساعي التي بذلت، بعد ذلك، لاستئناف مؤتمر جنيف، بمشاركة منظّمة التحرير، اصطدمت بمعارضة الولايات المتحدة واسرائيل، فسارت الاتصالات في اتجاه عقد اتفاق مرحلي ثان في سيناء. وكان فصل مصر وابعادها عن ساحة الصراع العربي - الاسرائيلي هدفاً رئيسياً للسياسة الاسرائيلية نظراً إلى إمكانات مصر ووزنها في المنطقة. وفي الوقت نفسه، تابعت اسرائيل سياستها العنصرية ضد الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلّة، وخصوصاً لجهة الاستيلاء على أراضيه الزراعية وتوزيعها على المستعمرات اليهودية، تنفيذاً للمخطط الصهيوني. وتكثّفت هذه المحاولات، بصورة خاصة، في منطقة الجليل خلال ١٩٧٤ - ١٩٧٥، بهدف واضح هو تهويده وإلغاء الطابع العربي الغالب عليه. ومع شراسة الاجراءات الاسرائيلية لطرد الأهالي والاستيلاء على أراضيهم، بإشراف

---

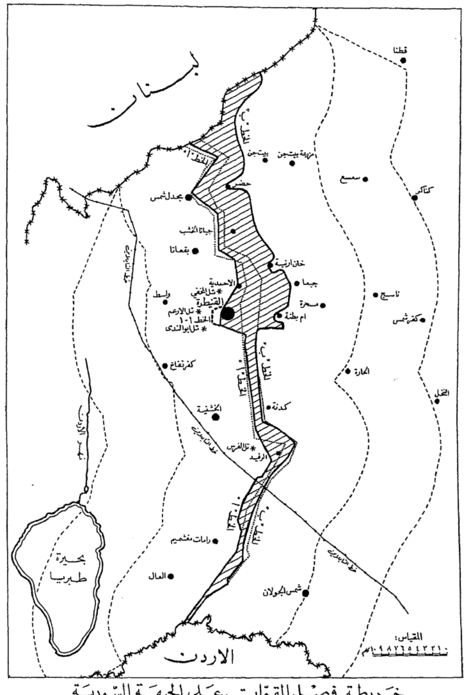
(١) الخارطة رقم ٤٦.

يسرائيل كينيغ حاكم اللواء الشمالي، ارتفعت الدعوات إلى مواجهة هذه الاجراءات بالقوة ان احتاج الأمر. وعقد في مدينة الناصرة «المؤتمر العام للدفاع عن الأراضي العربية» في ١٨ تشرين الأول ١٩٧٥، وانبثقت منه لجنة متابعة تولّت مهمة التصدّي للسياسة الاسرائيلية بمختلف الوسائل الاعلامية والسياسية والجماهيرية. وازاء إصرار السلطات الاسرائيلية على مخططاتها، انفجرت الصدامات الواسعة في مختلف المدن والقرى العربية في الأرض المحتلّة، يوم ٣٠ آذار ١٩٧٦ - يوم الأرض - دليلاً على حالة النهوض الوطني الفلسطيني والتنسيق الدقيق بين القيادات الوطنية في جميع المناطق، انطلاقاً من الجليل والمثلث والنقب إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، وحتى الجماهير الفلسطينية في الخارج. وسقط عدد كبير من الشهداء والجرحى، واعتقل الشبان بالعشرات، وانكشف قناع الديمقراطية المزيّفة الذي اختفت وراءه العنصرية الاستيطانية الصهيونية. ومن جهة أخرى، برهنت جماهير الأرض المحتلّة تصميمها على مواجهة الاحتلال، عندما اختارت في الانتخابات البلدية التي شملت جميع المناطق خلال ١٩٧٥ - ١٩٧٦، قياداتها الوطنية التقدّمية لرئاسة مجالس البلديات العربية.(١)

وبينما كان نظام السادات في مصر يقدّم الدليل تلو الدليل على الخط العام لتوجّهاته المقبلة، مثل: تصعيد الخلاف مع الاتحاد السوفياتي، وإخضاع الاقتصاد المصري للاحتكارات الأجنبية تحت شعار الانفتاح الاقتصادي، واتخاذ قرار بفتح قناة السويس للملاحة الدولية في ٥ حزيران ١٩٧٥، ومعارضة اقتراح بطرد اسرائيل من الأمم المتحدة كان مقدماً إلى مؤتمر القمّة الافريقية في كمبالا - تموز ١٩٧٥ - والاعراب عن رغبته في ان تتولّى الولايات المتحدة وحدها رعاية مساعي التسوية؛ في هذا الوقت، كانت الحكومة السورية تشترط لاستئناف مؤتمر جنيف حضور منظّمة التحرير، مشاركة السوفيات في جميع مراحل التسوية،

(١) الجامعة اللبنانية، مرجع سابق.

الخارطة رقم ٤٦
خارطة فصل القوّات على الجبهة السّورية



خريطة فصل القوّات على الجبهة السّورية

حدود دولية. .... خطوط وقف اطلاق النار لحرب ١٩٦٧

منطقة قوة مراقبي فصل القوّات التابعة للامم المتحدة – – – – حدود مناطق القوات المحدودة

وضرورة مراعاة وحدة التحرّك على جميع الجبهات من أجل السلام، وتؤكّد ان جوهر التسوية يجب ان يضمن الانسحاب من جميع المناطق المحتلّة منذ سنة ١٩٦٧، والحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

وفي ١ و٢ حزيران ١٩٧٥، عقد في سالزبورغ بالنمسا اجتماع بين الرئيس الأميركي جيرالد فورد، والرئيس المصري أنور السادات، تمكّنا خلاله - كما اتضح لاحقاً - من الاتفاق على الخطوات المقبلة في مجالي التسوية والعلاقات المصرية - الأميركية. وهكذا تكلّلت مساعي كيسنجر بالنجاح، ووقّعت اتفاقية سيناء الثانية بالاحرف الأولى، في كلّ من الاسكندرية وتل أبيب، في ١ أيلول ١٩٧٥. وتتألّف الاتفاقية من ثلاثة أجزاء هي: أولاً، وثيقة سياسية تحدّد المبادىء العامة العسكرية والسياسية للاتفاقية، ومدى الانسحاب الاسرائيلي؛ ثانياً، ملحق يحدّد المبادىء التي ستسترشد بها مجموعة العمل العسكري المصرية - الاسرائيلية في اجتماعاتها المقرّر عقدها في جنيف لتنفيذ الاتفاقية؛ ثالثاً، وثيقة تحدّد طبيعة الوجود الأميركي في سيناء المتعلّق بنظام الانذار المبكر. وإلى جانب هذه الوثائق الثلاث، كانت هناك أيضاً مذكّرة أميركية - اسرائيلية سرية تتعلّق بضمان تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية إلى اسرائيل وتزويدها بالنفط الخام في حال تعذّر حصولها عليه من الأسواق العالمية، والتزام الولايات المتحدة بعدم الاعتراف أو التفاوض مع منظّمة التحرير الفلسطينية ما دامت المنظّمة ترفض الاعتراف باسرائيل وبالقرارين رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨. ومن أهم البنود التي تضمّنتها اتفاقية سيناء الثانية:

- التعهّد بأن النزاع في الشرق الأوسط لا يتم حلّه بالقوّة المسلّحة وإنما بالوسائل السلمية.
- تعهّد الطرفين بعدم استخدام القوة، أو التهديد بها، أو الحصار العسكري في مواجهة الطرف الآخر.
- مرور الشحنات غير العسكرية إلى اسرائيل ومنها في قناة السويس.
- إنشاء نظم للانذار المبكر في سيناء بإشراف الولايات المتحدة.

- انسحاب اسرائيل من مناطق في سيناء، تشمل ممرّي متلا والجدي الاستراتيجيين وحقول النفط في أبو رديس.

أدّت الاتفاقية إلى انهيار التضامن العربي، وأحدثت انقساماً حاداً في المواقف العربية. فقد أيّدتها المملكة العربية السعودية والسودان، وأدانتها منظّمة التحرير وسورية وليبيا والعراق. أما الاتحاد السوفياتي فقد انتقد الاتفاقية وامتنع عن حضور جلسة توقيع وثائقها في جنيف، مما دفع الجانب الأميركي إلى عدم المشاركة أيضاً. ويلاحظ ان هذه الاتفاقية تعني ما يلي:

١ - إلغاء الخيار العسكري على الجبهة المصرية بسبب الالتزام بمبدأ عدم استخدام القوة، والاكتفاء بالمفاوضات وسيلة وحيدة لمعالجة الصراع مع العدو.

٢ - إنهاء واقعي وتعاقدي لحالة الحرب من خلال الالتزام بحلّ النزاع بالوسائل السلمية، ورفع الحصار العسكري، والسماح بمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس.

٣ - إغفال الإشارة إلى الأراضي العربية المحتلّة الأخرى وقضية الشعب الفلسطيني.

٤ - تكريس السياسة الاسرائيلية الساعية لحلّ الصراع بالمفاوضات الثنائية مع كلّ من الدول العربية المعنية على حدة.

٥ - إتاحة الفرصة لاسرائيل لتركيز قواها العسكرية والاقتصادية والسياسية ضدّ جبهات المواجهة الأخرى.

٦ - إدخال الولايات المتحدة طرفاً مباشراً في الصراع، وإبعاد الاتحاد السوفياتي عن مساعي التسوية.

٧ - تعارض الاتفاقية مع مضمون قرارات القمة العربية التي تؤكّد «رفض التفاوض والصلح والاعتراف بالعدو»، وتدعو إلى الحفاظ على وحدة القضية والتضامن العربي.

ان المعركة لا تزال قائمة، وهي طويلة وقاسية. وان أمام العرب مهام تتطلّب مزيداً من التضامن والتعاون في جميع المجالات. وإذا كان لا بدّ من اصطدام آخر بين العرب واسرائيل، فعلى الدول العربية ان تستعد له من جديد.

القسم الرابع

الحرب العربية الإسرائيلية الخامسة

لبنان (١٩٨٢)

الفصل الأول
الإطار العام للاجتياح الاسرائيلي

١ – توطئة

لا شك في ان غزو اسرائيل للبنان في صيف العام ١٩٨٢، وما انتهى إليه من نتائج، يعتبر حدثاً هاماً في تاريخ الدول العربية وفي مسيرة الصراع العربي – الاسرائيلي. لقد عالج الكثير من الكتب والمقالات والدراسات هذه الحرب من مختلف وجوهها حتى قبل ان تبدأ، ولكنها لا تزال لغاية تاريخه، حقلاً خصباً للدروس والمناقشات واستخلاص العبر. فبالرغم من وفرة المعلومات التي عرفت عن هذه الحرب لا يزال الكثير من أسبابها وحقائقها ونتائجها مجهولاً، لأن الكشف عن الحقائق في هذه المرحلة بالذات قد يكون مضراً بالمصلحة القومية أو بالأمن الوطني ليس للدول المعنية بهذه الحرب مباشرة فحسب بل بالدول الكبرى كذلك، ذاك ان الحرب لا تزال قائمة لغاية اليوم بين الدول التي اشتركت العام ١٩٨٢ بهذه الحرب (لبنان، سوريا وفلسطينيو الشتات) وبين اسرائيل.

وتكمن أهمية هذه الحرب في ماهيتها الاستراتيجية والسياسية والعسكرية، كما تكمن في أهمية التجارب الميدانية للأسلحة المتطوّرة والتكتيات المطبّقة. ولذلك لقد استهدفت هذه الحرب، لأول مرة منذ إنشاء اسرائيل، الفلسطينيين وقيادتهم، أي العدو الاساسي لفرض الحل عليه، بينما كانت الحروب السابقة تستهدف الدول العربية. وفي المجال الثاني نرى ان هذه الحرب كانت مختبراً «شاملاً»

للاسلحة الأميركية الاسرائيلية والسوفياتية المعقّدة جواً وبراً وبحراً. وقد تحدّدت نتائج الاختبارات التي حصلت، السمات المقبلة للتسلّح والحروب خلال العقود المقبلة في العالم.

لقد أثبتت حرب ١٩٨٢، مرة أخرى، ان اسرائيل حافظت على مبادىء مذهبها العسكري وعناصره ومفاهيمه ومقدّماته، واستثنت من ذلك مبدأ المفاجأة فقط، مستندة في ذلك إلى الوضعين العربي والدولي. وفي الوقت نفسه، لم تستطع اسرائيل ان تجعل كافة معارك الحرب خاطفة وصاعقة، بالرغم من ان أسلوب هذه الحرب ذو مقام هام وكبير في المذهب العسكري، الأمر الذي وفّر للدول العربية الوقت الكافي لوضع استراتيجية عربية شاملة تتضمّن جميع التدابير والاجراءات العسكرية اللازمة لمواجهة الغزو، سواء قبل انطلاق اسرائيل في الغزو يوم ٦ حزيران، أو بعد بدئه، وبخاصة ان مدّة الحرب، وقد طالت، كانت كافية للاعداد والحشد والتدخّل العربي.

٢ – الأطماع والواقع

لقد كتب الكثير عن الأطماع الاسرائيلية في جنوب لبنان وفي مياهه. فقد تضمّنت الوثيقة المقدّمة من المنظّمة العالمية الصهيونية إلى مؤتمر فرساي عام ١٩١٩ حدوداً مقترحة للدول اليهودية جاء فيها: «في الشمال الخط الممتد من جنوبي صيدا على شاطىء البحر المتوسّط والمار عبر سلسلة جبال لبنان ووادي البقاع حتى المنحدر الجنوبي الغربي لجبل حرمون امتداداً حتى بلدة القنيطرة جنوبي دمشق بعشرين كيلومتر».(١) لقد بقيت هذه الحدود حدوداً في خيال راسميها لأنه من الناحية القانونية والدستورية، فقد نصّ الدستور اللبناني الصادر عام ١٩٢٦ بإشراف فرنسا، الدولة المنتدبة آنذاك، على الحدود التفصيلية لدولة لبنان الكبير في الجنوب، وهي الحدود الدولية المعروفة الآن. وهذا النص يقرّ ضمنياً بموافقة كلّ من فرنسا وبريطانيا (الدولة المنتدبة على فلسطين) على هذه الحدود وعدم الأخذ بمطالب المنظّمات

(١) Jansen Michael, Battle of Beirut, South And Press, Boston. MA 1983, p 119.

اليهودية العالمية آنذاك والتي اقترحت حدوداً «أبعد إلى الشمال وحتى صيدا».

إذاً بالرغم من ان اسرائيل لم تحدّد حتى الآن حدودها الدولية، نرى بالمقابل ان الحدود الجنوبية للبنان قد نصّ عليها الدستور الذي صدر بموافقة الدول المنتدبة آنذاك، أي فرنسا وبريطانيا وما زال ساري المفعول حتى الآن. فلذلك لم تستطع الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة من نقض هذا الواقع حتى العام ١٩٦٧، وان كانت ترغب بذلك وتتمنّى نتيجة لأطماعها التوسّعية.

وبعد العام ١٩٦٧، قامت اسرائيل بعدّة اعتداءات عسكرية ضد لبنان، قصفاً وغزواً وعمليات كوماندوس، نذكر أهمها: غزو العرقوب في ١٢ أيار ١٩٧٠ - غزو القطاع الشرقي والأوسط من الجنوب اللبناني في ١٦ أيلول ١٩٧٢ - عملية الليطاني في ١٥ آذار ١٩٧٨ - وعملية نسف وتدمير طائرات شركة طيران الشرق الأوسط اللبنانية في مطار بيروت الدولي - واغتيال عدد من قادة المقاومة في العاصمة اللبنانية، شارع فردان في العام ١٩٧٣.

وإن كانت جميع هذه الاعتداءات قد انتهت بانسحاب اسرائيل من جانب واحد دون آثار احتلالية للبنان، فان عملية الليطاني العام ١٩٧٨، انتهت بانتشار القوات الدولية في الجنوب اللبناني وتمركز ميليشيات محلية مؤيّدة لاسرائيل ومدعومة منها في شريط حدودي عرضه حوالى عشرة إلى خمسة عشر كيلومتراً بقيادة الرائد سعد الحداد. وتجدر الإشارة ان عمليات الغزو هذه قد تصدّى لها الجيش اللبناني، حسب إمكاناته، باستثناء عملية الليطاني لأن قواته لم تكن موجودة آنذاك في الجنوب الذي كان فعلياً خاضعاً للقوات الفلسطينية وحلفائها اللبنانيين. كما ان لبنان استطاع بفضل دبلوماسيته الناشطة ومقاومته الباسلة من إخراج الاسرائيليين من أراضيه في أعقاب كلّ غزو معادٍ يهودي.

٣ - تجربة حرب ١٩٧٨

وقعت حرب ١٩٨٢ ضمن إطار له معالمه وعناصره وعوامله الخاصة به. منها ما يتعلّق بالوضعين العربي والدولي وبالغرض الطمعي الصهيوني، وبالمذهب العسكري

الاسرائيلي وبالاستراتيجية الاسرائيلية ومنها ما يتعلّق أيضاً بقطاع العمليات من الناحية الجغرافية العسكرية. وقد سبقت حرب ١٩٨٢، تجربة الاعتداء على جنوب لبنان قامت بها اسرائيل في العام ١٩٧٨.

يمكننا أن نعتبر، مع بعض التجاوز، ان العملية الهجومية التي قامت بها اسرائيل في منتصف آذار ١٩٧٨، حين غزا جنوبي لبنان واحتلّه، من الناحية العملانية، مقدّمة وتجربة مصغّرة لغزو ١٩٨٢. فقد بدأت هذه العملية بقصف مدفعي شديد، تلاه هجوم شنّته قوة مؤلّفة من ٢٥ - ٢٨ ألف جندي، أي ما يعادل تقريباً فرقتين. وقوام هذه القوة وحدات مدرّعة، ووحدات مشاة مؤلّلة. ووحدات مظليين، تساندها قوة جوية مؤلّفة من نحو ٦٠ طائرة مقاتلة انقضاضية وغيرها، وقوّة بحرية لا يستهان بها.

استمرّت العملية ستة أيام، من ١٥ حتى ٢١ آذار ١٩٦٨ وكان مقرّراً ان تنجز في يومين. غير ان المقاومة الضارية التي واجهت اليهود، أدت إلى إطالة أمد القتال. وقد توغّلت القوات الاسرائيلية إلى حوالي ١٨ كيلومتراً في بعض المناطق، حيث امتدّ الاحتلال إلى مشارف مدينة صور.(١)

خططت اسرائيل العملية ضمن مبدأ الذراع الطويلة. وكان هذا المبدأ هو الذريعة التي ادعتها اسرائيل يومذاك للتخطيط لاحتلال جنوبي لبنان، وقد نفّذتها.

قصدت اسرائيل في عدوانها العام ١٩٧٨ إلى ما قصدت إليه في غزوها لبنان العام ١٩٨٢، مع اختلاف في حجم الأهداف ومساحة الاحتلال. فعملية ١٩٧٨ قصدت إلى:

أ - ضرب المقاومة الفلسطينية ومحاولة إخراجها نهائياً من جنوبي لبنان وإنهاء وجودها العسكري في الجنوب تمهيداً لإسقاط وجودها في لبنان كلّه.

ب - إعادة تفجير الوضع الداخلي في لبنان.

ج - تعميق الخلاف والتناقضات بين المقاومة الفلسطينية والشعب اللبناني.

---

(١) كيلاني هيثم، الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة، لبنان ١٩٨٢، الإدارة العامة للشؤون العسكرية - إدارة الدراسات والبحوث، تونس ١٩٨٣، ص ٨ - ٩.

وقد صرّح كاتب صهيوني يدعى «اريبيه آراء»: ان المأخذ على حكومته انها لم تحقق الهدف السياسي والاستراتيجي من العملية، وهو تقسيم لبنان إلى قسمين، شمالي الليطاني وجنوبيه، على ان يلحق القسم الجنوبي باسرائيل.(١)

وإذا كان الجيش الاسرائيلي قد استطاع خلال ستة أيام احتلال جنوبي لبنان، بحكم الفارق الكبير في ميزان القوى بين العدو وقوات المقاومة الفلسطينية، فان ما سعت إليه اسرائيل من عملية ١٩٧٨ لم تبلغه، وبلوغ الهدف في هذه العملية بالذات هو مقياس النصر أو الاخفاق.(٢) فقد اعتمدت اسرائيل في خطتها لاحتلال الجنوب اللبناني على مبدأ «الاقتصاد في القوى» مقابل التعويض عن ذلك بالتفوّق النوعي التقني والتكتي، وبالمهارة الفردية والقدرة الجماعية وبكثافة نيران الأسلحة واشتراك القوات الثلاث: البرية والجوية والبحرية، في توجيه نيران غزيرة مركّزة.

٤ - أسباب الاجتياح(٣)

لكلّ حرب أسبابها الظاهرة والخفية غير ان اجتياح لبنان عام ١٩٨٢ له من الأسباب ما لا يحصى ولا يعد. كما ان هذا الغزو لم يكن مفاجئاً لأحد لأنه حسب رأي المحلّلين والمفكّرين وحتى الرجال العاديين كان نتيجة حتمية لما كان يتفاعل في المنطقة منذ سنوات وسنوات. وهذا ما حدا بالكثير من الكتّاب والصحفيين للكتابة عن هذا الغزو وتفاصيله ونتائجه حتى قبل أن يبدأ.

---

(١) جريدة دافار الاسرائيلية، تاريخ ١٩٧٨/٣/٢١.
- جريدة دافار الاسرائيلية، تاريخ ١٩٧٨/٣/١٧.
(١) كيلاني، مرجع سابق، ص ١٠.
(٢) كيلاني، مرجع سابق، ص ١١ - ٣٢.
- يوميّات الحرب الاسرائيلية، مرجع سابق، ص ٣ - ٩.
- فلسطين، مرجع سابق، ص ٢١٤ - ٢٢٠.
- شارون، مرجع سابق، ص ٥٥٥ - ٦٠١.

أما من الناحية العملية فان الأسباب العديدة التي أدت إلى هذه الحرب يمكن تصنيفها ضمن العوامل أو المجموعات التالية:

أولاً: العامل الفلسطيني.

ثانياً: العامل السوري.

ثالثاً: العامل اللبناني.

رابعاً: العامل الاقليمي.

خامساً: العامل الاسرائيلي.

سادساً: العامل الدولي.

سابعاً وأخيراً السبب الآني والمباشر الذي فجّر هذه الحرب.

البند الأول: العامل الفلسطيني:

منذ انطلاقة منظّمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٥ قام الفلسطينيون بإنشاء خلايا ثورية وفدائية داخل المخيّمات الفلسطينية في لبنان للتدرّب على عمليات حرب الغريّة ضد اسرائيل. وبعد حرب ١٩٦٧ وهزيمة الجيوش العربيّة على كافة الجبهات، أصبح هنالك ميل لدى العرب لدعم المقاومة الفلسطينية اعتقاداً «منهم ان الحرب الثورية هي الوسيلة الوحيدة للنصر على اسرائيل أو على الأقل لإجبارها على الاعتراف بحقوق الفلسطينيين المشروعة والمحقّة».

لذلك فقد تحوّل قسم كبير من المساعدات المالية والتسلّحية إلى منظّمة التحرير الفلسطينية عوضاً «عن جيوش الدول العربية».

هذا الدعم أدّى إلى تنامي قدرة قوات منظمة التحرير وخاصة في مخيّمات اللاجئين في لبنان. ومع تواجد القوات المسلّحة داخل لبنان أصبح هناك ازدواجية بالسلطة والسيادة مما أدى إلى اشتباكات مع الجيش اللبناني.

وهذه الاشتباكات والانقسام السياسي بشأنها - دون الدخول بتفاصيلها في معرض بحثنا هذا - أدّت إلى توقيع اتفاقية القاهرة بين لبنان ومنظّمة التحرير العام ١٩٦٩. هذه الاتفاقية شرّعت فعلياً «الوجود الفلسطيني المسلّح في لبنان» كما شرّعت الأبواب على العواصف والكوارث اللاحقة. هذا الوجود الذي أصبح شرعياً في لبنان، في المخيّمات وفي منطقة العرقوب (فتح لاند) قويَ وتجذّر وامتدّ إلى مناطق لبنانية أخرى وخاصة بعد طرد الفلسطينيين من الأردن في أعقاب

مجازر أيلول ١٩٧٠ أذ أصبح لبنان القاعدة الرئيسية لقوات منظّمة التحرير الفلسطينية، والمنطلق الرئيسي للعمليات الفلسطينية عبر الحدود الجنوبية إلى داخل اسرائيل ومن لبنان إلى مختلف دول العالم.

المحطّة الثانية الهامة في تنامي قدرة الفلسطينيين في لبنان والعالم(١) كانت أحداث لبنان التي بدأت في ١٣ نيسان ١٩٧٥ والتي كان الفلسطينيون أحد أسبابها ومسبّبيها والتي أدّت كما هو معروف إلى انقسام الجيش اللبناني في بداية عام ١٩٧٦ وبالتالي تلاشي السلطة اللبنانية في مناطق كثيرة من لبنان مما أتاح للفلسطينيين التوسّع والتمركز في مناطق جديدة وخاصة على الحدود الجنوبية مع اسرائيل. هذا التوسّع والسيطرة المباشرة وغير المباشرة على حدود لبنان الجنوبية ونصف الشاطىء اللبناني (على الأقل) وبعض المرافق الهامة كمطار بيروت الدولي، أتاح للفلسطينيين تركيز شبه دولة في لبنان وتأسيس قواعد وتحالفات عسكرية وسياسية هامة في أوروبا وافريقيا واسيا وأميركا اللاتينية مما ضاعف قدرتها في الداخل والخارج وضاعف من العمليات العسكرية داخل اسرائيل وفي مختلف دول العالم، وخاصة ضد المؤسّسات والدول المؤيّدة لاسرائيل أو المتعاطفة معها.

لقد أصبحت منظّمة التحرير خلال فترة قصيرة حديث العالم بأسره والرقم الصعب الذي لا يمكن تجاهله في القضايا والمواقف والقرارات العالمية المتعلّقة من قريب أو من بعيد بقضايا الشرق الأوسط أو بقضايا الصراع العالمي.

وخير مثال على هذا التحالف العالمي الذي نجحت في إقامته هو قيام مجموعة من الجيش الأحمر الياباني بمهاجمة مطار اللد لصالح منظمة التحرير.

وأخيراً إذا اعتبرنا بأن العدو رقم واحد لاسرائيل هو «الفلسطينيون وقيادتهم» - أي منظّمة التحرير - وإذا أخذنا بعين الاعتبار تنامي قوّتهم في لبنان والخارج وداخل اسرائيل وازدياد عملياتهم العسكرية عبر

(١) شارون، مرجع سابق، ص ٥٩١.

الحدود اللبنانية الاسرائيلية وفي مختلف العالم. فهل سيكون هذا سبباً كافياً لمهاجمتهم وتدميرهم؟

البند الثاني: العامل السوري:

بسبب حرب السنتين بين الفلسطينيين وحلفائهم من جهة والجيش اللبناني والميليشيات المسيحية من جهة أخرى، دخلت القوات المسلّحة السورية بطلب لبناني إلى لبنان كما اكتسب هذا الدخول غطاءً عربياً شرعياً بعد انعقاد القمّة العربية المصغّرة في الرياض العام ٧٦ بحيث تمّ تطعيم القوات السورية بقوات من دول عربية أخرى ودعيت فيما بعد قوات الردع العربية.

وقد كانت مهمة هذه القوات تطبيق الاتفاقات المعقودة بين لبنان والفلسطينيين ومساعدة السلطة اللبنانية على إعادة بسط سلطتها ريثما تتمّ إعادة بناء القوات المسلّحة اللبنانية.(الجيش اللبناني).

البند الثالث: العامل اللبناني:

ان العامل اللبناني ينبع من ديمغرافية لبنان وعلاقات الاسرائيليين مع الأقليات في المنطقة. وفي هذا المجال يقول شيمون شيفر[1] «كانت هذه السياسة تكمن في إقامة اتصالات مع مختلف الأقليات في العالم العربي وكذلك مع الدول الغير عربية في المناطق المجاورة».

فخلال الخمسينات والستينات أدّت هذه التوجهات إلى توثيق العلاقات مع ايران ومع الأكراد في العراق، على سبيل المثال، وقيل آنذاك «إذ كنا نريد الاندماج في المنطقة فان حظنا الوحيد لتحقيق ذلك هو في أقامة علاقات مع أقليات تتعرّض للاضطهاد من قبل جيرانها العرب؟» إذاً انطلاقاً من هذا المفهوم الاسرائيلي ومن الرغبة عند مسيحيي لبنان بالاستعانة بدولة قوية تساندهم في حربهم ضد الفلسطينيين وحلفائهم، تمّ توثيق العلاقات بين الجانبين منذ العام ١٩٧٥ تاريخ بدء الأحداث اللبنانية. أما الاتفاق بين الجانبين فقد

(١) شيمون شيفر المصدر السابق صفحة ٢٤.

تمحور في البدء على قاعدة سهلة وواضحة «الفلسطينيون هم العدو المشترك» ثمّ تطوّر هذا الاتفاق إلى المجالات السياسية والأمنية المتعلّقة بالمنطقة بأسرها، حتى أصبح الدخول الاسرائيلي العام ١٩٨٢ ضرورة ملحّة لتحقيق تلك الطموحات التي سعى إليها الجانبان والتي خطّطا لتحقيقها.

البند الرابع: العامل الاقليمي:

ان عملية السلام في الشرق الأوسط والتي بدأت بزيارة الرئيس المصري أنور السادات إلى القدس العام ١٩٧٧ انتهت كما هو معروف باتفاقية كامب دايفيد. ان اتفاقية كامب دايفيد، وإن نجحت مع مصر وأعيدت سيناء نهائياً إليها في ٢٦ نيسان ١٩٨٢، فانها بالمقابل اصطدمت بمعارضة شديدة من الدول العربية وخاصة من سوريا والفلسطينيين. لذلك كان من المستحيل على عملية كامب ديفيد ان تستمر وتتوسّع إذا لم يتمّ إضعاف هاتين القوتين - فقد كان ضرب سوريا ضرورياً لإقامة الفرصة أمام الدول المجاورة لسوريا واسرائيل - كالأردن ولبنان - الدخول في اتفاقات سلمية مع اسرائيل كما كان ضرب منظّمة التحرير كذلك أكثر ضرورة لاستمرار مفاوضات الحكم الذاتي وإتاحة الفرصة للشخصيات الفلسطينية المعتدلة في الضفة الغربية وقطاع غزة للقبول بالحكم الذاتي التي اقترحته اسرائيل. «وضمن هذا المفهوم كانت اسرائيل قد بدأت في تشرين الثاني ١٩٨١ بتنفيذ مشروع الإدارة المدنية في الأراضي العربية المحتلّة وإحياء «روابط القرى» بإشراف البروفسور اليمني مناحيم ميلسون تمهيداً لتنفيذ «الحكم الإداري الذاتي».(١)

وقبل إنهاء هذه الفقرة لا بدّ من الإشارة إلى النظرة الاستراتيجية لشارون، وزير الدفاع الاسرائيلي عن المنطقة المحيطة باسرائيل وقد لخّصها انطوني لويس في

---

(١) مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، «يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان»، منشورات شركة الخدمات النشرية المستقلّة، قبرص، ص ٥.

النيويورك تايمس كما يلي[1] «لقد جعل الجنرال شارون نظرته الاستراتيجية واضحة. بعيداً عن مصر لا يريد شارون ان تكون اسرائيل محاطة بدول عربية معتدلة ومستقرّة، بل بفراغ كلّي... وطموحه قد يصل إلى العربية السعودية».

البند الخامس: العامل الاسرائيلي:

إذا كانت الدول المحيطة باسرائيل من العوامل المؤثّرة على بدء الحرب فلا شك انه كان لتفاعل العوامل الداخلية في اسرائيل محرّكاً فعالاً لاندلاع الحرب، فان عملية الهروب إلى الأمام تكتيك معروف يستعمله القادة عندما تنعدم أمامهم الوسائل الأخرى. وقد لخصت مايكل جانسن في كتابها معركة بيروت أسباب عملية سلامة الجليل كما يلي:[2] «السبب الأول خرق الفلسطينيين وقف إطلاق النار الذي أعلن بواسطة الوسيط الأميركي فيليب حبيب عام ١٩٨١... السبب الثاني ان الهجرة إلى اسرائيل قد تدنّت كثيراً في تلك الفترة بالإضافة إلى ان الهجرة من اسرائيل قد ارتفعت كثيراً... السبب الثالث هو سيكولوجي أعطي بواسطة بيغن وهو إزالة عقدة حرب يوم كيبور (الغفران ١٩٧٣)... السبب الرابع سياسي وهو فشل عملية كامب ديفيد... السبب الخامس هو ان الإدارة الأميركية كانت صديقة لاسرائيل أكثر من أي وقت مضى... بالاضافة إلى انقسام العرب والحرب العراقية الايرانية... والسبب السادس والأخير الحالة الاقتصادية في اسرائيل، فقد وصل التضخّم السنوي إلى ١٣٠٪... والمساعدات من الخارج تضاءلت».

وهنا نرى ان أربعة أسباب من الأسباب الستة الواردة أعلاه تعود إلى مشاكل داخلية في اسرائيل وقد كان الهروب منها إلى الحرب هو الحل في نظر القادة وقد يخلق الصدمة المناسبة واللازمة لإعادة الأمور إلى نصابها.

(١) Jansen Michael Battle of Beirut - South End Press, p 66.

(٢) Jansen Michael Battle of Beirut South End Press, p 129.

بالاضافة إلى ما ورد أعلاه هناك سبب اسرائيلي داخلي آخر أسهم في اندلاع الحرب وهو يندرج في الحفاظ على جهوزية القوات المسلّحة الاسرائيلية. فمن المعروف ان اسرائيل قائمة على مؤسّسة عسكرية قوية وفاعلة. وقد صنّفها البعض الدولة العظمى الرابعة في العالم أي بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والصين. فلذلك كان من الضروري ان تحافظ هذه المؤسّسة على مستوى معيّن من الخبرات الميدانية وهذا يتطلّب تنفيذ معارك وحروب خلال كلّ عقد من الزمن.

وفي هذا المجال أجاب شارون عندما سئل عن أسباب الهجوم[١] «ان تسع سنوات بعد حرب ١٩٧٣ أصبح هناك جيل كامل من العسكريين الاسرائيليين لا يملكون خبرة ميدانية ونحن بحاجة لإعطائهم هذه الخبرة».

وأخيراً إذا أخذنا العامل السيكولوجي والفكري للقادة الفاعلين في اسرائيل خلال تلك الفترة أي القادة الأربعة بيغن رئيس الحكومة، شامير وزير الخارجية، شارون وزير الدفاع، وايتان رئيس الأركان نستطيع القول بأن الحرب في لبنان قد تقرّرت عند تأليف حكومة بيغن الثانية ولكن إعلانها كان ينتظر الظرف المناسب فقط. لأن هؤلاء القادة ينتمون إلى مدرسة فكرية يمينية متطرّفة تحلم بتحقيق السيطرة على «أرض اسرائيل» وعلى الدول المحيطة وتعمل لفرض الحلول على الدول المجاورة وليس انتظار المبادرات العقيمة.

البند السادس: العامل الدولي:

كنا قد ذكرنا في بداية بحثنا هذا تنامي قدرة منظّمة التحرير الفلسطينية وتأسيسها قواعد عسكرية في دول متعدّدة في أوروبا وافريقيا وآسيا. كما انها بالمقابل أقامت تحالفات مع منظّمات ثورية عدّة كالجيش الأحمر الياباني والجماعات الثورية في أوروبا كالجيش الجمهوري الايرلندي، والألوية الحمراء في ايطاليا وبآدرماينهوف في المانيا... والحركات الثورية في أميركا اللاتينية. كما

(١) Jansen Michael, op. cit., p 7.

انها استطاعت إقامة شبكات ثورية متخصّصة، كجماعات كارلوس وايلول الاسود. وبالتالي فان عمليات منظّمة التحرير لم تعد محصورة بالأهداف الاسرائيلية بل تعدّتها إلى أهداف أوروبية وأميركية وعالمية نذكر بعضها: ضرب حركة النقل الجوي العالمي (خطف طائرات) واستعمال سلاح النفط (احتجاز وزراء النفط لمنظّمة الاوبيك في سويسرا (كارلوس) والتحالف مع اليسار العالمي وهذا ما أقلق الغرب عموماً وأميركا خصوصاً.

تجاه هذا الأسلوب الذي حاولت منظّمة التحرير استعماله للضغط على العالم لتأييد مطالبها والضغط على اسرائيل، انقلب عليها وأصبحت هذه الدول مؤيّدة وداعمة لعملية عسكرية اسرائيلية. وهذا ما عرفت اسرائيل استغلاله وطرحت عمليتها كعملية للقضاء على الإرهاب العالمي خدمة للدول المتحضّرة والمحبّة للسلام. وبذلك ضمنت موافقة عالمية غربية شبه شاملة في القضاء على منظّمة التحرير.

البند السابع: العامل المباشر لاندلاع الحرب:

وبعد استعراض مختلف العوامل التي أدت إلى الغزو الاسرائيلي للبنان لا بدّ من ان نختم بالذريعة التي تذرّعت بها اسرائيل لإشعال الحرب. فمن المعروف انه بعد عمليات قصف مكثّفة ومتبادلة بين اسرائيل والفلسطينين العام ١٩٨١ تمكّن الوسيط الأميركي فيليب حبيب من ترتيب وقف إطلاق نار بين الجانبين بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٨١. هذا الاتفاق وبالرغم من موافقة اسرائيل عليه فقد حمل في طياته بذور الحرب حتى قبل أن يجف الحبر عليه، وذلك لأن ياسر عرفات خرج «زعيماً» من معارك تموز ١٩٨١. ومن وقف إطلاق النار الذي تمّ التوصّل إليه حصل الاعتراف به من قبل أميركا واسرائيل تقريباً كما نال على أثر هذا الاتفاق تقديراً عالمياً. وبالأخص عندما نجح بضبط الفصائل الفلسطينية المسلّحة المتعدّدة والمحافظة على وقف إطلاق النار. بالطبع انزعجت اسرائيل من هذا التقدير وأصبح ماثلاً لديها مشاهدة ياسر عرفات جالساً معها إلى طاولة المفاوضات

وهذا ما لا ترضاه، لذلك سعت إلى تحطيم هذا الرجل. وهي ما برحت تتحيّن الفرص لتنفيذ ما خططت له على شرط ان يكون ياسر عرفات هو الناقض لوقف إطلاق النار. إلى ان أتت الفرصة المناسبة في فجر ٣ حزيران ١٩٨٢ حيث أطلقت النار على السفير الاسرائيلي في لندن شلومو ارغوف.

على أثر ذلك اجتمعت الحكومة الاسرائيلية نهار الجمعة في الرابع من شهر حزيران حيث قال بيغن[(١)] «لا نسمح بإصابة سفير اسرائيلي لأن إصابته مثل إصابة اسرائيل بأكملها، وعلى هذا سيأتي الرد». وقد كان هذا يعني إعلان للحرب وقد أتى هذا الاعلان عن اجتماع الحكومة في اليوم التالي.

٥ – الوضع الدولي عشية الاجتياح

يعترف المحللون والقادة في اسرائيل والعالم بأن توقيت العملية كان مثالياً لأن الوضع الدولي كان ممتازاً ومؤاتياً للقيام بالغزو. فكيف كان الواقع الدولي عشية الحرب. سوف نذكر هذه الأوضاع تحت عناوين أربعة وهي الموقف العربي، الموقف الاسرائيلي الداخلي، الموقف الأميركي، والموقف السوفياتي.

٥١ - الموقف العربي:

بعد اتفاقات كامب ديفيد والانسحاب من سيناء أصبحت مصر خارج إطار المواجهة مع اسرائيل وبذلك انحصرت المواجهة على الجبهة الشمالية والشرقية. ليس هذا فحسب فان خروج مصر أدّى إلى انقسام العرب إلى مؤيد – ولو ضمنياً – لعملية السلام ومعارض لها.

فمن جهة أولى غاب القرار السياسي الموحّد وبالتالي الدعم العسكري والمادي المتبادل. ومن جهة أخرى هناك الحرب العراقية الايرانية والتي، بالإضافة إلى انها قسّمت العرب إلى مؤيّد للعراق ومؤيّد لإيران، فهي شغلت الجيش العراقي بحرب طاحنة، وهذا الجيش الذي كان يعول عليه

(١) شيف زائيف واهود يعارى – حرب الظلال – تعريب وهيب أبو واصل، ص ٧.

كثيراً في أي مواجهة حربية مع اسرائيل على الجبهة الشرقية، كما حصل في الحروب السابقة. هذا بالاضافة إلى انشغال جيوش المغرب العربي من ليبيا إلى المغرب في حروب اقليمية في التشاد أو في الصحراء الغربية. كما انه كان هناك فتوراً بين السوريين والفلسطينيين في لبنان.

ومن أجل اختبار التضامن العربي قامت اسرائيل بعملية بارزة هي قصف المفاعل النووي العراقي. فقصف المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨٠ لم يسفر عنه أي ردّ عربي فاعل كما ان الولايات المتحدة لم تقم إلاّ بتأخير تسليم بعض الطائرات الحربية إلى اسرائيل.

٥٢ - الموقف الاسرائيلي:

بالواقع ان حقيقة الموقف الاسرائيلي قبل الحرب وعشية اندلاعها كان مثار جدل كبير داخل اسرائيل وخارجها. فمن قائل ان شارون جرّ الحكومة وبالتالي اسرائيل بأسرها إلى حرب لم يتمّ الموافقة عليها، ومن قائل إلى ان الثنائي بيغن وشارون خدعا الحكومة والمعارضة والشعب، ومن قائل إلى ان الحرب سارت حسب ما خطّط لها، إلى قائل ان الحرب بدأت حسب الخطة ثمّ تطوّرت مع تطوّر الأحداث وردّات الفعل عليها. ومن هذا السياق جاء على لسان الحكومة الاسرائيلية[1] «نعرف كيف تبدأ الحرب ولكن لا نعرف أبداً كيف تنتهي».

ولكن دون الخوض في هذه التفاصيل والتي قد تقودنا فقط إلى نتائج إنتخابية فقط داخل اسرائيل، يمكننا التأكيد على ان الموافقة الجماعية من قبل الحكومة والمعارضة والرأي العام الداخلي على عملية سلامة الجليل كانت موجودة منذ بداية العام ١٩٨٢ ولكن اللغط يدور فقط حول الاصطدام مع السوريين، والوصول إلى طريق بيروت دمشق، وعلى دخول العاصمة اللبنانية. وفي هذا المجال أعلن شيمون بيريز زعيم حزب العمل خلال

(١) شيفر شيمون، عملية كرة الثلج، ترجمة حسان يوسف منشورات شركة المطبوعات الشرقية، ص ١٠٣.

اجتماع لمجلس الأمن في اسرائيل[١] «يجب ان نبقى متّحدين وندعم هذه العملية فلا نستطيع إخفاء أنه كان بيننا في السابق عدد من الخلافات وبالتأكيد سيكون هنالك خلافات أكثر فيما بعد لكننا جميعاً وطنيون». إذاً فالحرب هي حرب وطنية على الأقل خلال «مرحلتها الأولى وإلى عمق ٤٥ كلم وهناك وحدة وطنية على تنفيذها».

أما داخل مجلس الوزراء فقد كان النقاش يتمحور منذ بداية ١٩٨٢ على حجم العملية وكان هناك خطتان تمّت مناقشتهما تباعاً، «الخطة الصغرى أي إلى عمق ٤٥ كلم والخطة الكبرى والتي تصل إلى طريق بيروت دمشق هذا مع الملاحظة ان الخطة الصغرى كانت ستطوّر إلى خطة كبرى في حال تدخّل السوريين أو عدم انسحابهم من مواقعهم المتقدّمة».

وحسب المصادر المتوفّرة فان الحكومة وافقت فيما بعد على الخطة الكبرى قبل تنفيذها وقد ذكر ما يلي:[٢] «يوم الأحد ١٦ أيار دعيت الحكومة مرة أخرى للانعقاد وكانت قضية الخطة الكبرى لا تزال على جدول الأعمال فاعرب الوزراء عن العديد من التحفظات، إلاّ ان شارون طالب باتخاذ القرار وتوصّل إلى ذلك: فمن الآن وصاعداً عندما ينتهك وقف إطلاق النار ستوضع فوراً الخطة الكبرى موضع التنفيذ». إذاً يمكن ان نخلص إلى ان الموقف الاسرائيلي كان موحّداً عشية الحرب وان كان الانقسام حصل لاحقاً بسبب تطوّر الحرب ونتائجها.

٥٣ - الموقف الأميركي:

لقد قيل ان القرار العسكري في اسرائيل محكوم بمركزين رئيسيين - القيادة الاسرائيلية والإدارة الأميركية فإلى أيّ حدّ تصحّ هذه المقولة. في الواقع إذا عدنا إلى آراء قادة اسرائيل التاريخيين لنتأكّد من صحة هذه المقولة «فقد قال بن

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٨.

غوريون[١] «يجب عدم خوض حرب من دون مساندة دولة عظمى واحدة على الأقل - وكما قال دايان يجب عدم التورّط مع الاتحاد السوفياتي. وكذلك موقف رابين، التفاهم المسبق مع الولايات المتحدة». فهل كان التأييد الأميركي موجوداً قبل بدء العملية ولأي مدى؟ فحسب رأينا وبالرغم من تصريح الرئيس ريغان العلني في أحد اللقاءات الصحفية[٢] «بأنه لم يعط أي ضوء أخضر لاسرائيل بالغزو» فان الموافقة الأميركية كانت موجودة أو على الأقل لم تكن هنالك من معارضة: ولتأكيد هذا الرأي سنعود بالوقائع إلى العام ١٩٨١. ففي نيسان من هذه السنة شهدت المنطقة حدثين بارزين عبّرا عن تغييرات هامة في الموقف الأميركي تجاه المنطقة: الأول جاء في رسالة من الرئيس الأميركي ريغان إلى مناحيم بيغن عقب أحداث زحلة بين ميليشيا القوات اللبنانية والقوات السورية. وقد جاء في الرسالة ما يلي[٣] «اننا نشاطركم رأيكم تماماً. لقد اجتازت سوريا مؤخّراً عتبة معيّنة. فيجب صدّها والعودة إلى الوضع الذي كان قائماً» والثاني هو زيارة الكسندر هيغ وزير خارجية الولايات المتحدة إلى المنطقة في ذات الفترة أي نيسان ١٩٨١ وقد جاء في كتاب حرب الظلال[٤] «جاء هيغ إلى المنطقة لدرس إمكانية إقامة جبهة متواصلة في المنطقة ضد المصالح الروسية وأبقى في اسرائيل شعوراً لا يقبل الجدل، بأنه يتوجّب كبح جماح سوريا».

وقد أدّى تطوّر هذا التقارب الفكري بين قادة البلدين وتطابق المصالح في المنطقة إلى توقيع مذكّرة التعاون الاستراتيجي بين البلدين وذلك في تشرين الثاني من ذات العام. كما كثرت اللقاءات والزيارات

(١) مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان، منشورات شركة الخدمات النشرية المستقلّة، قبرص، ص ٨٧.

(٢) Jansen Michael, Battle of Beirut, South End Press, p 75.

(٣) شيفر شيمون، عملية كرة الثلج، ترجمة حسان يوسف، منشورات شركة المطبوعات الشرقية، ص ٤٥.

(٤) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ١٦.

المتبادلة بين المسؤولين في كلا البلدين حيث طرحت خلال تلك اللقاءات الحلول السلمية والعمليات العسكرية للمشكلة اللبنانية، والسورية والفلسطينية. وقد كانت محاذير العملية العسكرية محصورة فقط بالتخوّف من عرقلة عملية السلام التي بدأت في المنطقة. «وبذلك اتّضح ان العملية العسكرية ضد الفلسطينيين والسوريين أصبحت مسموحة على شرط ان تكون محدودة ولا تعرقل عملية السلام». وقد ذكر شيمون شيفر في كتابه عملية كرة الثلج:[١] ان الكسندر هيغ وزير الخارجية وقتها أعطى إشارة للقدس «باشروا ولكن بعملية محدودة». ولم يهدّد الأميركيون بالفيتو إلاّ حينما بدأت الحملة تهدّد أو أصبحت على وشك ان تهدّد الاتفاقات الضمنية الأميركية السوڤياتية بصدد مناطق الأزمات في العالم.

٥٤ - الموقف السوڤياتي:

لا شك انه منذ استلام الرئيس أنور السادات الحكم في مصر بدأ الوجود السوڤياتي القوي ينحصر في منطقة الشرق الأوسط، فقد بدأ بإخراج الخبراء السوفيات من مصر وانتهى بإخراجهم من العملية السياسية كلّها بتوقيع اتفاقات كامب ديفيد. وبالرغم من ان الاتحاد السوڤياتي وقّع بعد ذلك معاهدات تعاون وصداقة مع بعض الدول العربية منها سوريا والعراق واعترف بمنظّمة التحرير الفلسطينية، فان موقفه عشية الغزو الاسرائيلي للبنان لم يكن فاعلاً ولم يستطع تقديم أي دعم مباشر وذلك للأسباب التالية:

أ - على الصعيد العام ذكرنا في فقرة سابقة ان العرب كانوا مقسّمين والعراق متورّط في حرب مع ايران، وهذا ما أحرج الاتحاد السوفياتي كثيراً. وبالتالي فان السوڤيات لا يعقل ان يكونوا ملكيّين أكثر من الملك.

ب - وعلى صعيد معاهدة الصداقة مع سوريا فقد كان واضحاً منذ البدء بأن المعاهدة لا تشمل الدفاع عن سوريا

(١) شيفر شيمون، عملية كرة الثلج...، ص ١٨٤.

وقواتها المسلّحة خارج حدودها أي في لبنان، والحرب لم تتعدّى الحدود اللبنانية.

ج - أما على صعيد منظّمة التحرير فانه وبالرغم من اعتراف السوفيات بالمنظّمة فهم كذلك يعترفون باسرائيل وبحقّها في الوجود، كما انهم يعترفون بسيادة لبنان على أراضيه. إذاً فالدعم السوڤياتي كان محدوداً لمنظّمة مقسّمة، العديد من فصائلها لا تدين بالولاء للسوڤيات.

د - والسبب الأخير هو العلاقة بين الجبارين فقد درجت العادة على ان تتجنّب كلّ دولة مواجهة الدولة الأخرى في المناطق التي لها نفوذ قوي فيها. وهذا ما حصل. فان الدعم الأميركي القوي لاسرائيل عشية الاجتياح جعل الاتحاد السوڤياتي يتجنّب التورّط في مواجهة مكشوفة مع الأميركيين يخرج منها خاسراً. لذا كان دعمه السياسي محدوداً.

هـ - وأخيراً يجب ان نختم هذه الفقرة بالموقف العسكري السوفياتي في المنطقة بالرغم من ان السلاح مع السوريين والفلسطينيين هو سلاح سوڤياتي وان الروس قد عملوا منذ سنتين على تقوية هذه القوى عسكرياً لمواجهة السلاح الأميركي ولكنه ليس هنالك ما يشير إلى ان الاتحاد السوڤياتي كان مستعدّاً عسكرياً لهذه الحرب. بل باستطاعتنا القول بأنه فوجىء بها. وقد جاء في حرب الظلال[1] «في مساء الخامس من حزيران لم يكن هناك ما يشير إلى استنفار ويبدو ان الروس أيضاً تعوّدوا على منظر الاستنفارات الاسرائيلية المتوالية على الحدود الشمالية كما لم يكن هنالك أي من السفن السوڤياتية قبالة الشاطىء الاسرائيلي. ويبدو ان الروس فد فوجئوا هذه المرة بالغزو الاسرائيلي. فبعد يومين فقط بدأوا بتعزيز أسطولهم في البحر المتوسّط».

(١) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ٦٨.

الفصل الثاني
الاجتياح الاسرائيلي بحدّ ذاته (١٩٨٢)

١ – التحضير للحرب

يجمع الكثير من المحلّلين والصحفيين والقادة على ان هذه الحرب لم تفاجىء أحداً. فقد كان الجميع على علم بها وببعض تفاصيلها. وإذا كان المعنيون بها لم يستطيعوا تحديد وقت اندلاعها مسبقاً، فانهم من المؤكّد كانوا يستعدّون لها وكأنهم على علم تام بالخطط المحضّرة والأهداف المبتغاة. فكثيراً ما نشرت الوكالات العالمية تفاصيل العملية قبل حدوثها وهذا يعني بالطبع انه كان لدى القوى المعنية مباشرةً بهذه الحرب تفاصيل أوسع وأدق. ومن هذا الإطار نشر معلّق وكالة ان. بي. سي. الأميركية جون تشنسلو في نشرة الثامن من نيسان ١٩٨٢ تفاصيل كثيرة عن هذه الحرب المتوقّعة وحتى انه استعمل الخرائط لتحديد الأهداف وقد أشار يومها إلى صيدا والدامور وبيروت والبقاع.

فكيف تمّ التحضير لهذه الحرب؟ التحضير السياسي لن نأت على تفاصيله هنا وهو يشمل التحضير داخل اسرائيل وفي أميركا وداخل لبنان وذلك لأننا أتينا على نتائجه عرضاً خلال بحثنا عن الأسباب وفي تحليلنا للموقف السائد عشية الحرب، كما ان المجال لا يتسع في هذا البحث للتوسّع في الخطوات التي حضّرت الجو السياسي لذلك سنحصر بحثنا هنا في التحضير العسكري داخل اسرائيل ومع ميليشيا القوات اللبنانية وعلى الصعيد الفلسطيني والسوري في لبنان.

١١ - التحضير داخل الجيش الاسرائيلي:

«منذ دخوله إلى وزارة الدفاع وجد الجنرال شارون على مكتبه عرضاً لعملية محتملة في لبنان ففي الواقع كان رئيس الأركان الاسرائيلي قد وضع العديد من السيناريوهات وكلّها ترتكز على هذا الخيار: حتمية القيام بعملية واسعة ضد المنظّمات الفلسطينية»[١] إذاً فان الخطط كانت موضوعة منذ زمن بعيد فما كان على وزير الدفاع المتحمّس لهذه الحرب إلاّ أن يعدّ جيشه عملياً لتنفيذ هذه العملية. وفي الواقع فان الجيش الاسرائيلي استعدّ لهذه الحرب على جميع الأصعدة والمستويات، كما قام بالتجارب الميدانية على بعض مراحلها وقام كذلك بدوريات استكشافية على الأرض وفي عدّة مناطق في لبنان: فالجميع يعرف ان الاسرائيليين خلال عامي ١٩٨٠ - ١٩٨١ قاموا بعدّة عمليات كوماندوس راجلة ومجوقلة وإنزال بحري وقد كانت هذه العمليات متكرّرة وفي مناطق متعدّدة بحيث يتعذّر إحصاؤها أحياناً. هذا دون ذكر نشاطات العملاء والجواسيس حتى داخل المنظّمات نفسها. وقد كان واضحاً للمراقبين بأن هذه العمليات ما هي إلاّ تحضير لحرب أشمل وأعم.

إلى جانب هذه التمارين والدوريات الميدانية قامت الألوية القتالية بمناورات تكتية مطابقة لما ستواجهها في لبنان وقد جاء في حرب الظلال[٢] «في هذا الوقت كان لواء ايلي غيفا يجري تمرينات في إحدى قرى جنوب لبنان (الخيام) وتمّرنت وحدات المدرّعات التي يقودها ابيفدور كهلاني والتي خطّط لأن تعبر الليطاني، على عبور المياه والتحرّك في الممرات الجبلية».

أما على صعيد حشد القوى فقد بدأت الأنباء عنه تتوارد منذ بداية العام ١٩٨٢ حتى ان المراقبين والصحفيين أصابهم الملل من نقل الأنباء عن الاستنفارات والحشود الاسرائيلية، وقد استغلّت اسرائيل

(١) شيفر شيمون، عملية كرة الثلج، ترجمة حسان يوسف منشورات شركة المطبوعات الشرقية، ص ٧٠.

(٢) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ٩٧.

قانون ضمّ الجولان في نهاية العام ١٩٨١ للقيام بحشد قواتها في الشمال على الجبهة اللبنانية السورية مدّعية بأنه احتياط لأيّ ردّ سوري محتمل. أما في الواقع فقد كان حشد القوات تحضيراً لعملية غزو لبنان.

١٢ - التحضير في الجانب الفلسطيني:

في الواقع كانت قيادة منظّمة التحرير على علم مسبق بما يحضّر في الجانب الآخر. ويعتقد الكثيرون بأن المعلومات تسرّبت إلى مخابرات المنظّمة من مصادر عدّة منها المصرية والقوات اللبنانية. فلذلك قامت قيادة المنظّمة باستعدادات ميدانية كثيرة لمواجهة هذه الحرب، وقد كانت قيادة المنظّمة، ومنذ إعلان وقف إطلاق النار مع اسرائيل العام ٨١، على اقتناع تام بأن أي خرق لوقف إطلاق النار سيؤدي إلى حرب. وفي هذا المجال قال أبو جهاد نائب عرفات[١] «يعتقد شارون ان وقف النار يقيّده. انه حملٌ ثقيل على ظهره ويحبّذ الرجوع إلى خطة الحرب المستمرّة».

وفي هذه الفترة التي تلت وقف إطلاق النار سُجّلت التطوّرات العسكرية التالية:

أ - أقامت المنظّمات تمريناً عسكرياً هجومياً كبيراً في ينْطا[٢] «أربعة كتائب من لواء الكرامة التابع لفتح تمرّنت على احتلال مستوطنة اسرائيلية أسموها قرية بيغن وقد راقب الجيش الاسرائيلي هذا التطوّر بسبع أعين. وكانت تلك إشارة إلى ان المنظّمات ستبني قواتها على أساس هجومي».

ب - نظّمت فتح «القوة ١٤» كقوّة لجناح طائرات مروحية على ان تتدرّب في الجزائر والباكستان.

ج - وصلت قوات من الجيش الليبي سمّيت المسيرة الخضراء مزوّدة بصواريخ مضادة للطائرات وتمركزت في منطقة الدامور، وبعد ان عارض عرفات وجودها

---

(١) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٣.

في البدء عاد وقبل بها بعد إحساسه بالخطر الداهم.

د - أرسلت بعثات فلسطينية إلى الدول الشرقية لشراء بعض الأسلحة والأعتدة كالأجهزة اللاسلكية والمدافع المضادة للطائرات وصواريخ كاتيوشا بالإضافة إلى دبابات ت ٣٤.(١)

هـ - قام الفلسطينيون بإجراءات ميدانية عديدة من الناحية العملانية واللوجستية وذلك بغية التخفيف قدر الإمكان من الخطر الجوي الاسرائيلي وقد أوجز زئيف شيف هذه الاستعدادات كما يلي.(٢) «مخازن الأسلحة المركزية، وزّعت على مخازن أصغر... زوّدت القيادات الصغيرة في الجنوب بطواقم طبية... قاموا بتحصينات سرية ولغّمت أقسام كبيرة دون تسييج... واشتروا من الدول الشرقية مدافع ذات أربع فوهات متحرّكة مضادة للطائرات من طراز ZSU23 بكميات كبيرة».

و - تمّ تخزين الأسلحة والذخائر في أنفاق عميقة في الجبال.

ز - أما الاستعدادات الفلسطينية على صعيد القوّة البشرية فظهرت في اعلانهم عن التجنيد الاجباري في المخيّمات في لبنان وسوريا. وذلك من سن ١٦ وحتى ٣٩ سنة. وهذه العملية فشلت فشلاً ذريعاً.

ح - أما التدابير الأخيرة التي اتخذتها قيادة المنظّمة فتتلخّص في شقّين: الأول إقامة غرف عمليات مشتركة مع المنظّمات اللبنانية المتحالفة وذلك لتنسيق العمليات العسكرية الدفاعية. والثاني فرض سيطرة فتح ولو بالقوّة على باقي المنظّمات الفلسطينية وذلك بغية الالتزام بوقف إطلاق النار وعدم جرّ المنظّمة لحرب هي بغنى عنها. وهذا ما ترجم أحياناً باشتباكات دامية بين المنظّمات نفسها.

(١) المصدر السابق، ص ١١٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٢٣.

٢ – الآلة قبل ان تتحرّك

٢١ - إعلان الحرب:

كان التحضير السياسي والعسكري قد انتهى منذ زمن ولم يعد هنالك إلاّ انتظار الساعة المناسبة لإطلاق الهجوم والحدث اللازم لتبريره. وقد كانت محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي في لندن فجر ٣ حزيران الذريعة المنتظرة. ففي صباح الرابع من حزيران قامت الطائرات الاسرائيلية بغارات واسعة ضد أهداف لوجستية وقيادية فلسطينية في بيروت والجنوب. مما أجبر الفلسطينيين إلى الرد – ولو بصورة محدودة – بقصف شمال اسرائيل بالمدفعية والصواريخ. عندها ادّعت اسرائيل بأن الفلسطينيين خرقوا وقف إطلاق النار مرتين: الأولى – محاولة اغتيال السفير الاسرائيلي والثانية بقصف شمال اسرائيل.

ونتيجة لذلك اجتمعت الحكومة الاسرائيلية مساء السبت ٥ حزيران في منزل بيغن واتخذت قرار الحرب بالاجماع، وقد أذاع سكرتير الحكومة دان مريدور البيان التالي في نهاية الاجتماع:[(١)] «قرّرت حكومة اسرائيل تكليف الجيش الاسرائيلي مهمّة إخراج جميع مستعمرات الجليل من مرمى نار الارهابيين المتمركزين بقياداتهم وقواعدهم في لبنان. اسم العملية سلامة الجليل. خلال تنفيذ هذا القرار لن نهاجم الجيش السوري إلاّ إذا قام بمهاجمة قواتنا». ما زالت دولة اسرائيل تتطلّع إلى توقيع اتفاقية سلام مع لبنان المستقل ضمن المحافظة على سلامة اراضيه».[(٢)] وعلى اثر هذا الاعلان تحرّكت آلة الحرب الاسرائيلية برّاً وبحراً وجواً لتكتب فصلاً من فصول المأساة اللبنانية.

---

(١) مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان، منشورات شركة الخدمات النشرية المستقلّة، قبرص، ص ١٤.

(٢) شارون، مرجع سابق، ص ٦٠٢ – ٦٠٣ – ٦٠٤.

٢٢ - أهداف العملية:[١]

إذا كان الهدف الأول في نيات الحكومة الاسرائيلية قد ظهر بوضوح الا وهو ابعاد الفلسطينيين عن شمال اسرائيل لتخليصه من القصف الفلسطيني، فان الهدف الأخير حمل في طياته أهدافاً متعدّدة ومتنوّعة. فلكي تتمكّن من توقيع اتفاقية سلام مع حكومة مستقرّة ومستقلّة كان على اسرائيل:

- أولاً: تدمير الدويلة الفلسطينية المقامة على أرض لبنان.
- ثانياً: إخراج السوريين من لبنان أو على الأقل إضعاف تأثيرهم.
- ثالثاً: المساهمة في إقامة نظام سياسي قوي في لبنان ومستعد للتفاهم معها.
- رابعاً: دخول الدولة اللبنانية ضمن إطار اتفاقية السلام (كامب ديفيد).

فهذه كانت على الأقل الأهداف المتوخاة من غزو اسرائيل للبنان.

٢٣ - منطقة العمليات:

من المعروف ان طبيعة الأرض هي من العوامل الأساسية التي تؤثّر على نتائج المعارك ولهذا سنحلّل مميزات منطقة العمليات لهذه الحرب.[٢]

لقد جرت الحرب ضمن مستطيل طوله حوالى ١٠٠ كلم وعرضه يتراوح بين ٥٠ و٧٥ كلم. وتمتاز هذه المنطقة بانها صلبة ووعرة تتخلّلها بعض الأنهر والأودية العميقة التي تقطع محاور التقدّم عامودياً.

يمكن تقسيم منطقة العمليات إلى أربعة أقسام:

- القسم الأول: ويتألّف من سهل ساحلي ضيّق يتراوح عرضه بين ١ - ٢ كلم ومن شاطىء يصلح للانزال البحري في معظم الأماكن. تخترق هذا السهل طريق دولية واحدة من الجنوب إلى الشمال وتمرّ هذه الطريق في مناطق زراعية مزروعة

---

(١) كيلاني، مرجع سابق، ص ٩ - ٢٧، ٢٨.
- الوثيقة رقم ١.
- الوثيقة رقم ٢.

(١) كيلاني، مرجع سابق، ص ١٧، ١٨، ١٩.

بالحمضيات والخضار مما يعيق حركة الآليات خارج الطريق الرئيسية ومما يسهّل إقامة الكمائن ضد الآليات. كما يمتاز هذا المحور بمروره في تجمّعات سكنية كثيفة يصعب اكتنافها مما يعيق تجاوزها بسهولة ويسمح للمدافعين بإقامة معاقل ومعتصمات فيها كصيدا وصور والدامور.

– القسم الثاني: ويقع إلى الشرق من القسم الساحلي ويتألّف من مرتفعات وجبال وعرة وصخرية يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ متر وتقطعها أودية سحيقة أحياناً. وهذه المنطقة مشجّرة بمجملها وتخترقها شبكة طرقات متعرّجة وضيقة وتمرّ في ممرات إجبارية كثيرة وقرب منحدرات سحيقة. مما يمنع تحرّك الآليات خارج المحاور الطرقية الضيقة. غير ان هذا المحور رغم وعورته يمتاز بأنه يمكّن المهاجم من الوصول بسرعة إلى النقطة الاستراتيجية الهامة على مسرح العمليات ألا وهي منطقة ضهر البيدر والتي تقطع طريق بيروت دمشق.

كما يتفرّع عن هذا المحور طرقات فرعية ثانوية ان كان باتجاه المحور الساحلي في الغرب أو كان باتجاه الشرق نحو سهل البقاع وهذا ما يؤمّن المساندة المتبادلة مع القوى المتقدّمة على هذه المحاور. كما يتيح كذلك للقوى التي تسيطر على جبل الباروك بالاشراف المباشر على سهل البقاع.

كما يمتاز هذا المحور بأنه يعطي تفوّقاً ملحوظاً للمدافعين عنه وذلك بسبب طبيعة الأرض والطرق المتعرّجة والتي تتيح إقامة مراكز تدمير مثالية للدبابات. وبسبب وجود نقاط حيوية هامة تسهّل إقامة مواقع دفاعية فعالية عليه نذكر منها قلعة الشقيف (بوفور) ومنطقة جزين الريحان ومنطقة نبع الصفا وعين دارا.

– القسم الثالث: وهو القسم الجنوبي من سهل البقاع ويبلغ عرضه حوالى ٢٠ كلم وهو صالح في قسم كبير منه لتحرّك الآليات وخاصة في فصل الصيف. غير ان الدخول إلى هذا السهل من الجنوب محصور بطريقين رئيسيين فقط تنطلقان من مرجعيون. وبالرغم من ان عرض السهل يتسع تدريجياً كلّما تقدّمنا شمالاً وبالرغم من ازدياد المحاور الطرقية أيضاً، يبقى التحرّك والمناورة فيه محدودة للأسباب التالية:

وجود بحيرة القرعون ونهر الليطاني الذي يـقـطـعـه إلى شـطـريـن - وجـود بـعض المستنقعات في منطقة عانا عميق - قب الياس. وأخيراً فان المناورة فيه تبقى محكومة بالسيطرة على الجبال المشرفة عليه من جهة الشرق وجهة الغرب. فإذا لم تتمّ السيطرة على الجبال تبقى المناورة معدومة الفعالية.

- القسم الرابع: وهو سلسلة الجبال الشرقية بين لبنان وسوريا. أو سلسلة الجبال الممتدّة على السطح الغربي لجبل حرمون (الشيخ) والذي يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر. تمتاز هذه المنطقة بوعورتها وقلّة المحاور الطرقية وضيقها. ولكنه يبقى احتلال هذه المرتفعات وحتى مفرق دير العشائر ينطا ضرورياً لتأمين المجنبة ضد القوات السورية المتواجدة على جبهة الجولان وداخل سوريا.

وإذا كنا حتى الآن قد قسّمنا منطقة العمليات إلى مقاطع طولية فيقتضي الإشارة في هذا البحث ان المنطقة مقسمة عرضياً إلى مقاطع طبيعية هامة تتيح إقامة خطوط دفاعية هامة عليها. هذا في حال وجود إرادة للقتال والدفاع. ونذكر من هذه المقاطع الهامة، مقطع نهر الليطاني وامتداداً حتى حاصبيا. مقطع نهر الأولي وحتى بلدة نيحا في الشوف. ومقطع نهر الدامور حتى نبع الصفا.

أما السكان في منطقة العمليات، وبالرغم من انتمائهم إلى طوائف ومذاهب متعدّدة ومتباعدة، فيمكن تقسيمهم إلى فئتين: فئة الأكثرية الصامتة والتي عانت كثيراً من نتائج الدويلة الفلسطينية. والفئة الثانية وتتألّف من مجموعة الميليشيات والتنظيمات المتحالفة مع الفلسطينيين والتي عمل هؤلاء على تقويتها ودعمها بحيث أصبحت التغطية الشعبية والأمنية لهم، مؤمّنة جميع المعلومات والحماية والمؤخّرة.

واستنتاجاً لما تقدّم في دراستنا لمنطقة العمليات يمكننا ان نوجز بان المنطقة بمجملها صالحة ومناسبة جداً لإقامة خطوط دفاعية قوية وفعّالة ان على المقاطع الطبيعية الهامة أو في المناطق المبنية كما ان الطرق والمحاور الملتوية المزروعة والمشجرة تتيح للمدافع إقامة كمائن عديدة وفعّالة لتأخير تقدم العدو لأقصى وقت ممكن وإنزال الخسائر الجسيمة في عناصره وآلياته.

٢٤ - القوى المتصارعة:

أ - القوات الفلسطينية:(١)

كانت القوات الفلسطينية مؤلّفة من تنظيمات متعدّدة تدرّبت في الأساس للقيام بحرب الغرّية والعصابات. ومع تنامي قوتها ونجاحها في إقامة شبه دولة على الأراضي اللبنانية على اثر انهيار سلطة الدولة الشرعية، عملت على إنشاء قوات نظامية أو شبه نظامية على مستوى سرايا وكتائب بالاضافة إلى الميليشيا والمجموعات المسلّحة الصغرى. وكانت الدول العربية قد عملت منذ وقت طويل على إنشاء وحدات مسلّحة على مستوى كتيبة ولواء من اللاجئين الفلسطينيين ضمن جيوشها وذلك من أجل المساهمة في الحرب ضد اسرائيل. وكان معظم هذه الألوية في لبنان عشية الاجتياح.

أما مجموع هذه القوات فبلغ حوالى ١٥٠٠٠ ألف مقاتل من ميليشيات وقوات شبه نظامية وقد كانت منتشرة في بعض المدن الساحلية كصور وصيدا والدامور وبيروت وفي المناطق الهامة مثل قلعة الشقيف - العيشية - المثلث الحديدي والعرقوب. أما توزيعها فقد تمّ كما يلي:(٢)

- منطقة المثلث الحديدي يحتوي على ٧٠٠ مقاتل. وهو ضمن منطقة قوات الطوارىء الدولية.
- منطقة صور ومخيّماتها، ١٥٠٠ مقاتل من لواء القسطل بقيادة الحاج اسماعيل.
- منطقة الزهراني، حوالي ١٠٠٠ - ١٥٠٠ مقاتل من كتيبتي بيت المقدس وشهداء أيلول بقيادة رياض كمال الشيخ وتتبع لواء القسطل.
- منطقة صيدا، حوالى ١٥٠٠ مقاتل وهو كذلك تابع للواء القسطل.
- منطقة النبطية وقلعة الشقيف ١٠٠٠ - ١٥٠٠ مقاتل من كتيبة الجرمق.

(١) يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان، مرجع سابق، ص ٩ - ١٠.

(٢) أخذت هذه المعلومات من عدّة مصادر اسرائيلية وفلسطينية وأميركية منها - يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان مؤسّسة الدراسات الفلسطينية وعملية سلامة الجليل لريتشارد وغيريال منشورات هيل اند وانغ - ومعركة بيروت لمايكل جانسن وحرب الظلال لزئيف شيف واهود يعارى.

- قطاع العيشية المحمودية، ٥٠٠ مقاتل من لواء اليرموك.
- قطاع العرقوب أو (فتح لاند)، ١٥٠٠ مقاتل من لواء الكرامة، وينسّق دفاعياً مع الجيش السوري.
- قطاع الأولي الدامور بيروت ينتشر فيه حوالي ٦ آلاف مقاتل فلسطيني، وقد كانت الدامور في عهدة جيش التحرير الفلسطيني «قوات عين جالوت».

كانت هذه القوى بمجملها من الفلسطينيين بالاضافة إلى بعض المتطوّعين والمقاتلين من بعض البلدان العربية والاسلامية نذكر منها: بنغلادش - الباكستان - مصر - اليمن - الأردن - العراق - سيريلانكا - والهند.

أما الأسلحة التي كانت بحوزة هذه القوى فقد كانت بمعظمها أسلحة خفيفة ومتوسّطة مع قاذفات مضادة للدروع (R.P.G.) بالاضافة إلى بعض الأسلحة الثقيلة المساندة التالية حسب المصادر الاسرائيلية.[1] «القوة الميكانيكية ١٠٠ دبابة ت ٣٤ وت ٥٤ وت ٥٥ - ١٥٠ ناقلة جند مصفحة - المدفعية ٢٥٠ مدفعاً عادياً - ١٠٠ راجمة ٢٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات - صواريخ ٢٠٠ قاذفة صواريخ سام ٧».

ب - القوات والتنظيمات المتحالفة مع الفلسطينيين والسوريين:

كانت التنظيمات اللبنانية والتي متواجدة في منطقة العمليات والمتحالفة مع الفلسطينيين تعتبر اسرائيل العدو الأول لها، ولذلك كانت محاربتها من أهم أهدافها المعلنة. وكانت عناصرها منتشرة في غالبية القرى والبلدات اللبنانية وبحوزتها أسلحة خفيفة ومتوسّطة وبعض الهواوين الثقيلة والراجمات الصاروخية. بالإضافة إلى بعض الأسلحة المضادة للدروع كقاذفات الـ«ار. بي. جي» والمدافع المضادة للطائرات وبعض الآليات الخفيفة والدبابات من بقايا أسلحة الجيش اللبناني. أما أعداد هذه الأسلحة فغير محدّد نظراً لأن الأحداث في لبنان والتي بدأت منذ العام ١٩٧٥ جعلت من

(١) مؤسّسة الدراسات الفلسطينية - يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان، منشورات شركة الخدمات النشرية المستقلّة، نيقوسيا قبرص، ص ١٠. نقلاً عن صحيفة يديعوت أحرونوت ٧ - ٦ - ٨٢.

الشعب اللبناني شعباً مسلّحاً بغالبيته وهذا ما جعل أعداد الأسلحة بعشرات الألوف. أما الأسلحة المتوسّطة والثقيلة فقد كانت تقدّر بحوالى ثلث أسلحة المنظّمات الفلسطينية، موزعة على مختلف المناطق والطوائف والمنظّمات والميليشيات اللبنانية. ولذا فقد كانت تفتقر هذه القوة للتنظيم والفعالية بسبب تشرذمها وانغماسها في مشاكل ونزاعات داخلية سببتها المصالح الذاتية لكلّ تنظيم بدءاً من الخلافات الشخصية على بسط السيطرة وانتهاء بارتباط هذه المنظّمات بطوائف ومذاهب متباعدة ودول عربية وإقليمية متناحرة.

ج - قوات اسرائيل:

من الطبيعي ان يقتصر البحث هنا على القوات الاسرائيلية التي اشتركت بغزو لبنان، إذ لا مجال الآن لذكر قوة الجيش الاسرائيلي بصورة عامة. أما القوة التي زجّت بها اسرائيل في الحرب فقد قدّرت حسب المصادر الصحفية العالمية كما يلي:(١) «٩ فرق مدرّعة مع ٩٠ ألف جندي مزوّدين بـ١٣٠٠ دبابة ١٢٠٠٠ آلية عسكرية للامداد والتموين ١٣٠٠ ناقلة مدرّعة ٣٥٠ صحية ٣٠٠ أتوبيس لنقل الأسرى، تقريباً ثلث دبابات اسرائيل ومعظم جيشها النظامي». وقد جاء في مصادر أميركية أخرى معلومات أكثر دقة وتفصيلاً نذكرها كما يلي: (٢) قدّرت القوات الاسرائيلية المشتركة بالعملية بحوالى ٧ فرق مدرّعة عديدها (٧٥ - ٧٨ ألف رجل) مزوّدة بـ١٢٤٠ دبابة و١٥٢٠ مجنزرة مع الاحتفاظ بفرقتين مدرّعتين مع لواء مدرّع كاحتياط على جبهة الجولان. أما توزيع هذه القوى على المحاور فيمكن تلخيصه كما يلي:

---

(١) جانسن مايكل - معرفة بيروت منشورات سوت اندربرس نقلاً عن وكالة اسوشيتد برس ٢٣ حزيران ٨٢ صفحة وقد توافقت هذه التقديرات مع تقديرات أخرى وردت في يوميات الغزو الاسرائيلي للبنان لمؤسّسة الدراسات الفلسطينية صفحة ١٠ والتي لم تضف شيئاً على هذه المعلومات سوى عدد الطائرات المقدّر بـ٦٣٤ طائرة.

(٢) Abstract - Gabriel Richard - Operation Peace of Galilee - Hill & Wang, p. 75 - 81.

١ - المحور الشرقي: في وادي البقاع، تمّ تشكيل فيلق (لأول مرة بتاريخ الجيش الاسرائيلي) بامرة الجنرال افيفدور بن غال الملقّب «بيانوش» وذلك تحت قيادة المنطقة الشمالية بقيادة الجنرال أمير دروري. وقد قدّر مجموع هذا الفيلق بـ٣٨ ألف رجل و٨٠٠ دبابة. أما الفرق العسكرية المنضوية فيه فكانت كما يلي:

- الفرقة ٢٥٢ وتضم لوائين مدرّعين ولواء مؤلّل، مع لواء مدفعية - قائد الفرقة الجنرال ايمانويل ساكر.
- الفرقة المدرّعة ٩٠: بقيادة الجنرال غورا ليف وهي كاملة التأليف.
- قوّة خاصة بقيادة الجنرال داني فردي مؤلّفة من لوائين، أحدهما اللواء المدرّع ٤٦٠ من الفرقة ٢٥٢ أعلاه.
- قوّة خاصة لقتال المدرّعات بقيادة الجنرال يوسي بيليد، مولّفة من لوائين من المظليين والمشاة ومزوّدة بأسلحة مضادة للدروع وطوافات هجوم.
- الفرقة ٨٨٠ بقيادة الجنرال يوم نوف تامير وهي فرقة مدرّعة كاملة كاحتياط ستراتيجي للفيلق.

٢ - المحور الأوسط: وقد كانت القوى الموجودة على هذا المحور بامرة قيادة المنطقة الشمالية مباشرة وقد ضمّت هذه القوى ١٨ ألف رجل و٢٢٠ دبابة وتألّفت من:

- الفرقة ٣٦ بقيادة الجنرال كهلاني وتعتبر هذه الفرقة أحسن فرقة مدرّعة في الجيش الاسرائيلي ومؤلّفة من ٣ ألوية مدرّعات ولواء مؤلّل و٤ كتائب مدفعية - (فصل منها لواء مدرّع إلى الجبهة الشرقية) وعززت بلواء غولاني في المراحل الأولى للقتال.
- قوة خاصة من الفرقة ١٦٢ ولواء معزز بقيادة الجنرال مناحيم اينان وتضمّ لواء مدرّع معزّز بكتيبتي مشاة وفوج مدفعية ومزوّدة بـ١٠٠ دبابة.

٣ - المحور الغربي: كانت الفرق في هذا القطاع بامرة قيادة المنطقة الشمالية مباشرة كما هي الحال في القطاع الأوسط، وقد قدّرت القوى فيه بـ٢٢ ألف رجل و٢٢٠ دبابة. أما تأليفها فكان كما يلي:

- الفرقة ٩١ بإمرة الجنرال مردخاي وتضمّ ٣ ألوية مؤلّلة واللواء المدرّع

٢١١ المشهور بقيادة ايلي جيفا والمفصول من الفرقة ١٦٢. كما كان بتصرّفها أيضاً ٦ ألوية من المظليين والناحال يمكن استدعائهم لتأمين المؤخّرة والقيام بعمليات التنظيف.

وبالفعل فقد أصبحت هذه الفرقة في اليوم الثالث للقتال بحجم فرقتين بعد تعزيزها بلواء مظليين ولواء مدرّع ولواء مؤلّل. ولكن فصل منها فيما بعد لواءان وعادت كما كانت في السابق تقريباً. أما الألوية التي فصلت منها فقد أصبحت بامرة كهلاني وآموس يارون.

- لواء مستقل على محور بنت جبيل المثلث الحديدي.
- قوّة إنزال بحرية بقيادة الجنرال موسى يارون عمادها الأساسي الفرقة ٩٦ المؤلّفة من لواء مظليين ولواء مدرّعات.

وبالإضافة إلى هذه القوات البرية التي اشتركت بالغزو، قدّرت الطائرات التي ساندت هذه القوات بحوالي ٦٣٤ طائرة من مختلف الأنواع المستعملة في سلاح الجو الاسرائيلي من طائرات اعتراضية وطائرات مقاتلة وقاذفة ومروحيات القتال وطائرات الاستطلاع والانذار المبكر الخ. وعدد غير محدد من القطع البحرية المختلفة.

د - جيش لبنان الجنوبي (أو قوات الرائد سعد حداد):

كان هذا الجيش يعتبر إحدى الميليشيات المتحالفة مع اسرائيل وقد سيطر على الشريط الحدودي المحاذي للحدود الاسرائيلية. وكان هذا الجيش يتألّف من ١٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ مقاتل منظّمين في كتائب وسرايا. وكان يضم ما يقارب كتيبة دبابات وكتيبة مدفعية وكتيبتي مشاة. ولكنه لم يقم بأي دور فاعل في بداية الغزو بل جاء دوره متأخراً ولغايات أمنية.

هـ - الجيش اللبناني:

كان الجيش اللبناني الشرعي عشية الغزو في طور إعادة البناء والتنظيم على اثر التشرذم الذي أصابه عقب الأحداث اللبنانية وتفاعلاتها اعتباراً من العام ١٩٧٥. وقد كان يضم حوالى ٢٠ ألف جندي

منتظمين ضمن كتائب مستقلّة. ولكن غالبية هذه الكتائب كانت غير مؤهّلة لا سياسياً ولا عسكرياً للقيام بمهمات قتالية. أما التسليح والتجهيز فقد كان ضعيفاً جداً، فمن أصل حوالي ٣٠ كتيبة كان هناك كتيبة دبابات (AMX 13) واحدة وكتيبتا استطلاع (مصفحات بنهارد وصلاح الدين) وثلاث كتائب مدفعية (١٥٥ ملم و١٢٢ ملم مقطورة) وحوالي ٦ كتائب مشاة مولّلة (M 113) حسنة التجهيز والتسليح. والباقي كانت أسلحتها مقتصرة على الأسلحة الخفيفة وبعض الآليات الخفيفة المدولبة. أما سلاح الطيران فيضم سرب هوكر هانتر للمساندة الأرضية (حوالى ٨ طائرات) وحوالى ٢٥ طائرة مروحية للنقل والاتصال.

وقد كانت هذه القوى منتشرة على كامل الأراضي اللبنانية مع تمركز عظيمها في بيروت ومحيطها للقيام بمهمات أمنية وبالتالي لم يكن هناك أي تمركز دفاعي في منطقة الجنوب اللبناني مع الإشارة إلى تمركز رمزي للجيش اللبناني على المحور الشرقي في منطقة كوكبا - حاصبيا.

وقبل إنهاء هذه المقارنة بالقوى لا بدّ من الإشارة إلى القوات الدولية والتي كانت منتشرة على طول الحدود الجنوبية اللبنانية الاسرائيلية وكانت تضم حوالى ٧ آلاف جندي للقيام بمهمات أمنية وقد كان هناك ثغرة واحدة ضمن جهازها وهي الثغرة المحيطة بقلعة الشقيف (بوفور).

و - ميزان القوى:

إذا ما قارنا القوى المتواجهة عشية الغزو نخلص إلى الأمور التالية: تعدّ القوات الاسرائيلية وجيش لبنان الجنوبي حوالى ٨٠ ألف جندي، والقوات اللبنانية وميليشياتها حوالي ١٥ ألف رجل. انما، ورغم ذلك، فان هذه القوى لم تشارك في القتال بصورة فاعلة.

تضم القوات الفلسطينية السورية اللبنانية المشتركة حوالى ٦٠ ألف رجل. غير ان هذه القوى كانت تفتقر للتنسيق فيما بينها وتتباعد في مصالح وأهداف تنظيماتها المختلطة وتتفاوت كثيراً في جهوزيتها القتالية واستعدادها للتصدي للقوات الغازية.

ولـذلك يمكـن اعـتـبار نسـبة الـقوى بين الجانـبين وبـعـد الأخـذ بـعين الاعـتـبار قـوة الـطيران الاسـرائيـلـي والأسـلحـة المسـانـدة الثقيلة الأخرى، بأنها كانت واحد إلى اثنين لصالح اسرائيل. إلا ان بعض الباحثين أورد ان النسبة كانت ١ إلى ٤ أو ١ إلى ٦ لصالح اسرائيل كما قالت مايكل جانسن في كتابها معـركـة بيروت. ولـذا فـقـد كـانت إمـكـانـية الـدفـاع مـتـوفّـرة لـدى الـقـوات المشتركـة الـفـلسـطيـنيـة السـوريـة الـلبنانية في حال استعدادها للقتال والدفاع.

وقبل إنهاء هذه الفقرة لا بدّ من الإشارة إلى ان الجيش اللبناني الشرعي والذي من المفترض ان يـكـون المعـنـي الـوحـيـد في التـصـدّي لـهـذا الـغـزو، قـد اتـفـقت جـميع الـقـوى المتصـارعـة عـلـى تحييده ومنعه من الـقـيـام بمهـمـاتـه في الـدفـاع عـن الـوطـن. فـالـفـلسـطينـيون اعتبروا ان الحرب حربهـم والأرض أرضهـم وهم أولى بالدفاع عنها. ولا مجال هنا لذكر التصاريح والمواقف الكثيرة. وكـذلك بـاقـي الـتـنـظـيـمات. ولـذلك كـانوا جميعاً يعارضون انتشاره في مناطق نفوذهم وسيطرتهـم منذ العام ١٩٧٦.

كـذلك الاسـرائـيـلـيـون فـقـد افـهـمـوا السلطات اللبنانية والجيش بطريقة مباشرة وغير مباشرة بأن هدفهم هو «الفلسطينيون ولـيس الجيش اللبناني. وسيتصرّفون معه وكأنه قوّة حيادية». هذا مع الإشارة إلى ان الجيش اللبناني، وبالرغم من جميع المواقف الـدبـلـومـاسـيـة لـلمسؤولين الـلبـنـانـيين كـان مؤهّلاً للقتال ضد الاسرائيليين لأن عقيدته القتالية تنصّ على انها العدو التقليدي له لـذلك، سـاهم الجيش الـلبناني بفعـالـية في الدفاع عن بلاده.(١)

٢٥ - الخطة الهجومية:

من الناحية السياسية كانت الخطة الخبز اليومي للنقاش السياسي داخل اسرائيل قـبـل وأثـنـاء وبـعـد انـتـهـاء الـغـزو. إذ كـان السؤال المطروح دائماً: «هل ان الخطة كانت

(١) تجدر الإشارة هنا إلى انه عند بدء الغزو صدرت برقية عن قيادة الجيش تقضي بوجوب التنسيق مع القوات السورية للتصدي للقوات الاسرائيلية.

تقضي بالقيام بما حصل؟ أم ان تطوّر المعارك والأحداث أدى إلى تلك النتائج أم ان شارون قاد الحرب في لبنان ووجهها كما خطط مسبقاً بالرغم من ان الحكومة رفضت فكرته ورغم ان رجال المخابرات حذّروا منها وعلى الرغم من تحفّظات قيادة الجيش».(١)

ودون التوسّع بهذا الجدل ودون التوقف عند الأهداف المعلنة. من خط الـ٤٠ كلم شمالاً إلى الحرب المحدودة ضد الفلسطينيين، فالخطة حسب رأينا وبعد التوسّع في مطالعاتنا المتعدّدة كانت موضوعة سابقاً وموافق عليها بأكملها. أما عدم الكشف عنها مسبقاً حتى للقادة العسكريين الكبار فالغاية منه تحقيق الأمور التالية:

- تضليل الرأي العام الدولي وخاصة الاتحاد السوفياتي لتأخير تحرّكه قدر الإمكان.
- تضليل السوريين لمنعهم في استنفار كامل قواتهم وعدم اتخاذ خطوات دفاعية واضحة ومحدّدة وبالتالي حصر المعركة مع قواتهم المتواجدة في لبنان.
- تأخير الصدام مع السوريين أو حصره في أضيق نطاق يتيح للقوات الاسرائيلية، وبسرعة، تدمير القواعد الفلسطينية في الجنوب وفي الشريط الساحلي.
- المحافظة على الإجماع الداخلي في اسرائيل.

أما الخطة العملانية الاسرائيلية فقد كانت تلحظ المراحل التالية للغزو:

* **في مرحلة أولى:** اختراق الدفاعات الفلسطينية الأمامية والرئيسية في الجنوب من ثلاث محاور. المحور الغربي أي السهل الساحلي، المحور الأوسط محيط قلعة شقيف (بوفور) والمحور الشرقي من مرتفعات الجولان وجبل الشيخ باتجاه العرقوب (فتح لاند).
* **في مرحلة ثانية:** تطويق النقاط القوية والهامة للفلسطينيين وخاصة صور وصيدا من الجهات الأربع بواسطة القوى المهاجمة من الجنوب على المحور الغربي، والقوات المتقدّمة على المحور الأوسط والتي ستقوم بالتفاف جانبي من الشرق باتجاه الغرب، وقوات سيتمّ إنزالها في البحر للقيام بالتطويق من

(١) شيف زائيف، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

ناحية الشمال والغرب. كلّ ذلك بغية عزل هذه القوات تمهيداً لتدميرها ولتأمين عملية تجاوز هذه النقاط للقيام باختراق سريع باتجاه الشمال لتطويق بيروت.

* **في مرحلة ثالثة:** تجاوز القوات التي قامت بخرق في القطاع الأوسط بقوى جديدة بغية القيام باختراق سريع باتجاه الشمال، على مجنبة القوات السورية الرئيسية المتمركزة في البقاع، بغية إجبارها على الانسحاب دون معركة ولقطع الطريق الرئيسية بين بيروت ودمشق في منطقة ضهر البيدر.

* **في مرحلة رابعة:** اقتحام نقاط تمركز الفلسطينيين الهامة والحصينة في المخيمات الموجودة في الجنوب وفي مدينتي صيدا وصور بواسطة قوات من المشاة والمدرّعات موجودة في المؤخّرة.

* **في مرحلة خامسة:** وفي حال عدم انسحاب السوريين من سهل البقاع، القيام بهجوم واسع على القوات السورية المتمركزة في سهل البقاع من أربعة محاور رئيسية بغية الوصول إلى علو طريق بيروت دمشق وربما تطويق القوات السورية في البقاع الأوسط.

* **في مرحلة سادسة:** تنظيف بيروت من القيادات والقوات الفلسطينية ان بالوسائط السياسية أو العسكرية المباشرة أو غير المباشرة، أي بواسطة الميليشيا الحدودية أو القوات اللبنانية.

* يقتضي دعم كل هذه المراحل بقوّة نيران هائلة من سلاحي الجو والبحرية ومدفعية الميدان لتخفيف الخسائر بالأرواح إلى الحد الأدنى.

وقبل نهاية هذه الفقرة لا بد من الإشارة ان الجيش الاسرائيلي لحظ في هذه الخطة تعزيز وحداته الموجودة في مرتفعات الجولان بحيث أصبحت بحجم فرقتين مدرّعتين معزّزتين وذلك تحسّباً لأي ردّة فعل أو هجوم تقوم به القوات السورية انطلاقاً من الأراضي السورية. كما احتفظ باحتياط استراتيجي يقدّر بفرقة، وراء قواته المهاجمة.

٣ – الهجوم الاسرائيلي[(١)]

بعد قصف عنيف قامت به الطائرات والزوارق الحربية والمدفعية الاسرائيلية طوال يومي ٤ و٥ حزيران لعدّة مراكز ومخازن ذخيرة للفلسطينيين في الجنوب والشريط الساحلي وبيروت، وكان أهمها قصف مخازن الذخيرة في المدينة الرياضية في بيروت. حدّدت ساعة الصفر نهار الأحد في ٦ حزيران الساعة الحادية عشرة، حيث اندفعت القوات الاسرائيلية عبر الحدود اللبنانية الاسرائيلية المشتركة لتنفيذ الخطة الموضوعة لذلك وبالرغم من تمركز القوات الدولية قرب الحدود فان اجتيازها لم يخلق أي مشكلة دولية لأسباب ما تزال مجهولة حتى الآن. ومن أجل تجاوز هذه القوات استغلّت القوات الاسرائيلية الثغرة الموجودة قرب قلعة الشقيف والخالية من القوات الدولية للقيام بهجومها على هذا المحور كما قامت بالالتفاف حول القوات الدولية في القطاع الشرقي من منحدرات جبل حرمون. وفي القطاع الغربي كان لا بدّ من اختراق منطقة القوات الدولية مباشرة ودون أي اعتراض أو مقاومة من هذه القوات. لتصبح في مواجهة مباشرة مع القوات الفلسطينية وحلفائها.

٣١ – المرحلة الأولى: خرق خط الدفاع الأول:[(٢)]

* **على المحور الغربي:** تقدّمت الفرقة المدرّعة ٩٦ عبر الطريق الساحلي وكان في طليعتها اللواء المدرّع ٢١١ بقيادة الكولونيل ايلي غيفا. تمكّن هذا اللواء من اكتناف صور والمخيمات المحيطة بها والتقدّم شمالاً باتجاه صيدا حيث وصلت هذه القوات على جسر القاسمية الساعة الثانية بعد الظهر. ثم تابعت تقدّمها شمالاً باتجاه الزهراني فوصلت طلائعها إلى الصرفند في مساء اليوم الأول للقتال. وقد ذكرت بعض المصادر[(٣)] بان إنزالاً بحرياً قد تمّ قرب مصب الليطاني

(١) الخارطة رقم ٤٧.

(٢) يوميات الحرب، مرجع سابق، ص ١١ ، ١٢.

(٣) Schnell Dr. Karl, Experiences of the Lebanon War, Military Technology - Issue 7 - 84, p 23.

بغية تطويق صور والاسراع بالتقدّم شمالاً ولكن هذه المعلومات لم توكّد من مصادر أخرى والتي لم تعترف إلاّ بإنزال واحد خلال الحرب ألا وهو إنزال الأوّلي. وقد تميّزت المعركة على هذا المحور بقصف اسرائيلي عنيف للمواقع الفلسطينية من البر والبحر والجو كما سجّل نجاح القوات الفلسطينية بإقامة كمين قرب صور للقوات الغازية وعدّة كمائن صغرى في البساتين المحيطة بالطريق الساحلي مما كبّد الاسرائيليين عدداً من الإصابات بين قتيل وجريح وأسير.

وفي نفس الوقت كان لواء آخر يتقدّم من بنت جبيل باتجاه جويّا لضرب الفلسطينيين في المثلث الحديدي وتأمين الوصل مع القوات المتقدّمة على الساحل في منطقة صور.

* **على المحور الأوسط:** في هذه المرحلة هاجمت فرقة المدرّعات ٣٦ بقيادة ابيفدور كهلاني النبطية وارنون من محورين: محور جسر الخردلي ومحور جسر القعقعية. وقد تمكّنت في نهاية اليوم الأول من الوصول إلى هدفها المحدد أي مفترق النبطية كفرمان وتطويق قلعة الشقيف. ثم انفصلت قوّة بحجم كتيبة باتجاه جباع استعداداً لفتح طريق جزين. كما اندفعت عند المساء قوة كوماندوس أخرى من لواء غولاني المشهور لاقتحام قلعة الشقيف من الخلف في قتال متقارب، وقد تمكّنت هذه القوة من الشروع باحتلال القلعة خلال الليل فسقطت نهائياً في صبيحة يوم ٧ حزيران بأيدي الاسرائيليين.

* **على المحور الشرقي:** تميّزت الحرب في المرحلة الأولى بمناورة بارعة ومفاجأة للمدرعات الاسرائيلية، حيث تقدّمت قوة من الفرقة ٢٥٢ من مرتفعات جبل الشيخ عبر طرق ضيقة وأراضٍ وعرة وبمساعدة سلاح الهندسة لتجتاز وادي شبعا ولتضرب مراكز الفلسطينيين في العرقوب وتتجه شمالاً باتجاه راشيا.

أما باقي فرق الفيلق المخصّص للمحور الشرقي فقد كانت جميعها تستعدّ للمعارك اللاحقة خلال اليوم الأول للقتال إذ لم تقم بأي عملية بارزة سوى اقترابها من أهدافها المحدّدة، ولهذا فقد تقدّمت الفرقة ٩٠ من مرجعيون على الطريق الرئيسي بغية

الوصول إلى بحيرة القرعون فوصلت في صبيحة ٧ حزيران إلى كوكبا كما تقدّمت قوة الجنرال داني فردى من مرجعيون باتجاه الليطاني بغية احتلال جزين والاطباق على مشغرة من الغرب.

كما تقدّمت القوة الخاصة بقيادة يوسي بيليد والمجهّزة خصيصاً لقتال الدبابات وراء قوة فردى بغية احتلال جبل الباروك والسيطرة على سهل البقاع.

ولهذا يمكن إيجاز معارك المرحلة الأولى أو اليوم الأول كما يلي: تمكّنت القوات الاسرائيلية في نهاية هذه المرحلة وخلال يوم واحد من اختراق الدفاعات الفلسطينية في الجنوب وعلى طول الجبهة. ففي الشرق اقتحمت القوات الاسرائيلية العرقوب (فتح لاند) وفي الوسط تمّ احتلال النبطية وقلعة الشقيف وفي الغرب تمّ احتلال المثلث الحديدي وتطويق صور ومخيّماتها واجتياز نهر الليطاني، الحاجز الطبيعي الهام، وذلك رغم المقاومة الباسلة التي أبداها الفلسطينيون والتنظيمات المسلّحة اللبنانية. أما المعارك الهامة التي سجّلت في هذه المرحلة فكانت معركة صور ومعركة قلعة الشقيف.(١)

٣٢ - المرحلة الثانية: الاختراق والتطويق:

إذا كانت المرحلة الأولى انتهت في صبيحة اليوم الثاني للغزو أي ٧ حزيران، فان المرحلة الثانية بدأت منذ اليوم الأول وتداخلت مع المرحلة الأولى بالرغم من تباعد الأهداف المحدّدة في كلّ مرحلة. ولهذا فقد تمّ تطويق صور ومخيّماتها في اليوم الأول للغزو. أما في اليوم الثاني فقد تمّ تنفيذ المهمات المحدّدة لهذه المرحلة كما يلي:

خلال ليل ٦ - ٧ حزيران تمّ تنفيذ أضخم إنزال بحري بتاريخ الجيش

(١) ان هذه المعلومات عن سير القتال قد استخلصت من مصادر متعدّدة منها يوميات الحرب الاسرائيلية كما وردت في الفكر الاستراتيجي العربي العددان ٨ - ٩ تموز ١٩٨٣ - عملية سلامة الجليل لريتشارد غبريال ويوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان لمؤسّسة الدراسات الفلسطينية.

الاسرائيلي. فقد أنزلت الفرقة ٩٦ بقيادة الجنرال اموس يارون والمؤلّفة من لواء مظلّي ولواء دبابات، شمالي صيدا قرب مصب نهر الأولي حيث تمكّنت من تركيز رأس جسر هام تعزّز وتوسّع خلال ساعات قليلة(١) وفي نفس الوقت كانت الفرقة ٣٦ التي دخلت في اليوم السابق على المحور الأوسط واحتلّت النبطية ومحيطها تستدير باتجاه الغرب وتتقدّم على محورين بغية تحقيق الاتصال مع القوات المتقدّمة على المحور الغربي، وبالفعل فقد تمّ الوصل في نقطتين هامتين: الأولى في الزهراني والثانية في ضواحي صيدا.

وقد كانت الغاية من هذا الوصل، التحضير للهجوم على صيدا. ولذلك فقد تمّ اختيار منطقة الزهراني لتنظيم القوات المعدّة للاطباق على صيدا، خاصة ان منطقة الزهراني تسمح بالقيام بتلك الاستعدادات لأنها تضمّ مصفاة للنفط ومرفأ يسمح بتأمين الامداد اللوجستي ومساحات واسعة من الأرض مثالية لنشر وحدات المدفعية وتنظيم الألوية المهاجمة.

أما عملية الوصل في منطقة صيدا فقد كانت الغاية منها تطويق صيدا ومخيمي عين الحلوة والمية ومية من ناحية الشرق استعداداً للاطباق عليها. «وفي هذه المرحلة كانت صيدا مطوّقة من كلّ الجبهات، أطبق عليها من الشرق لواء المدرّعات ومن الجنوب الشرقي لواء غولاني، ومن الجنوب انتظر لواء غيفا لفتح الطريق شمالاً... وأطبق المظليون الذين انزلوا بحراً في الأولي من الشمال.»(٢)

العملية الثانية التي تلت التطويق كانت اكتناف صيدا من مرتفعاتها الشرقية وتأمين الاتصال مع الفرقة ٩٦ شمالي الأوّلي. فقد تمكّن لواء ايلي غيفا من اكتناف صيدا والتسلّل ليلاً عبر المنحدرات والطرق الضيقة شمالي المدينة حيث تبعته قوات أخرى من الفرقة ٣٦ المدرّعة المتقدّمة من جهة الشرق. كما تمكّنت قوة أخرى من لواء غولاني والمدوّعات من السيطرة على

(١) سيتم ذكر هذه العملية بصورة موسّعة في فقرة خاصة من هذا البحث لاحقاً.

(٢) شيف زائيف واهود يعاري، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ١٥٦.

الشارع الرئيسي في صيدا في اليوم الثاني. وبالفعل بعد ان تمكّنت القوى الرئيسية الثلاث الفرقة ٩١ والفرقة ٩٦ والفرقة ٣٦ من تأمين الوصل فيما بينها اندفعت هذه القوات بقيادة آموس يارون قائد الفرقة ٩٦ شمالاً باتجاه الدامور، وقد كانت تضمّ بالإضافة إلى الفرقة ٩٦ بعض القوى من الفرقة ٣٦ ولواء ايلي غيفا المدرّع من الفرقة ٩١ والذي تابع تقدّمه في رأس الطليعة. وقد تمكّنت هذه القوات من احتلال الدامور في نهاية هذه المرحلة.

٣٣ - المرحلة الثالثة: الالتفاف والضغط:

أصبحت الفرقة ١٦٢ المخفّضة، بقيادة الجنرال مناحيم ايتان، والتي كانت تسير وراء الفرقة المدرّعة ٣٦، جاهزة للقيام بالمهمة الموكولة لها بعد ان استدارت الفرقة ٣٦ نحو الغرب. فبعد ان أخلي المحور الأوسط من قوات الفرقة ٣٦، اندفعت الفرقة ١٦٢ باتجاه جزين. إنما، وبعد تصدّي القوات السورية بنجاح وقوّة للتقدّم والهجوم فكّت القوات الاسرائيلية الاشتباك وانحرفت غرباً باتجاه جسر بسري لتمرّ عبر ممراته الضيقة وتتقدّم بسرعة باتجاه جبال الشوف بغية الوصول إلى طريق بيروت دمشق عبر عين دارا، ضهر البيدر.

بعد ان ضمنت القوات الاسرائيلية السيطرة على المحور الغربي (الساحلي)، وبعد ان تمكّنت من تطويق مراكز الفلسطينيين الهامة في المخيمات والمدن الجنوبية دفعت بقوات ايتان على المحور الأوسط في عملية اختراق سريعة وعميقة لتهديد مجنبة القوات السورية المتمركزة في البقاع وقطع طريق الامداد الرئيسية للقوات المتمركزة في العاصمة بيروت (أي طريق بيروت دمشق)، وذلك بغية دفع هذه القوات للتراجع والانسحاب دون معركة، كمهمة أساسية، وعلى الأقل دعم مناورة القوات المتقدّمة على الخط الساحلي، كمهمة ثانوية.

كان التقدّم على هذا المحور سريعاً ودون مقاومة. فخلال يوم واحد وصلت طليعة القوات إلى منطقة عين زحلتا يوم الثلاثاء في ٨ حزيران حوالى الساعة الحادية عشرة ليلاً. فتوقّفت تحت ضغط السوريين المتمركزين في

عين دارا وضهر البيدر الذين ابدوا بسالة وعزماً في التصدّي للغزو الاسرائيلي.

لقد زجّ السوريون بكامل قواهم للدفاع عن هذا المحور فدارت معركة عنيفة بين رجال الكوماندوس السوري والدبابات السورية من جهة والدبابات الإسرائيلية التي كانت تفتقر للمشاة في تلك المعركة من جهة أخرى. كما ان السوريين حاولوا قصف القوات الاسرائيلية بالطائرات فتصدّت لهم الطائرات الاسرائيلية وجرت معركة جوية أسقطت فيها عدة طائرات. «لقد كانت قيادة الجبهة مقتنعة ان وحدة ايتان (الخط المركزي) ستصل يوم ٩ حزيران إلى طريق بيروت دمشق»،[١] لتحقيق الأهداف المبتغاة من هذا الاختراق والتي ذكرت سابقاً، ولكن هذا الاقتناع سقط أمام إصرار القوات السورية على الدفاع والتصدّي.

وضمن هذا الإطار ولتحقيق الأهداف نفسها وفي الوقت ذاته كانت تدور معركة أخرى على هذا المحور في منطقة جزين. فإذا اعتبرنا ان قوة ايتان تعتبر الذراع الطويلة للكماشة الاسرائيلية على صعيد قيادة الجبهة فان قوة الجنرال فردى الخاصة كانت الذراع الخاصة والكماشة الذاتية للفيلق الاسرائيلي المهاجم على المحور الشرقي. فكما ذكرنا سابقاً فان قوة ايتان أي الفرقة ١٦٢ فكّت الاشتباك مع القوات السورية المصمّمة على الدفاع عن مراكزها ومنع العدو من تحقيق أهدافه في جزين وتابعت تقدّمها شمالاً تاركة المجال لقوة الجنرال فردى المتقدّمة خلفها بمتابعة المهمة ومهاجمة القوات السورية والفلسطينية المتواجدة في هذه المنطقة. أما أهمية هذه المعارك فتكمن بالدرجة الأولى في أهمية جزين بحدّ ذاتها كونها تقع على مفترق طرق هام باتجاه الشمال أي جبل الباروك وضهر البيدر والشرق أي مجنبة القوات السورية في سهل البقاع. وبالدرجة الثانية ان القوات السورية المتواجدة فيها كانت تابعة للفرقة المدرّعة السورية الأولى المتمركزة في البقاع ويشكّل ضربها فتح المعركة مع هذه القوة الرئيسية وتهديد مجنبتها بصورة

(١) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ١٧٢.

خطيرة. وأخيراً فان ردّ فعل السوريين على هذه المعركة كان سيحدّد الاتجاه العام للحرب. فهل السوريون سيتراجعون لتجنّب الحرب أم انهم سيقرّرون المواجهة؟؟ وبالواقع فقد اختاروا المواجهة والتصدّي ومنع العدو من تحقيق أهدافه. وبذلك بدأت المرحلتين الرابعة والخامسة.

٣٤ - المرحلة الرابعة: الاقتحام والتدمير:

بالرغم من ان هذه المرحلة ليست مهمة من الناحية العسكرية في عملية اجتياح ضخمة كهذه وتأتي عادة كنتيجة طبيعية لأي عملية هجوم ولكنها كانت بغاية الأهمية للجيش الاسرائيلي وذلك عائد للأسباب التالية:

- ان الحرب كانت بين جيش نظامي وقوات غريّة (Guerilla) وميليشيات لا يمكن التمييز بينها وبين السكان المدنيين من فلسطينيين ولبنانيين. وإذا كان من السهل التعرّف على الفلسطينيين فكيف سيتمّ التعرّف على اللبنانيين المتعاونين مع الفلسطينيين أو المجنّدين في صفوفهم؟

- ان هؤلاء المقاتلين متمركزون في المدن والمناطق السكنية الهامة وذات الكثافة السكانية المرتفعة، وكلّ قصف عنيف لهذه التجمعات سيؤدي إلى دمار وضحايا كثيرة وسيرتدّ سلباً على الجيش الاسرائيلي والحكومة الاسرائيلية ان كرأي عام داخلي أو عالمي.

- ان الغاية الرئيسية من دخول الجيش الاسرائيلي كان اقتلاع هولاء المقاتلين من جذورهم والتفتيش عنهم وتدمير خلاياهم ومؤسّساتهم التحتية والفوقية ولذلك يقتضي الاقتحام والتفتيش بيتاً بيتاً وشبراً شبراً.

- ان الجيش الاسرائيلي ورغم خبرته الميدانية الكبيرة، فانه لم يكن يملك أي خبرة تذكر في حرب المدن والشوارع لأنه لم يقم بمثل تلك الحرب باستثناء معركتين صغيرتين، الأولى في القدس الشرقية خلال حرب ١٩٦٧، والثانية في مدينة السويس خلال حرب ١٩٧٣.

وبعد استعراض أهمية هذه المرحلة نذكر ان الأهداف التي تمّ تطويقها خلال المراحل الأولى للهجوم والتي كان على الجيش

الاسرائيلي اقتحامها كانت التالية: مدينتي صيدا وصور والمخيّمات المحيطة بها وخاصة مخيّمات الرشيدية وبرج الشمالي والبحر والمية ومية وعين الحلوة. ولقد واجه الجيش الاسرائيلي مقاومة عنيفة من مقاتلي المنظّمات الفلسطينية عند احتلاله لهذه المخيّمات. وإذا كانت القوات الاسرائيلية لم تواجه أي مقاومة فعلية من قبل القوات الفلسطينية شبه النظامية فان الأمر كان مختلفاً تماماً مع ميليشيات الفلسطينيين والمتمركزين بصورة رئيسية في المخيّمات ولذلك «استمرّ القتال أربعة أيام بلياليها حول مخيم الرشيدية... واستغرق احتلال مخيّم برج الشمالي ثلاثة أيام ونصف بلياليها... وقد احتلّت هذه المخيّمات بطريقة التفتيت.[1] أما مخيّم عين الحلوة فقد دارت فيه معركة عنيفة دامت ٧ أيام وقد سقط نهائياً في ١٤ حزيران. لقد استمات الفلسطينيون مع إحدى التنظيمات الاسلامية الأصولية في الدفاع عنه» وأبدوا مقاومة قوية وفاعلة.

أما خطة الجيش الاسرائيلي في احتلال هذه المخيّمات ومدينتي صور وصيدا فقد نفّذت كما يلي:

- في مرحلة أولى محاصرة هذه المخيمات بقوى مشتركة من المشاة والمدرّعات.
- في مرحلة ثانية القيام بقصف عنيف ومتكرّر للمراكز العسكرية من الجو والبحر والمدفعية.
- توجيه نداءات متكرّرة للسكان للتجمّع في أماكن محدّدة بغية عزلهم عن المقاتلين وتوجيه نداءات مماثلة للمقاتلين للاستسلام.
- إقتحام المخيّمات المحاصرة على مراحل وببطء بواسطة رجال المشاة (مظليين وغولاني وناحال) مدعومة بقصف من الدبابات والمدفعية والطيران.

وإذا امتازت هذه المرحلة بالبطء الشديد فان السبب يعود إلى ثلاثة عوامل هي:

- مقاومة الفلسطينيين الشديدة.
- تجنّب الاسرائيليين للخسائر البشرية.
- امتزاج المقاتلين بين السكان وعملية

(١) شيف زائيف واهود يعاري، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ١٥٣.

التفتيش والفرز التي قام بها جيش العدو بحثاً عنهم.

٣٥ - المرحلة الخامسة: الحرب مع السوريين:

بالرغم من ان الاصطدام الأول مع السوريين الذي بدأ منذ اليوم الثاني للغزو بمعارك جوية أو قصف جوي اسرائيلي لمراكز الرادار في رياق والدامور أو بمعركة برية في منطقة جزين وعين زحلتا وعين دارا. وبالرغم من ان الموقف السوري قد تحدّد منذ مهاجمة القوات السورية في جزين وكان القرار التصدّي وليس الانسحاب. فان نقطة التحوّل الأساسية نحو الحرب كانت في ٩ حزيران عندما دمّر الاسرائيليون بطاريات الصواريخ السورية في البقاع. فقبل هذا الموعد كانت قوات الفيلق الاسرائيلي على المحور الشرقي تتحرّك ببطء شديد ويمكن تصنيف عملياتها في باب تحسين المواقع والتفتيش عن الفلسطينيين ودفعهم إلى الشمال وتحقيق التماس مع القوات السورية. أما العمل الهام التي قامت به هذه القوات خلال هذه الفترة فكان السيطرة على جزين والجبال المحيطة بها، معرّضة مجنبة الفرقة السورية اليمنى للاعورار.

بعد تدمير الصواريخ السورية المضادة للطائرات والمعارك الجوية التي أسفرت عن سيطرة مطلقة لسلاح الطيران الاسرائيلي، أصبحت القوات السورية في سهل البقاع مكشوفة تماماً لضربات الاسرائيليين الجوية والبرية.

بدأت المعركة الأساسية على المحور الشرقي ضد القوات السورية الرئيسية في لبنان، أي الفرقة المدرّعة الأولى، في اليوم الثاني لتدمير الصواريخ، أي في ١٠ حزيران. وقبل هذا التاريخ كانت القوات الاسرائيلية قد حققت التماس مع السوريين على طول الجبهة ولم يعد من قوات فلسطينية فاصلة بين الاثنين، كما ان المجنبة اليمنى للقوات السورية أصبحت معرّضة من ناحية جزين ومشغرة وجبل الباروك وكذلك المجنبة اليسرى أصبحت معرّضة من ناحية راشيا. لذلك فانطلاقاً من هذا الوضع التكتي انطلق الهجوم الاسرائيلي يوم ١٠ حزيران بدعم كثيف من الطيران والمدفعية على أربعة محاور، اثنان في الوسط وقد تحرّكت

عليهما الفرقة ٩٠ المدرّعة باتجاه المصنع وجب جنين وبحيرة القرعون، وواحد إلى الشرق تقدّمت عليه الفرقة ٢٥٢ للوصول إلى ينطا دير العشاير بغية قطع طريق الامداد من داخل سوريا وتأمين حماية مجنبة الفيلق اليمنى، وآخر من جهة الغرب، أي من جزين مشغرة قب الياس شتورا وكان هدفه الوصول إلى طريق الشام في منطقة شتورا. تقدّمت القوات العدوة بسرعة على كافة المحاور كما حاول السوريون إيقاف الهجوم بكافة وسائلهم المتوفّرة فاستعملوا مروحيات الهجوم من طراز غازيل والمزوّدة بصواريخ هوت المضادة للدروع وذلك لأول مرة في تاريخهم. إنما، ورغم المقاومة الباسلة، فقد انهار خط الدفاع الأمامي للفرقة المدرّعة السورية الأولى ظهر الخميس وقد وصلت طليعة القوات المتقدّمة على المحور الغربي إلى عانا أي على ٥ كلم جنوب طريق بيروت دمشق. ومن الشرق وصلت القوات الاسرائيلية إلى ينطا أي جنوبي غربي دمشق على ٢٥ كلم فقط. أما في الوسط فقد تمكّنت القوات من الوصول إلى علو جب جنين.

«ازاء هذا الوضع والخسائر التي منيت بها الفرقة المدرّعة الأولى (خسرت حوالى ٧٠ دبابة) أمرت القيادة السورية الفرقة المدرّعة الثالثة والمتمركزة جنوبي حمص في الرعيل الثاني بالتقدّم لتبديل الفرقة الأولى».(١) كما تمّ تعزيز هذه القوات بقوات من سرايا الدفاع لقد أبدت القوات السورية المتمركزة في البقاع مقاومة فاعلة متكبّدة خسائر كبيرة في سبيل الدفاع عن البقاع اللبناني وعدم تعريض القوى العسكرية منه للدمار. ورغم التفوّق المعادي، خاصة في سلاح الطيران فان هذه المقاومة الباسلة للقوات السورية ساهمت في وقف إطلاق النار قبل أن يحقق العدو أهدافه من العملية. وكانت هذه المعركة قبل ساعات قليلة من وقف إطلاق النار الذي أنهى المعركة في سهل البقاع. ولا بدّ من الإشارة إلى انه سجّل خلال هذه المرحلة وقوع كتيبة دبابات اسرائيلية في كمين سوري في منطقة السلطان يعقوب حيث أسفر عن خسارة ١٠ دبابات اسرائيلية

(١) Sxhnelle Dr Karl Experiences of the Lebanon war Mil. Tech., Vol VIII issue 7 - 1984, p 27.

وحوالى ٢٥ إلى ٣٥ إصابة. وذلك عندما حاولت التقدّم لإقامة كمين استعداداً لمعارك اليوم التالي فوقعت هي نفسها في كمين سوري.

وأخيراً وبالرغم من النجاحات التي حققتها القوات الاسرائيلية في سهل البقاع فانها لم تحقق هدفها النهائي بقطع طريق بيروت دمشق وذلك بسبب مقاومة الجيش السوري الباسلة للتقدم المعادي.

أما المعارك الأخرى بين الاسرائيليين والسوريين فتركّزت في محيط بيروت وعلى طريق بيروت دمشق.

* - **المعركة الأولى:** كانت في محيط عين دارا فعند وصول الاسرائيليين إلى عين زحلتا في اليوم الثالث للغزو وجدوا السوريين بانتظارهم في مواقع حصينة للدفاع عن معبر ضهر البيدر وطريق بيروت دمشق وقد تمكّنت كتائب الكوماندوس السوري، المساندة بالدبابات، من إيقاف تقدّم القوات الاسرائيلية في عين زحلتا. غير ان الاسرائيليين استطاعوا بعد يومين، بفضل مساندة الطائرات النفاثة والمروحية، من احتلال المرتفعات المشرفة على عين دارا وأصبحوا على بعد ٣ كيلومترات جنوبي ضهر البيدر. وقد توقّفوا على هذا المحور ولم يتابعوا التقدّم لأسباب ما زلنا نجهلها حتى الآن.

* - **المعركة الثانية:** كانت ضد قوات اللواءين المدرّع السوري ٨٥ والمشاة ٦٢. فقد تمركزت وحدات من هذه القوات في منطقة الدوحة والمرتفعات المحيطة بها أي من الشحار الغربي وحتى سوق الغرب، مروراً بمفترق الطريق الهام في قبر شمون وذلك لمنع الاسرائيليين من الوصول إلى بيروت وقد كانت هذه الوحدات مزوّدة بالدبابات والأسلحة المضادة للدروع. وقد وصفت المصادر الاسرائيلية معركة الدوحة بأنها كانت أعنف معركة واجهتها القوات الاسرائيلية. وقد تكبّدت فيها الكثير من الخسائر في الأشخاص والعتاد. غير ان وحدات من اللواء المظلّي ٣٥ ولواء غولاني اكتنفت خط الدفاع السوري وتقدّمت سيراً على الأقدام فبلغت

التلال المشرفة على الشحار الغربي وقبرشمون. وقد تمكّنت بمساندة الطيران والمدفعية من الوصول إلى شملان ثم تحرّكت على الطرقات الضيقة المتعرّجة باتجاه بعبدا حيث تمكّنت من تأمين الوصل مع مراكز القوات اللبنانية في بسابا وإحكام الطوق على بيروت وقطع طريق بيروت دمشق لأول مرة في منطقة الفياضية وذلك يوم الأحد في ١٣ حزيران. وهنا ظهر التصدّي السوري للقوات الغازية بشكل كبير.

* - **المعركة الثالثة:** الهامة مع القوات السورية كانت على طول طريق بيروت دمشق انطلاقاً من الجمهور وحتى صوفر. بالرغم من التقيّد بوقف إطلاق النار مع السوريين على الجبهة فقد رأت القيادة العدوة ان احتفاظ السوريين بمراكزهم على طريق بيروت دمشق سيجعل من محاصرتهم لبيروت ضعيفة ومعرّضة لهجوم سوري مضاد لفك الطوق عن القوات السورية والفلسطينية المحاصرة في المدينة. فلذلك كان من الضروري دفع هذه القوى إلى الوراء للتمكّن من فرض شروطها على القوات المحاصرة أو لتسهيل عملية اقتحام بيروت في حال فشل المفاوضات السياسية.

بدأ الهجوم الاسرائيلي في ٢٢ حزيران بقصف جوي ومدفعي وصاروخي عنيف من منطقة المونتيفردي في عين سعادة، على تلة الرياض فوق بلدة اللويزة وعلى التلال المحيطة بممر الجمهور حيث كانت تتمركز سرية دبابات سورية. ثم استمرّت بالقصف على تلال الكحالة وعاريا. بعد ذلك تابعت القوات الاسرائيلية تقدّمها على طريق بيروت دمشق والتلال المحيطة بالرغم من إعلان وقف النار فقد استؤنف القتال في اليوم الثاني كما تحرّكت القوات الاسرائيلية في المحاور الجانبية باتجاه عاليه وبحمدون وقد جرت مقاومة عنيفة من قبل القوات السورية لهذا التقدّم رغم هجمات الطيران العنيفة والقصف المدفعي القوي. لذلك تمكّنت هذه القوات من الحفاظ على المراكز الدفاعية في صوفر لإبقاء طريق البقاع مقفلة أمام التقدّم على هذا المحور.

٣٦ - المرحلة السادسة: الحصار الكبير:

تمّ الدخول إلى شرقي العاصمة اللبنانية في ١٣ حزيران عندما دخلت القوات الاسرائيلية ليلاً إلى بعبدا ثمّ وسّعت انتشارها إلى بيروت الشرقية وضواحيها. لكن الدخول بالقوة إلى مدينة بيروت بدا متعذّراً بسبب المقاومة الشديدة التي أبداها المقاتلون داخلها. وهذا ما جعل حكومة العدو تقرّر محاصرة بيروت الغربية دون اقتحامها.

من جهة أخرى سجّلت معارضة من قبل الرأي العام العالمي والحكومات الصديقة لاسرائيل وخاصة الإدارة الأميركية وكلّها تركّزت حول تجنّب الدخول إلى بيروت عسكرياً إنما بالتفاوض للوصول إلى الأهداف المرجوّة. أما المأزق العسكري فلم يكن أسهل حلاً من المأزق السياسي. فبالرغم من التفوّق الاسرائيلي بالعديد والعتاد فإن الدخول إلى بيروت الغربية لم يكن بالسهولة المتوقّعة وذلك يعود للأسباب التالية:

- كان الجيش الاسرائيلي يفتقر إلى الخبرة الميدانية في قتال الشوارع، ويفتقر بصورة أساسية لعناصر المشاة والتي تعتمد عليها الحرب في الشوارع وهذه العمليات ستكلّف المهاجم عادة خسائر كبيرة بالأرواح وهذا ما لم يقبله أو يتعوّده الجيش والرأي العام المعادي.
- من ناحية أخرى كانت القوى الأساسية للفلسطينيين والموجودة في بيروت في وضع جيّد وذلك عائد للأسباب التالية:

«ان عدم تمكّن الجيش الاسرائيلي من قتل أو أسر أعداد كبيرة من مقاتلي منظّمة التحرير في الجنوب كان يعني بان المنظّمة تستطيع تجنيد ١٢ - ١٤ ألف مقاتل».[١] هذا بالإضافة إلى المنظّمات اليسارية والإسلامية المتحالفة مع الفلسطينيين (قُدّرت بحوالى سبعة آلاف مقاتل) واللواء السوري ٨٥ المتمركز داخل المدينة والذي يعتبر قوة نظامية أظهرت نية التصدّي بعنف لكلّ محاولة دخول بالقوة إلى المدينة. فإذا أضفنا إلى

(١) Gabriel Richard, Operation Peace of Galilee, Hill & Wang, p 132.

هذه القوة معرفة الفلسطينيين الجيدة لأرض المعركة وتوفّر الأسلحة والذخائر والمؤن اللازمة للقتال لمدّة طويلة[١] وخبرتهم في حرب الشوارع ووجود القيادات الفلسطينية العسكرية والسياسية على رأس هذه القوى وإقامة التحصينات والمراكز على مداخل بيروت الغربية وخاصة على خط التماس من الجبهة الشمالية والشرقية ووجود المقاتلين في مناطق كثيفة السكان، نرى ان الاسرائيليين كانوا يواجهون مأزقاً صعباً.

لمواجهة هذا المأزق ماذا فعل الاسرائيليون «كانت الخطة الأولى لقادة الميدان لاقتحام بيروت الغربية، ترتكز على استعمال فرقتين وصلتا إلى المدينة: فرقة كهلاني (٣٦) تمركزت جنوبي المدينة بالقرب من المطار المدني، وفرقة يارون (٩٦) التي انعطفت من طريق الجبال وتمركزت حول بعبدا. كان من المتوقّع من الفرقة الأولى اختراق مواقع اللواء السوري ٨٥ عند الحزام الضيق بين مخيمات اللاجئين الكبيرة وبين البحر حتى الجادة الرئيسية في المدينة (كورنيش المزرعة). وكان على الفرقة الثانية مهاجمة الجانب الشرقي لمخيّمات اللاجئين في برج البراجنة حتى النهاية».[٢] وبالرغم من رغبة شارون الجامحة للاقتحام وموافقة بيغن، فان الحكومة لم توافق على خطة الاقتحام، ولكنها وافقت على خطة أخرى بالاجماع ففي «١٦ حزيران وفي جلسة الحكومة اتخذ القرار بالاجماع التام بمطالبة بشير الجميل بالوفاء بوعوده القديمة وأن يأخذ على عاتقه المهمة المركزية باحتلال غربي بيروت».[٣] على اثر ذلك قام بيغن بزيارة إلى واشنطن لبحث مسألة حرب لبنان وبالأخص عملية بيروت. وتفيد المعلومات التي توفّرت بان

(١) جاء في كتاب سلامة الجليل للكاتب الأميركي ريتشارد غبريال انه استناداً لتقارير الاستخبارات الاسرائيلية كان لدى الفلسطينيين من المؤن الغذائية والطبية والذخيرة ما يكفي لمدّة ستة أشهر على الأقل، ص ١٣٣.

(٢) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ٢١١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٢.

الإدارة الأميركية وافقت على تنفيذ العملية بواسطة القوات اللبنانية وبمساندة الجيش الاسرائيلي. حدّد الموعد في نهاية حزيران. لقد قامت القوات اللبنانية ببعض العمليات المحدودة في هذا الإطار ومنها عملية كلية العلوم في الحدث. ولكن الشيخ بشير الجميل قائد القوات اللبنانية آنذاك حاول إقناع الاسرائيليين بان دخوله إلى بيروت غير مجدي لأن مهاجمته للفلسطينيين هناك سيجعل جميع التنظيمات اللبنانية اليسارية المناوئة له موحّدة مع التنظيمات الفلسطينية. كما ان أي تعاون مكشوف مع العدو سيقضي على مستقبله السياسي وخاصة أنه على أبواب انتخابات الرئاسة. ولذلك فان الدخول إلى بيروت بواسطة القوات اللبنانية قد سقط مرحلياً.

أمام الضغط الداخلي والخارجي على الحكومة الاسرائيلية بالامتناع عن اقتحام بيروت وازاء تمنع القوات اللبنانية عن القيام بهذه المهمة، انتقل التكتيك الاسرائيلي إلى الحصار والقصف والمفاوضات لتحقيق الأهداف المطلوبة. فقد بدأ الحصار بصورة رسمية في ١ تموز وأخذ يشتدّ يوماً بعد يوم، من إغلاق المعابر إلى قطع المياه والكهرباء والمواد التموينية... الخ وكلّ ذلك ترافق مع حرب نفسية وإعلامية ضخمة وقصف جوي وبحري وبرّي عنيف، كان يشتدّ ويتوسّع مع اشتداد تدابير الحصار. وقد هدف العدو من وراء القصف إلى إجبار العدد الأكبر من المدنيين اللبنانيين على ترك المدينة لجعل ساحة القتال خالية أمامهم لضرب المقاتلين، أو على الأقل لدفع القيادات والسكان للقيام بضغوط على المقاتلين الفلسطينيين لترك المدينة والرحيل عنها بأسرع وقت وللقبول بالشروط الاسرائيلية.

أما القصف فقد انحصر قبل بدء الحصار بمناطق المخيّمات وخلدة وحي السلم ثمّ توسّع إلى الأوزاعي وبعض مناطق الضاحية الجنوبية ليمتدّ في مرحلة ثالثة إلى كورنيش المزرعة وفي المرحلة الأخيرة إلى المناطق السكنية والتجارية في بيروت القديمة ورأس بيروت. كلّ هذه العمليات العسكرية كانت تترافق مع المفاوضات الجارية بين الجانبين بواسطة المبعوث الأميركي فيليب حبيب. وقد كانت عمليات القصف هذه، ربما إحدى وسائل المفاوضة. أما الوسائل الأخرى التي

استعملها الاسرائيليون فيمكن إيجازها كما يلي: البيانات والمناشير - السيارات المفخخة والعمليات التخريبية وأخيراً عمليات القضم والتفتيش.

وقد كان لهذا الاحتلال هدف آخر غير القضم ألا وهو منع كلّ تفكير بإجلاء الفلسطينيين المحاصرين جواً (وقد طرح هذا الحل من قبل المفاوضين) والسيطرة على مرفأ بيروت لمراقبة الجلاء البحري، كما أرسلت قوات اسرائيلية لنفس الغاية إلى جونيه والساحل الشمالي حتى مدينة جبيل وذلك لمنع الفرنسيين من النزول على الشاطىء اللبناني للمساهمة في عملية الجلاء.

وهكذا تمّ إجلاء الفلسطينيين عن بيروت بحراً وبراً. ففي منتصف ليل ١٢ - ١٣ آب وبعد حديث طويل بواسطة الهاتف أخبر عرفات المبعوث الأميركي فيليب حبيب بشكل نهائي عن استعداده للجلاء.(١)

٤ - دور البحرية الاسرائيلية

قامت البحرية العدوة بدورها الذي يمكن حصره بثلاثة عناوين:

أ - مساندة القوات المتقدّمة على المحور الساحلي وقصف الأهداف الفلسطينية على هذا المحور بالمدفعية والصواريخ.

ب - الدعم اللوجستي للقوى المتواجدة على طول الشاطىء من صور وحتى جبيل.

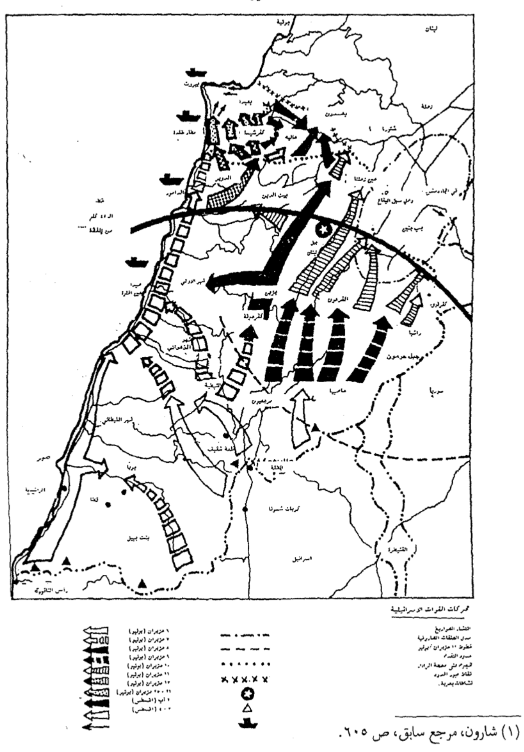
ج - القيام بإنزالات تكتية كبيرة أثّرت على سير المعركة وزخمها.

وفي هذه الفقرة سنتكلّم بالتفصيل عن إنزال منطقة الأوّلي أما باقي الإنزالات فاننا نشير إلى ان المصادر تضاربت حول عددها وحجمها. فقد ورد في بعض التقارير بان البحرية العدوة نفّذت إنزالات في منطقة القاسمية والدامور والصرفند ولكن هذه الإنزالات لم تُؤكّد من مصادر أخرى. ويعود ذلك إما لحجمها المتواضع أو بسبب الامداد اللوجستي أو التعزيز العملاني. كما نشير

(١) شيف زائيف واهود يعارى، حرب الظلال، تعريب وهيب أبو واصل، ص ٢٤٦.

الخارطة رقم ٤٧

عملية «غزو لبنان»(١)



(١) شارون، مرجع سابق، ص ٦٠٥.

كذلك إلى ان المصادر أجمعت على ان البحرية الاسرائيلية حاولت القيام بإنزال في منطقة خلدة الاوزاعي فتصدّت لها القوات السورية وميليشيا حركة أمل ففشل الإنزال وتمّ أسر ناقلتي جند.

سندرس هذا الإنزال ضمن مفهوم «إعرف عدوك» لنستطيع مستقبلاً من التصدّي بنجاح لمحاولات إنزال أخرى مشابهة. «ففي ليلة الأحد، والحكومة ما زالت مجتمعة في بيت بيغن، حمّلت الدبابات على حاملات الانزال ومعها المظلّيون الذين سيهبطون على ساحل لبنان... وأقلعوا في البحر قبل أن يقرر نهائياً أين ستكون منطقة الانزال... يوم الأحد بعد الظهر تلقّت القوة نهائياً الإشارة بان الإنزال سينفّذ شمالاً من الدامور وصيدا».(١) أما القوة المحمّلة فقد كانت الفرقة ٩٦ بقيادة الجنرال اموسى يارون وعمادها لواء مظليين ولواء دبابات ومشاة البحرية. أما تحميل هذه القوات فقد تمّ على مرحلتين: تمّ تحميل المعدات والأسلحة وبعض القوة في ميناء اشدود جنوبي فلسطين المحتلّة للحفاظ على سرية العملية أما باقي العناصر وخاصة المظليين فقد كانوا ينتظرون في نهاريا على الشاطىء الشمالي لفلسطين المحتلّة.(٢) لم نتمكّن من تحديد القوة البحرية التي اشتركت في هذه العملية، إنما رجّح المراقبون ان تكون اسرائيل قد استعملت كافة مراكب الانزال المتوفّرة في بحريتها. وقد قدّرت بأربعة عشر مركباً كبيراً وعدداً من الزوارق الصغيرة المعدّة للانزال، وزوارق الصواريخ السريعة والمراكب المساندة والغواصات.(٣) هذا بالإضافة إلى مساندة سلاح الجو الاسرائيلي الذي أمّن نقل قسم من القوات من القطع البحرية ومن ساحل صور والصرفند إلى الشاطىء. كما تمّ تأمين المساندة والغطاء الجوي من قبل المقاتلات المعادية وقد حصلت العملية على الشكل التالي:

(١) شيفر شيمون، عملية كرة الثلج، تعريب حسان يوسف، منشورات شركة المطبوعات الشرقية، ص ١٣٨.

(٢) Gabriel Richard, Operation Peace for Galilee, Hill and Wang, p 87.

(٣) Gabriel Richard, OP. Cit., p 88.

بعد تلقّي الأمر كانت قوة الانزال قد وصلت بعد ظهر الأحد قبالة صيدا. وفي المساء تمّ إنزال قوات مشاة البحرية في شمالي المدينة، ثم تبعها مباشرة، ابرار قوات من المظليين كانت قد وصلت على متن الطوافات والمراكب الصغيرة. وعند منتصف الليل وصل أول مركب إنزال إلى الشاطىء حاملاً قوات عسكرية ومعدات ثقيلة ثم تبع ذلك إنزالات متتالية للقوى والعتاد. وكانت المراكب تعود بعد إفراغ حمولتها إلى نهاريا لتعاود نقل قوات عسكرية من جديد. ثم بدأت طوافات النقل الكبيرة بالمساعدة بنقل قوات أخرى من جنوبي صيدا إلى شمالها.

عند فجر السابع من حزيران، كانت البحرية قد تمكّنت من إنزال حوالى ٤٠٠ آلية مجنزرة مع كامل القوى والعتاد. وفور الابرار تحرّكت القوى على محورين اثنين: الأول باتجاه صيدا لفرض الحصار عليها من الشمال وتأمين الوصل مع كتيبة معزّزة كانت تتقدّم على الساحل. والثاني باتجاه الدامور ويضم باقي القوة التي اعتمدت التكتية التالية: تقدّمت وحدات المظليين سيراً، على التلال المشرفة وتقدّمت وحدات الدبابات على الطريق الساحلي لمساندة المظليين. وعند وصولها إلى الدامور يجب أن تنتظر قدوم التعزيزات الآتية من الوراء. لم يتأخّر الالتقاء ان حصل في منطقة صيدا، فقد تمكّنت القوات المتقدّمة على الساحل من اكتناف المدينة، في مرحلة أولى ومن ثم اختراقها في مرحلة ثانية. وهكذا تمّ تعزيز فرقة اموسى يارون بألوية جديدة من المدرّعات مما مكّنه من متابعة تقدّمه لاحتلال الدامور والدوحة، ثم انحرف شرقاً باتجاه الشحار الغربي وقبرشمون حيث وصل إلى بعبدا في ١٣ حزيران.

٥ – دور سلاح جو العدو[1]

خلال الأيام الأولى للغزو تجنّب طيران العدو الاشتباك مع سلاح الجو السوري

(١) جاء في عدد كبير المجلات المتخصصة في مجال الطيران بان الاسرائيليين زوّدوا طائرة الفانتوم الاميركية ف ٤ بمعدات الكترونية متطوّرة من صنع محلي وأصبحت هي الطائرة الأساسية في مواجهة الصواريخ المضادة للطائرات.

على نطاق واسع فقد اقتصرت عملياته على بعض المعارك الجوية المحدودة وعلى قصف بعض مراكز الرادارات السورية في رياق والدامور. أما سبب ذلك فان العدو اعتبر ان الصدام مع جيش نظامي متمرّس في القتال كالجيش السوري ليس في مصلحته نظراً لأن العملية موجّهة ضد القوى الفلسطينية. وقد أخطأ من تقديره هذا لأن القيادة السورية قرّرت التصدّي لتقدّمه ضمن خطتها العامة القاضية بالصراع ضد عدو العرب جميعاً. لذلك تركّز الجهد الأساسي للطيران الاسرائيلي خلال هذه الفترة ضد مراكز القوات الفلسطينية. أما المهمات التي قام بها هذا السلاح فيمكن إيجازها كما يلي:

- قصف مخازن الذخيرة وطرق الامداد والمراكز المحصّنة للفلسطينيين ومراكز القيادات.
- شل شبكة الدفاع الجوي للقوات الفلسطينية.
- القيام بمهمات الرصد والاستطلاع والتصوير الجوي بواسطة الطائرات دون طيار وطائرات الاستطلاع الخاصة.
- تأمين المساندة النارية المباشرة للقوات البرية المتقدّمة.
- مساندة الانزال البحري والقيام بالانزالات المجوقلة.
- القيام بمهمات لوجستية ميدانية كالنقل، والتموين والاخلاء الصحي.
- مراقبة رمايات المدفعية وتأمين الاتصال بين قيادات الجبهة والقيادة العامة.

الفصل الثالث
النتائج والدروس المستخلصة

١ - الأهداف المحقّقة

يجب علينا التمييز بين الأهداف المعلنة والظاهرة للحرب وبين الأهداف الخفية والتي هي من ضمن اسراتيجية العدو الكبرى والسرية. فالأهداف التي حدّدها العدو لم تتحقق كلّها من خلال الاعتداء على لبنان. ولما كانت الحرب هي متابعة السياسة بوسائل أخرى، فنرى ان ما تحقق من هذا الاعتداء هو الآتي:

- بالنسبة إلى الهدف الأول فقد تحقق بإبعاد المقاتلين الفلسطينيين وأسلحتهم عن شمال اسرائيل.
- والهدف الثاني والمتعلّق بتدمير البنية التحتية لمنظّمة التحرير الفلسطينية في لبنان قد تحقق أيضاً.
- الهدف الثالث القاضي بهزيمة الجيش السوري وإخراجه من لبنان لم يتحقق.
- الهدف الأخير المعلن والمتعلّق بتوقيع معاهدة سلام بين لبنان واسرائيل، فرغم الوصول إلى اتفاق ١٧ أيار، فانه لم يتحقق أيضاً.

٢ - النتائج السياسية

ان النتائج والتفاعلات السياسية بسبب هذه العملية كثيرة ومتنوّعة وقد أصابت بضررها الكثير من المؤسّسات والقادة السياسيين في اسرائيل والمنطقة والعالم ولذلك

سنضعها تحت ثلاث عناوين رئيسية النتائج داخل اسرائيل وفي المنطقة وفي الولايات الأميركية.

٢١ - النتائج داخل اسرائيل:

بالرغم من ان أسهم الحكومة الاسرائيلية وقياداتها قد ارتفعت بصورة بارزة خلال المراحل الأولى للحرب وخاصة بالنسبة لرئيس الحكومة ووزير دفاعه ولكن هذا الوضع ما لبث ان انقلب رأساً على عقب. فعند بداية الحرب طرحت الثقة بالحكومة في الكنيست فنالت ٩٤ صوتاً مقابل ثلاثة وهذه أكبر ثقة تنالها الحكومة في تاريخها. لكنه مع تصاعد العمليات العسكرية في لبنان وإطالة أمد الحرب بدأت الحكومة تلقى معارضة حامية في الكنيست وإن لم تصل إلى حد حجب الثقة. أما على الصعيد الشعبي فقد اقتصرت حركات الاحتجاج في بداية الحرب على بعض المظاهرات الصغيرة ووسائل الاعتراض من قبل حركات السلام كحركة «السلام الآن» وبعض الحركات التي شكّلها العسكريون المسرّحون كحركة «ثمة حدود» وحركة «جنود ضد الصمت» وقد تمحورت هذه الاحتجاجات حول نقطة واحدة وهي ان الحكومة ذهبت بعيداً في حربها في لبنان، وإذا كان الشعب الاسرائيلي يوافق على استعمال الجيش لحماية اسرائيل والشعب اليهودي، فهو لا يوافق على استعماله لحماية شعوب أو أقليات أخرى ولا داعي للتورّط العسكري والسياسي في لبنان لغايات لبنانية.

هذه الحركات بقيت في بادىء الأمر ضمن الحدود المعقولة ولكن الانقلاب الكبير جاء بعد دخول الجيش الاسرائيلي بيروت ومجزرة مخيّمي صبرا وشاتيلا. فقد أحدثت هذه العمليات صدمة كبيرة داخل المجتمع الاسرائيلي. كما تلقّفت المعارضة هذه الأحداث لتزيد من معارضتها للحكومة وذلك بغية قلب الميزان السياسي في اسرائيل. فعلى الصعيد الشعبي تجلّت المعارضة بأقوى مظاهرها يوم تجمّع حوالى ٤٠٠ ألف متظاهر أي حوالى ١٠٪ من سكان اسرائيل في ساحة «ملوك اسرائيل» في تل أبيب يوم ٢٥ أيلول ١٩٨٢ معلنين معارضتهم لاستمرار الحرب في لبنان

ولأعمال الحكومة في بيروت والتي أدت إلى اهتزاز صورة اسرائيل في قلوب الاسرائيليين وفي عقول الرأي العام العالمي. والجدير ذكره ان هذه المظاهرة كانت موجّهة من قبل الأحزاب الاسرائيلية المعارضة.

هذا الضغط الشعبي الكبير والحملة السياسية المعارضة داخل الكنيست أجبرا الحكومة على تشكيل لجنة تحقيق حكومية للنظر بأحداث صبرا وشاتيلا وتحديد المسؤوليات. وقد كان لنتائج التحقيقات هذه أثراً فورياً على قيادات الحكومة الاسرائيلية. فوزير الدفاع شارون كان الضحية الأولى فقد أجبر على ترك منصب وزير الدفاع ولكنه بقي عضواً في الحكومة. ورئيس الحكومة كان الضحية الثانية، إذ انه أصيب بصدمة نفسية عميقة نتيجة خيبة أمله في التطوّرات السياسية الغير متوقّعة نتيجة حرب لبنان فاعتزل العمل السياسي وترك رئاسة الحكومة ورئاسة التكتل «هاليكود». أما رئيس الأركان الاسرائيلي رفائيل ايتان، وبالرغم من ان لجنة التحقيق قد أدانته فبقي في منصبه بسبب قرب موعد تقاعده. أما الضحية الثالثة كان تكتل الليكود نفسه إذ انه فقد الأكثرية في الانتخابات العامة عام ١٩٨٤ وبذلك أصبح شريكاً في الحكومة الائتلافية وهكذا فقد حرية القرار والخيار.

٢٢ - النتائج في المنطقة العربية:

* - **أولاً**: بدأت الحكومة اللبنانية بإعادة بسط سلطتها بدءاً من العاصمة، كما عادت القضية اللبنانية إلى واجهة الاهتمامات العالمية، فعادت القوات المتعدّدة الجنسيات (الأميركية والفرنسية والانكليزية والايطالية) إلى بيروت للمساهمة في إعادة النظام والسلام إلى لبنان، ودَفْعْ عملية المصالحة الوطنية إلى الأمام. وبالرغم من النجاحات الأولى على صعيد الأمن والسياسة ووصول المفاوضات اللبنانية الاسرائيلية الأميركية إلى إنجاز اتفاق سلام في ١٧ أيار ١٩٨٣، وموافقة الحكومة اللبنانية والمجلس النيابي عليه بأكثرية محترمة، فان هذه الانجازات ما لبثت ان انهارت دفعة واحدة وعادت

الأجواء السياسية في لبنان إلى أسوأ وضع عرفته منذ الاستقلال، حيث ضعفت سلطة الدولة، وعاد شبح الانقسام يخيّم على الشعب والحكومة والمؤسّسات السياسية والعسكرية.

* - **ثانياً**: كانت النتائج السياسية على الصعيد الفلسطيني أكثر وضوحاً. فبعد خروج رئيس منظّمة التحرير الفلسطينية من بيروت، توجّه مباشرة إلى القاهرة، رائدة الحل والتفاوض بدلاً من أن يتوجّه إلى سوريا زعيمة التصدّي والصمود. كما اختار تونس المعتدلة والداعية إلى السلام كمقرّ دائم لمنظّمته بدلاً من دمشق أو بغداد، وهكذا يكون عرفات قد اختار طريق الحل والتفاوض بدلاً من الحرب الثورية التي طالما دعا إليها ومارسها على مدى سبعة عشر عاماً. هذا بالإضافة إلى تغيير المواقف السياسية المعلنة لمنظّمة التحرير حيث نشر عرفات وثيقة تاريخية يعلن فيها استعداده للاعتراف بدولة اسرائيل في حال اعترافها بحقوق شعبه وشرعية منظّمته، وكانت هذه بالفعل سابقة تاريخية سياسية.

* - **ثالثاً**: عادت مصر إلى واجهة العالم العربي عقب الغزو الاسرائيلي. فقد ساهم الرئيس مبارك بإخراج قيادة منظّمة التحرير من بيروت سالمة عبر اتصالاته الدبلوماسية. وقد كانت زيارة عرفات للقاهرة بعد خروجه من بيروت اعترافاً منه بالنهج السياسي للرئيس المصري وعرفاناً للجميل الذي قدّمه لقيادة المنظّمة. أما على الجبهة الاسرائيلية فقد اتبع الرئيس المصري أسلوب المجابهة السياسية حيث قام باستدعاء سفيره في تل أبيب وأوقف مفاوضات الحكم الذاتي والعلاقات الاقتصادية. وهكذا فقد أصيبت مسيرة السلام وتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل بنكسة خطيرة نتيجة الغزو للبنان.

* - **رابعاً**: أما على الصعيد العربي العام، فقد كانت نتائج الغزو إيجابية بالنسبة لاسرائيل. فلأول مرّة يصدر عن مؤتمر قمّة عربي استعداد للاعتراف باسرائيل في حال اعترافها بحقوق الفلسطينيين.

وقد تمّ هذا الاعتراف في قمّة فاس التي عقدت في النصف الأول من أيلول عام ١٩٨٢. وبهذا تحوّل الموقف العربي العام إلى القبول بالحلول السلمية ضمن إطار المفاوضات بدلاً من المجابهة العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية.

٢٣ - النتائج على الصعيد الدولي:

لم تكن النتائج السياسية على الصعيد الدولي مشجّعة لاسرائيل. وخاصة بعد أحداث صبرا وشاتيلا، فقد أصبحت اسرائيل بنظر الرأي العام العالمي جوليات الجبار وليس داوود الشجاع والمضطّهد. ولهذا فقد خسرت أوفى أصدقائها نتيجة الحرب اللبنانية وتفاعلاتها. وخير وصف لذلك ما ذكرته صحيفة عال همشار في عددها الصادر في ١٥ تموز حيث كتبت:(١) «لقد خسرنا الكسندر هيغ وزير الخارجية الأميركي الأكثر تفهّماً لاسرائيل، وخسرنا ميتران أول رئيس فرنسي مؤيّد لاسرائيل، كما خسرنا دعم الاشتراكيين الديمقراطيين في أوروبا الغربية، وخسرنا تقديرنا في نظر صانعي السياسة في واشنطن».

أما الضربة القوية الثانية التي تلقّتها الحكومة الاسرائيلية فقد كانت من الولايات المتحدة، حين طرح الرئيس ريغان، في أول أيلول عام ١٩٨٢ مبادرته لحلّ أزمة الشرق الأوسط وهي تتعارض كلياً مع طموحات اسرائيل، وقد رفضت الحكومة الاسرائيلية المبادرة فوراً.

٣ – النتائج العسكرية

كانت النتائج العسكرية للعملية أشدّ هولاً وأكثر تدميراً من النتائج السياسية على القوات السورية والفلسطينية فكيف كان ذلك.

٣١ - القوات الفلسطينية:

لقد تلقّت القوات الفلسطينية ضربة قوية لكنها غير قاضية. فقد عرف الفلسطينيون انهم يقفون لوحدهم في مجابهة القوات العدوة منذ اليوم الأول للقتال. فالملك حسين سمح لكتيبة بدر الفلسطينية بالتوجّه إلى لبنان عبر سوريا للقتال إلى جانب المنظّمة.

ولما كانت القيادة العسكرية الفلسطينية تعرف تماماً مقدرة الجيش الاسرائيلي بالعتاد والنار، لكنها فوجئت بمدى العملية الاسرائيلية وسرعتها، فهي توقّعت منذ البدء أن تكون العملية الاسرائيلية محدودة ولن تتعدّى صيدا شمالاً، لذلك تصرّفت على أساس تجنّب الخسائر بتجنّب الاصطدام المباشر، كما انها لم تتوقّع التقدّم السريع للقوات الاسرائيلية شمالاً دون تصفية جيوب المقاومة ورائها. وفي هذا المجال اعترف أبو موسى قائد فتح الانتفاضة بالخطأ الكبير الذي ارتكبته قيادة المنظّمات فقال:(١) «لم يأخذ قادة المنظّمات بالحسبان ان قوات الجيش الاسرائيلي ستتلقّى أوامر بالاسراع شمالاً قدر الإمكان مع اجتياز جيوب المقاومة وإبقائها خلفهم». أو بالطبع لم تتوقّع قيادة المنظّمة وصول الجيش الاسرائيلي إلى بيروت وتطويقها ودخولها فيما بعد. وهكذا فقد أصيبت قوات منظّمة التحرير بضربة قاسية إذ أُجبرت على ترك بيروت وتوزّعت على مختلف الدول العربية، وبذلك دمّرت البنية التحتية للقوات الفلسطينية في لبنان وأصبحت قواتها بعيدة عن ساحة القتال وموزّعة في البلدان العربية المختلفة.

أما خسائر المنظّمة البشرية والمادية فقد قدّرت خلال الغزو وحتى دخول بيروت، وفق المصادر الصحفية اللبنانية والعالمية بحوالي ٢٠٠٠ قتيل من المقاتلين و٤٠٠٠ جريح و١٥٠٠ أسير. أما الأسلحة المصادرة فكانت كما يلي:(٢) «٤٦٧٠ طناً من الذخائر الخفيفة والمدفعية و١٠٧٧ عربة قتال بينها ٨٠ دبابة من طراز ت٣٢ وت٥٥، و٢٨٣٠٤ قطعة سلاح خفيفة، ١٣٥٢ قطعة سلاح مضادة للدروع من بينها ٢٧ قاذفة صواريخ، ٢٠٢ هاون من العيارات المختلفة بدءاً من ٨٠ ملم وحتى ١٥٠ ملم، ٥٦ قاذفة صواريخ كاتيوشا من عيار ١٠٦ و١٢٢ملم، ٧٠ مدفع ميدان من عيار ١٢٢ و١٣٠ و١٥٥ ملم، ١٥٨ رشاش مضاد للطائرات و١٥٣

(١) شيف زئيف واهود يعاري، حرب الظلال، ترجمة وهيب أبو واصل، ص ١٢٣.

(٢) Gabriel Richard, Operation Peace of Galilee, Hill & Wang, p 113.

مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ وحتى ١٠٠ ملم و١٩١٦ جهاز لاسلكي». هذا بالاضافة إلى بعض الأسلحة التي صودرت من قبل القوات اللبنانية وقوات الرائد سعد حداد والتي تقدّر بنصف الكميات المذكورة أعلاه.

٣٢ - القوات السورية:

بالرغم من ان الحرب في لبنان بين الاسرائيليين والسوريين كانت محدودة وبالرغم من ان سوريا لم تزج بكامل قواها في القتال، فان السوريين ربحوا تكتياً.

ويعود النجاح التكتي للقوات السورية حسب رأينا للانجازات العسكرية التالية:

أولاً: بقيت القوات السورية في لبنان ولم تنسحب تحت وطأة الضغوط العسكرية والسياسية.

ثانياً: بقيت العاصمة بيروت ومحيطها تحت مرمى المدفعية السورية. للردّ على الاعتداءات الاسرائيلية.

ثالثاً: استطاعت القوات السورية منع القوات الاسرائيلية من احتلال طريق بيروت دمشق اعتباراً من المديرج وحتى المصنع وتحقيق وقف إطلاق النار.

رابعاً: ضُربت القوات السورية لكنها لم تُدمّر، كلّفها القتال ضحايا كثيرة وعشرات الدبابات لكنها استطاعت الانسحاب بشكل منظّم. لم يتقلقل شيء من القيادة السورية ولم تفقد سيطرتها على مجريات الأمور. فالعملية الاسرائيلية لم تفقد القيادة السورية توازنها[1] كما برهنت هذه الحرب ان الجيش السوري مستعد لمجابهة القوات الاسرائيلية المعتدية ولتقديم التضحيات الجسيمة في سبيل القضية العربية العامة.

٣٣ - القوات الاسرائيلية:

ان الحرب في لبنان لم تكن حرباً شاملة بل حرباً محدودة في الزمان والمكان والقوى. فالجيش السوري لم يشترك إلاّ بجزء من قواته والدول العربية الأخرى بقيت خارج القتال، والفلسطينيون لا يشكّلون قوة عسكرية كبرى، كما ان الحرب بقيت

(١) شيف زئيف واهود يعاري، حرب الظلال، ترجمة وهيب أبو واصل، ص ١٨٦.

محصورة في الساحة اللبنانية الضيّقة وبقيت باقي الجبهات العربية هادئة. كما ان القوات الاسرائيلية المشتركة بالحرب كانت محدودة أيضاً.

وبالرغم من محدودية الحرب الاسرائيلية في لبنان فانها كانت «حرب النموذج» أي بكلام آخر كانت حرب اختيار ميداني لتقنيات وقدرات مختلف قطاعات الجيش الاسرائيلي.

العقبة التكتية التي اعترضت الجيش الاسرائيلي كانت إثبات قدرته على مجابهة قوات حرب الغرية (Guerilla) في المناطق المبنية وفي المناطق الجبلية الصعبة. وكون الجيش الاسرائيلي لم يكن يملك الخبرة الميدانية الكافية للقتال في المدن والجبال الوعرة وضد وحدات الغرية، فان حرب لبنان كبّدته خسائر فادحة.

٣٤ - النتائج الأخرى للاعتداء:

- بسبب تمركز المقاتلين الفلسطينيين في المناطق الآهلة بصورة رئيسية، وبسبب تجنّب الاسرائيليين الاقتحام المباشر خوفاً من الخسائر الباهظة بالأرواح، اعتمدت القوات الاسرائيلية مبدأ تدمير الأهداف بالقصف الكثيف من الطائرات والمدفعية والدبابات والقطع البحرية. ولذلك فقد اقتحمت هذه الأهداف بالحديد والنار مما أوقع خسائر جسيمة في الأرواح بين السكان المدنيين وأدّى إلى تدمير المنشآت المدنية الاقتصادية الهامة. ولذا فقد دفع اللبنانيون ثمناً باهظاً بأرواحهم وممتلكاتهم وقدّرت المصادر الصحفية العالمية والمحلية ومصادر قوى الأمن الداخلي عدد الإصابات في صفوف المدنيين بحوالى ١٦٠٠٠ قتيل و٣٠٠٠٠ جريح(١) وحوالى نصف مليون شخص مهجّر. أما المناطق الأكثر تضرراً، فكانت المخيّمات والمناطق المحيطة بها بالإضافة إلى مدينتي صور وصيدا وضواحي بيروت الجنوبية. أما تدمير المخيّمات فكان حسب رأينا متعمّداً من قبل الجيش الاسرائيلي وذلك بغية إبعاد الفلسطينيين نحو

(١) Jansen Michael, Battle of Beirut, South End Press, p 25.

شمالي لبنان خوفاً من إعادة تحويلها إلى معسكرات للمقاتلين. وهكذا فقد كان تدمير مخيمات الجنوب هائلاً فعلى سبيل المثال «كان الدمار في عين الحلوة شاملاً، وفي الرشيدية بنسبة ٧٠٪. هذا حسب تقرير ألانروا».(١)

- النتائج شبه العسكرية والتي يقتضي الإشارة إليها وهي تمنّع القوات اللبنانية من المشاركة في القتال بالرغم من علاقاتها الوطيدة مع الاسرائيليين. لكنها قامت ببعض الانتشار الأمني في المناطق المحتلّة من قبل الجيش الاسرائيلي وهذا أدى إلى مضاعفات عسكرية وسياسية خطيرة عقب الانسحاب الاسرائيلي من لبنان، لا مجال لتفصيلها هنا.

- وأخيراً لا بدّ من الإشارة إلى ان الحرب كلّفت الاقتصاد الاسرائيلي خسائر باهظة، فقد قال رئيس الوزراء الاسرائيلي بان الحرب كلّفت اسرائيل حوالى ١,٢ مليار دولار. كما حدّدت مصادر أخرى الكلفة بحدود ٣ مليارات دولار. وهذا الثمن أدى إلى زيادة التضخّم في الاقتصاد الاسرائيلي وانهيار سعر صرف العملة الوطنية. بالمقابل فقد ازداد حجم التبادل الاقتصادي مع لبنان بعد العملية، وقد تركّز النشاط الاقتصادي الاسرائيلي معه على تصدير المواد الغذائية والمنتوجات الزراعية ومصنوعات البلاستيك والأقمشة ومواد البناء والخدمات السياحية وخدمات الطيران (فتح مكاتب لشركة العال) الخ. وهكذا، «فخلال شهر تموز وعندما كانت معركة بيروت في أوجها فاقت التجارة مع لبنان ٤ ملايين دولار أي أربعة مرات أكثر من التبادل التجاري والسنوي مع مصر باستثناء النفط. هذا ما قاله المدير الخاص للتجارة في لبنان في وزارة الصناعة والتجارة الاسرائيلية، كما توقّع تضاعف هذا الرقم».(٢)

---

(١) Ibid. p 19.

(٢) Ibid. p 115.

٤ – الدروس المستخلصة – دور مختلف الأسلحة

٤١ – الدروس والعبر:

بالنسبة للقوات الفلسطينية؛ تبيّن انها لم تستفد إطلاقاً من الأرض للقيام بدفاع ثابت ومتحرّك. فقد كان باستطاعتها استغلال الممرات الاجبارية وتضاريس منطقة العمليات والمناطق المبنية لتأخير تقدّم القوات الاسرائيلية وتكبيدها خسائر جسيمة ان بمواجهات مباشرة أو بضرب مؤخّرتها في عمليات كوماندوس جريئة ومحدودة.

- تبيّن ان المقاتل الفلسطيني كان قليل التدريب والخبرة بالرغم من تسلّحه الجيّد وخاصة ان منظّمته من أغنى الحركات الثورية في العالم.
- ان التعاون مع التنظيمات اللبنانية والثقة المتبادلة لم تكن إلاّ ظاهرية.
- أما بالنسبة للسوريين فقد تبيّن ان القوات السورية قد حافظت على تماسكها خلال الحرب وبذلك استطاعت القيام بانسحاب منظّم في أكثرية المواقع.
- ان معنويات القوات السورية المقاتلة بقيت جيّدة حتى نهاية الحرب. وكذلك الانضباط بقي قائماً فلم يهرب الجنود من وحداتهم. كما حافظ الطيارون على اندفاعهم بالتصدّي للطائرات الاسرائيلية بالرغم من معرفتهم بتفوّق هذه الطائرات.
- الدرس الأساسي الذي تعلّمه الاسرائيليون هو ان الجندي الاسرائيلي ما زال يتأثّر بعاملين رئيسيين، القيم الاخلاقية والدفاع عن الشعب اليهودي. ولذلك فعندما شعر العسكريون بان الحرب أصبحت موجهة ضد المدنيين لا المقاتلين، وان الأهداف المتوخاة ليست أهدافاً اسرائيلية أو يهودية، أجّجت المعارضة داخل الجيش وخير مثال عليها، استقالة قائد اللواء المدرّع ٢١١ الكولونيل إيلي غيفا من قيادته الأمر الذي سبّب بطرده من الجيش.
- العبرة الثانية كانت في ضرورة التشدّد في السيطرة على الجنود في الميدان والتشدّد في الحفاظ على الطاعة والانضباط. فقد تبيّن ان بعض العسكريين قد حاولوا التملّص من بعض المهام كما ان البعض

الآخر قام ببعض الأعمال غير الأخلاقية كالتهريب والسرقة.

- الدرس الثالث كان ضرورة متابعة الهجوم ليلاً وهذا ما تجنّبته القوات الاسرائيلية في لبنان، فكانت تتوقّف عند حلول الظلام. وأول قائد كتيبة حاول متابعة التقدّم ليلاً وقع في كمين سوري في منطقة السلطان يعقوب.
- والدرس الرابع كان ضرورة تعزيز وحدات المشاة، لأنها أثبتت جدارتها في الحرب اللبنانية ان في عمليات التجاوز والتطويق أو خلال عمليات الاقتحام والتنظيف.
- ان الخسائر الاسرائيلية كانت مرتفعة في مواجهة الجيش السوري بالرغم من افتقاره للغطاء الجوي وذلك بسبب تصميم القيادة العسكرية السورية على متابعة الصراع بجدية وفعالية ضد اسرائيل.

٤٢ - دور مختلف الأسلحة في الحرب:

قبل الكلام عن مهمات مختلف الأسلحة، لا بدّ من الإشارة، ولو بإيجاز إلى تأليف الوحدات الكبرى في الجيش الاسرائيلي وطريقة قيادتها.

لقد تبيّن ان تأليف وحدات على مستوى فيلق هو ضروري في العمليات الكبرى وقد أثبت نجاحه في الحرب اللبنانية. ان تأليف الفرقة لا يتطلّب عدداً محدداً من الألوية فالفرقة تولّف حسب المهمة المكلّفة بها ولذلك فقد تراوح تأليف الفرقة بين لوائين وستة ألوية وبين خليط من ألوية المشاة والدبابات والمظليين. كما ان المرونة التي امتازت بها القيادة الاسرائيلية في تخفيض وتعزيز الفرق بالألوية خلال المعارك ونقل المسؤولية من قائد فرقة إلى قائد آخر، كانت من العوامل الرئيسية في المحافظة على زخم الهجوم. وقد كان التنسيق في هذا المجال جيداً. والمثال على ذلك «الهجوم على المحور الساحلي تبدّلت قيادته ثلاث مرات، كما ان بعض الألوية قاتلت تحت أمرة ثلاث قيادات خلال أسبوع من القتال.

أ - قوات المشاة:

تقليدياً يفتقر الجيش الاسرائيلي إلى وحدات المشاة الخفيفة المولّلة بينما يعتمد

السوريون عليها بصورة رئيسية. لكن الحرب اللبنانية - كما أشرنا سابقاً - فرضت على القوات المتحاربة الاعتماد على المشاة، فالسوريون زجّوا بخيرة وحداتهم، أي الوحدات الخاصة، للتصدي للدبابات الاسرائيلية وخاصة بعدما أيقنوا ان قواتهم أصبحت مكشوفة جواً. وقد كان قرارهم هذا منطقياً وواقعياً لأنه في وضع تكتي كهذا، باستطاعة جندي المشاة المزوّد بسلاح مضاد للدروع، إيقاف أرتال المدرّعات دون الخوف من تدخّل الطائرات ضده، خاصة إذا كانت الأرض تسمح له بالاحتماء والتخفي كالأرض اللبنانية.

أما القوات الاسرائيلية فقد اضطرت كذلك للاعتماد على المشاة ولكنها لم تستطع تأمين الوحدات اللازمة لكافة محاور الهجوم. فالمحور الرئيسي الذي استعملت فيه المشاة بكثافة كان المحور الغربي حيث استُعملت قوات المظليين للهجوم، تساندها الدبابات، كما استعملت قوات غولاني ووحدات الناحال لاقتحام المخيّمات الفلسطينية ولتنظيف جيوب المقاومة الخلفية. أما باقي المحاور فكانت تفتقر لوحدات المشاة.

أما الفلسطينيون فكانوا بالطبع يعتمدون على المشاة وعلى الميليشيات الخفيفة في حربهم وهذا غني عن التفسير والشرح.

وهكذا يمكننا ان نوجز بأنه كان لسلاح المشاة دوراً رئيسياً في الحرب اللبنانية على مختلف الجبهات وفي كافة الجيوش المتحاربة.

ب - المدرّعات:

كانت المدرّعات ولا تزال السلاح الرئيسي في الجيش الاسرائيلي، ولكن الحرب اللبنانية جعلتها في المرتبة الثانية أو الثالثة وذلك يعود لطبيعة الحرب. فإذا عرفنا ان الكثير من الدبابات الاسرائيلية التي دخلت لبنان لم تستعمل مدافعها بسبب ضيق محاور التقدّم عرفنا عدم أهمية المدرّعات في هكذا حرب.

فالقتال كان محصوراً دائماً - باستثناء القتال في سهل البقاع - في الدبابات الموجودة في الطليعة وهذه الدبابات لم تتعدى غالباً سرية أو كتيبة على المحور. ولكنه بالرغم من قناعتنا بهذه الحقيقة فاننا نعتبر ان الحرب اللبنانية حققت اختباراً

ميدانياً مذهلاً من الناحية التقنية. فقد شهدت هذه الحرب معمودية النار لاحدث دبابتي قتال ألا وهما الميركافا الاسرائيلية وت ٧٢ السوفياتية.

ج - الأسلحة المضادة للدروع والطوافات:

كانت الأسلحة المضادة للدروع الأكثر شعبية في هذه الحرب والأكثف استعمالاً. وقد تسلّحت بها كافة القوى المتحاربة. أما الأنواع فكانت متعدّدة ومتنوّعة المصادر. فالفلسطينيون استعملوا قاذفات الـ«ار. بي. جي» وصواريخ ساغر السوفياتية ولم تعط نتائج كبيرة بالرغم من كونها أسلحة جيّدة لقتال الغرية. استعمل السوريون الأسلحة السوفياتية والصواريخ الفرنسية من طراز هوت وميلان، كما استعملوا طائرات الهليكوبتر من طراز غازيل، وقد حققوا إصابات مباشرة في المدرّعات وناقلات الجند الاسرائيلية.

أما الاسرائيليون فقد استعملوا بكثافة صواريخ تو الأميركية وقد ركّزوها، اما على ناقلات الجند من طراز م ١١٣ أو على طائرات الهليكوبتر من طراز كوبرا. وقد أثبتت هذه الصواريخ فعاليتها.

د - المدفعية:

المدفعية، تقليدياً، هي السلاح الأساسي في الجيوش ذات العقيدة القتالية الشرقية وهي تضمّ عادة الهواوين الثقيلة والمدفعية البعيدة المدى وراجمات الصواريخ. وبالمقابل كان الاسرائيليون، وحتى حرب ١٩٧٣، يعتبرون سلاح المدفعية سلاحاً ثانوياً، والطائرات، مدفعية أكثر حركية وأكثر دقة وتستطيع بالتالي مرافقة الوحدات المدرّعة خلال العمليات الهجومية.

ولكن الدروس المستقاة من حرب ١٩٧٣ فرضت على الاسرائيليين تطوير مدفعيتهم. وهكذا فقد دخل الاسرائيليون إلى لبنان بوحدات مدفعية كبيرة ومحمولة على آليات مدرّعة. فقد ركّزت الهواوين من عيار ١٦٠ ملم على هيكل دبابات الشيرمن القديمة كما أصبحت المدفعية ١٥٥ و١٧٥ و ٨ انش جميعها محمولة على هياكل مجنزرات. هذا بالاضافة إلى راجمات الصواريخ المصنوعة في اسرائيل من عيار ٢٤٠ ملم. أما المهمات

التكتية التي كلّفت بها المدفعية الاسرائيلية فيمكن تلخيصها كما يلي:

- مساندة الوحدات المدرّعة بكثافة للاستعاضة عن النقص بوحدات المشاة في بعض المحاور والتشكيلات القتالية.
- قصف قواعد الصواريخ سام في سهل البقاع بواسطة قذائف موجهة من عيار ١٧٥ ملم.
- تدمير النقاط الحصينة بتكثيف رمايات المدفعية عليها.
- القيام برمايات اسكات مرابض المدفعية.

وقد تميّزت رمايات المدفعية بالدقة المتناهية بسبب توجيهها بواسطة طائرات الاستطلاع دون طيار وأجهزة الكومبيوتر المتطوّرة.

لكن الفلسطينيين استطاعوا الحفاظ على مدفعيتهم في بيروت بسبب تركيزها على آليات متحرّكة تختبىء في بعض الملاجىء وتظهر في الوقت المناسب لتوجيه ضربات موجعة للتجمّعات الاسرائيلية. وقد ركّزوا على استعمال الهواوين المتحرّكة وراجمات الصواريخ.

هـ - الهندسة:

قامت الهندسة خلال الحرب بالمهمات التقليدية المنوطة بها ولكننا سجّلنا الملاحظات والدروس التالية:

- في الجانب الاسرائيلي، استطاعت الهندسة تأمين طريق تقدّم في وادي شبعا بطول ١٢ كلم لتأمين الالتفاف حول القوات الفلسطينية ومفاجأة مواقعها من الخلف.
- صادر الاسرائيليون آلة متطوّرة من صنع سوفياتي خاصة لفتح الأنفاق بسرعة كبيرة، لم تكن معروفة قبل الحرب وكان قد استعملها الفلسطينيون في بناء الانفاق والتحصينات.(١)
- استعمل الاسرائيليون دبابة ميركافا لنقل وحدات الهندسة للقيام بمهماتهما في الامام.
- قامت وحدات السوريون الهندسية بتدمير الجسور وخلق العوائق أمام القوات المهاجمة، ولكن الفلسطينيين أظهروا

(١) قالت أنباء صحفية بان هذه الآلة قد دمّرت لاحقاً في اسرائيل عندما انفجر أحد مخازن الذخيرة المصادرة من لبنان.

تقصيراً في هذا المجال، فقد بقيت الجسور والمعابر على الليطاني والزهراني سالمة ولم تدمّر.

- خلال حصار بيروت تبيّن ان الفلسطينيين والسوريين استعملوا حقولاً معقّدة ومتنوّعة ومتشابكة من الالغام والحواجز وقد كلّفت ذلك القوات المتعدّدة الجنسيات والجيش اللبناني جهوداً جبارة للتمكّن من نزعها.

و - البحرية:

كما ذكرنا سابقاً فقد كانت المهمات البحرية للجيش الاسرائيلي مفاجأة للجميع من حيث الفعالية والضخامة. فمن ناحية دعم القوى المهاجمة بالنار أثبتت الزوارق السريعة المزوّدة بمدافع ٧٦ ملم اوتوميلارا انها تملك قوّة تدميرية كبيرة ودقّة في الإصابات.

اما الملاحظة الثانية هي ان البحرية الاسرائيلية تمكّنت من تنفيذ انزالات بحرية على مستوى وحدة كبرى، فكلّ زورق انزال بإمكانه إنزال لفيف تكتي فرعي (كتيبة) في دفعة واحدة.

ز - سلاح الجو:

أظهرت هذه الحرب تفوّق الجيش الاسرائيلي بالطيران لأسباب أهمها:

- خبرة الطيارين الاسرائيليين الطويلة في هذا المضمار.
- فاعلية الأنظمة الالكترونية المزوّدة بها طائرات سلاح الجو الاسرائيلي.
- المميّزات المتفوّقة للطائرات والأسلحة والذخائر في سلاح الجو الاسرائيلي.
- الاستفادة من الدروس والعبر لحرب ١٩٧٣ والتجارب الاسرائيلية المكثّفة في هذا المجال للتغلّب على النواقص. ولكننا وقبل متابعة شرح دور سلاح الجو الاسرائيلي لا بدّ لنا من الإشارة إلى ثلاث نقاط:

* ان تحليل قدرات هذا السلاح بصورة عسكرية وعملية يتطلّب بحثاً خاصاً معمّقاً وهذا مما لا نستطيعه الآن. فلذلك سيقتصر بحثنا على بعض الأدوار الرئيسية التي قام بها هذا السلاح مع الإشارة إلى بعض وسائلها وتجهيزاتها الرئيسية باقتضاب.
* خلال بحثنا عن المصادر المتعلّقة بدور هذا السلاح لاحظنا بان هناك تبايناً في

التقييم والتحليل بين المصادر الأميركية والمصادر الاسرائيلية وهذا عائد لأن كلّ فريق توخّى من ذلك إظهار تفوّق صناعته وخبرته في تحقيق هذا التفوّق التكتي والستراتيجي. فقد ركّز الاسرائيليون على انه كان للطائرات والأسلحة والتجهيزات والذخائر المصنوعة في اسرائيل أو المطوّرة في مصانعها، الدور الرئيسي في تحقيق هذا التفوّق اما الأميركيون فيرون عكس ذلك.

* ان ضخامة النتائج التي حققها سلاح الجو الاسرائيلي، دفع بعض القادة الاسرائيليين إلى القول، ان اسرائيل ارتكبت خطأ استراتيجياً باستعمال سلاحها الجوي إلى هذا الحد فقد كان من المفضّل الاحتفاظ بهذا التفوّق سراً من أسرار الجيش والدولة لاستعماله في حرب أكبر وأشمل تهدّد كيان اسرائيل. ولذلك فالكشف عن هذه الأسرار سيدفع الاتحاد السوفياتي يومذاك إلى تطوير أسلحته لمواجهة هذا التحدي كما سيحرم سلاح الجو الاسرائيلي من إمكانية مفاجأة أعدائه.

لذلك سيقتصر كلامنا عن مهمات بعض الطائرات وتجهيزاتها:

١ - من الطائرات الجديدة التي استعملها اليهود في معاركه الجوية كانت طائرة الهوك اي الأميركية المخصصة للانذار المبكر وقيادة المعارك الجوية، ومن إمكانات هذه الطائرة، كشف ومراقبة ٣٠٠ هدف جوي على بعد ٢٥٠ ميل، وإدارة عمليات جوية بواسطة العقول الالكترونية المزوّدة بها، لهذا العدد من الطائرات، بواسطة أوامر مباشرة لاسلكية توجهها إلى العقول الالكترونية المزوّدة بها الطائرات الاعتراضية.

٢ - قامت طائرة الإنذار والتشويش الالكتروني من طراز بوينغ ٧٠٧ المجهّزة في اسرائيل بالوسائل الالكترونية الحديثة بمهمات التشويش على الرادارات الأرضية التابعة لسلاح الجو وعلى رادارات الصواريخ المضادة للطائرات وعلى الاتصالات اللاسلكية بين قواعد المراقبة والقيادة الأرضية والطائرات.

٣ - قامت الطائرات الموجّهة دون طيار من طراز «ماستيف» و«سكاوت» المصنوعة في اسرائيل، بمهمات الخداع والتشويش للطيران وللصواريخ المضادة للطائرات كما قامت باستطلاع مرابضها الأرضية.

٤ - قامت طائرات ايغل ف ١٥ وفالكون وف ١٦ (F15, F15) الأميركية الصنع بأكثرية المهمات الاعتراضية بالتعاون مع طائرات الانذار المبكر. ونذكر منها رادار الانذار والملاحقة، المركّب على هذه الطائرات، وصواريخ جو - جو سايد وندر ٩ الأميركية الصنع وشفرير وبايتون الاسرائيلية.

٥ - استعملت طائرة الفانتوم ف ٤ الأميركية الصنع في مهمات الاختراق والمساندة، لكن الطراز الأهم الذي أثبت تفوّقه في هذه الحرب، كان طائرة الفانتوم المتطوّرة في اسرائيل والمعدّة خصيصاً لضرب شبكات الدفاع الجوي بواسطة أجهزة تشويش الكترونية وصواريخ جو - أرض موجّهة إما بالليزر أو بالتلفزيون أو بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية.

٦ - استعملت طائرة كفير الاسرائيلية الصنع، المتعدّدة المهام في هذه الحرب بصورة رئيسية لمهمات المساندة الأرضية. وكذلك استعملت طائرات سكايهوك الأميركية والمطوّرة في اسرائيل ونيشر (النسخة المطوّرة عن الميراج الفرنسية) في عمليات المساندة الأرضية المحدودة.

٧ - استعملت مروحيات القتال بفعالية في العمليات وكانت تضمّ طرازين أميركيين هما: «كوبرا» و«هيوز ديفندر» أما مهام مروحيات النقل والمساندة اللوجستية فقد كانت فعّالة وتقليدية.

٨ - وقبل إنهاء هذه الفقرة سنذكر بعض أنواع الصواريخ والذخائر الجوية المتطوّرة التي استعملت في هذه الحرب:

- الصواريخ جو - جو: سايد وندر ٩ وسبارو من طراز أميركي وشفرير وبايتون من صنع اسرائيلي موجّهة رادارياً وحرارياً.

- الصواريخ جو - أرض: الصاروخ شرايك اللاحق للاشعاعات الرادارية من صنع أميركي واسرائيلي وصاروخ مافريك الأميركي الموجّه تلفزيونياً،

و«لوتس» من صنع اسرائيلي وموجّه تلفزيونياً وبأشعة ليزر.

- مجموعة من القنابل الذكية (Smart bomb) الاسرائيلية الأميركية والموجّهة اما بالأشعة تحت الحمراء أو بالليزر أو تلفزيونياً نذكر منها «وول اي» الأميركية.

- قذائف عنقودية ضد الأشخاص والآليات نذكر منها «تال - ١» الاسرائيلية.

- القنبلة الفراغية (vacuum bomb) ولا يزال الغموض يلف ميزاتها وحقيقة استعمالها في الحرب اللبنانية.

ملاحظة: توسّعا في تحليل سلاح الجو الاسرائيلي للاستفادة من هذه المعلومات في قتال الجيوش العربية ضده.

ح - الاستعلام التكتي:

يمكن تقسيمه إلى قسمين: الأول ويتعلّق بالاستعلام قبل بدء العملية والثاني أثناءها. قبل عملية الغزو بذل الاسرائيليون جهوداً جبارة لمعرفة قدرة أعدائهم. فكلّنا عايش التحليق المستمّر والكثيف لطائرات الاستطلاع الاسرائيلية العادية والطائرات دون طيار، كما عرفنا ولو متأخّرين وجود عملاء للاسرائيليين تمكّنوا من جمع معلومات دقيقة ومفصّلة عن القدرات العسكرية للقوى العربية.

لكن الجهود الاستعلامية الاسرائيلية فشلت في تحديد أماكن تمركز القيادات الفلسطينية. فقد حاول الاسرائيليون، خلال حصارهم لبيروت، قتل بعض القادة الفلسطينيين بواسطة قصف الأبنية التي توقّعوا وجودهم فيها، بواسطة القنابل الفراغية، وبالرغم من ان القنابل كانت تدمّر الأبنية نهائياً على من فيها[١] فان أي من القادة الفلسطينيين البارزين لم يصب بأذى.

ط - اللوجستية:

تتطابق العقيدة اللوجستية في الجيش المعادي مع العقيدة السوفياتية[٢] والتي

(١) لقد تمّ تدمير بنايتين في بيروت بهذه الطريقة ودفن في الأولى ٨٠ شخصاً وفي الثانية ١٢٠ شخصاً.

(٢) Gabriel Richard, Operation Peace for Galilee Hill & Wang, p 210.

تقول بمبدأ «الدفع إلى الأمام» وليس السحب من الخلف كما يفعل الأميركيون. ويبرّر الاسرائيليون هذه العقيدة بأن عمليات الاختراق السريع والاستغلال يتطلّبان سرعة في الامداد، وان طلب الامداد وانتظار وصوله (أي مبدأ السحب) سيؤخّر العمليات العسكرية ولا شك. وهكذا فكثيراً ما شاهدنا أكداس الذخائر والمحروقات التي وضعها الاسرائيليون وراء قواتهم المتقدّمة على مختلف المحاور.

أما عملية الامداد اللوجستي في عملية غزو لبنان فكانت تتحكّم فيها العوامل التالية:

- وعورة الطرق الجبلية وضيقها بحيث تزاحمت عليها آليات القتال وآليات الامداد اللوجستي مما أعاق وصول الصهاريج والشاحنات إلى الوحدات الأمامية بسرعة – وهذا عامل سلبي.
- كان الجيش الاسرائيلي يقاتل على جبهة واحدة ضيقة وقريبة من المراكز اللوجستية الأساسية للجيش الاسرائيلي داخل اسرائيل – وهو عامل إيجابي.
- تمتّع الجيش الاسرائيلي بالسيطرة الجوية على الأجواء وهذا عامل إيجابي يسهّل عملية الإمداد.

وللتغلّب على الصعوبات التي واجهته بسبب العامل الأول قام الجيش الاسرائيلي باستعمال الطيران والبحرية لتأمين الإمداد اللوجستي، فقد استعملت مروحيات النقل وطائرات النقل من طراز C 130 كما أقيمت بعض المدارج الميدانية كمطار الدامور لتأمين الامداد اللوجستي.

كما استعملت البحرية للامداد اللوجستي – وقد ذكرنا ذلك سابقاً – وخاصة ان الشاطىء اللبناني يضمّ عدداً من المرافىء الكبيرة والصغيرة الصالحة لإنزال المؤن والأعتدة.

أما في الجانب الآخر فلم يعاني الفلسطينيون من نقص في الذخائر أو المحروقات والتجهيزات وذلك عائد للاستعدادات الفلسطينية وطبيعة عقيدتهم في الامداد والتموين، فقد كانت المستودعات الفلسطينية صغيرة ومنتشرة في أماكن قريبة من الوحدات المقاتلة كما ان الذخائر والعتاد المتوفّرة كان أكثر من

حاجاتهم المتوقّعة بكثير ولذا فلم يكونوا بحاجة لنقل هذه المعدات لوحداتهم لأنهم كانوا يتمركزون بالقرب منها.

ي - الاخلاء الصحي والألبسة الواقية:

بالرغم من ان هذه المهمة تقع ضمن مهمات اللوجستية ولكننا فضّلنا ان نعالجها في فقرة خاصة لما لهذا الموضوع من أهمية على صعيد الجيش الاسرائيلي. فمن المعروف ان الجيش الاسرائيلي يعطي أهمية قصوى للأرواح البشرية وذلك بسبب طاقته البشرية المحدودة وتأثير هذا العامل على معنويات جنوده.

❖ الألبسة الواقية:

مستفيداً من خبراته الميدانية السابقة قام العدو بتطوير وصنع الألبسة الواقية من مخاطر الحرب وأهمها: الألبسة الواقية من الحريق التي زوّد بها طواقم الدبابات وقد أثبتت فعاليتها في تجنيب العناصر الموت من جراء حريق الدبابة عند إصابتها. وخففت نتائج الحروق إلى الحد الأدنى. أما اللباس الآخر فكان كذلك من صنع محلي وهو درع ضد الشظايا وقذائف الأسلحة الخفيفة، وقد أثبت هذا الدرع بأنه خفف الإصابات بنسبة ٢٠٪ في صفوف القوات الاسرائيلية حسب إحصاءات الجيش الاسرائيلي. وقد صمّم هذا الدرع لحماية صدر ورقبة المقاتل.

❖ الاخلاء الصحي:

أثبت جهاز الاخلاء والاسعافات الأولية فعاليته في حرب لبنان. فقد اشتمل هذا الجهاز على الوسائل التالية حسب تسلسل عملياتها: ناقلات الجند المدرّعة أو دبابات الميركافا ثم الصحيات ومراكز الانعاش والجراحة البسيطة المركّزة على مجنزرات وفي المناطق الأمامية للجبهة. يليها طوافات الاخلاء إلى المستشفيات الميدانية والعسكرية داخل اسرائيل. وقد كان في كلّ وحدة طبية أطباء وجراحون. وتبيّن ان استعمال الطوافات بكثافة ووجود الأطباء على مختلف الرعائل أنقذ نسبة كبيرة من المصابين من الموت المحتم.

- خلال حرب لبنان كانت الوحدات معززة بأطباء نفسانيين لمعالجة صدمات الحرب

والتي يتعرّض لها العسكريون. ولكن هذا الجهاز لم يعطِ نتائج ملموسة حسب اعتراف المصادر الاسرائيلية.

- وأخيراً لا بدّ من الاشارة إلى ان الإصابات كانت بأكثرها ناتجة عن الأسلحة الخفيفة وليس من قذائف المدفعية والدبابات باستثناء الإصابات خلال حصار بيروت حيث ارتفعت نسبتها من جراء قذائف المدفعية. وهذا عائد بالطبع إلى طبيعة الحرب وحصولها من مسافات متقاربة وفي مناطق مبنيّة.

ك - الحرب النفسية والاعلام:

لا بدّ من الإشارة إلى الوسائل التي استعملها الاسرائيليون في هذا المجال وخاصة عند الدخول إلى المدن. ففي صيدا وصور وجهت القوات الاسرائيلية نداءات عبر مكبرات الصوت، كما ألقت مناشير بواسطة الطائرات تدعو فيها المقاتلين للاستسلام، كما تدعو السكان المدنيين للتجمع في الأماكن الآمنة والابتعاد عن الأماكن التي سيدخلها الجيش الاسرائيلي، والتي من المتوقع حدوث معارك فيها. وقد أدّت هذه الوسائل إلى تخفيف الإصابات بين المدنيين وفي صفوف الاسرائيليين.

في حصار بيروت استعمل الاسرائيليون الاسلوب نفسه من مناشير ومكبّرات للصوت وإن كان هذا الاسلوب لم يعط نتائج إيجابية وفورية.

٥ - خروج القوات الفلسطينية من لبنان

غادر لبنان ٨٣٠٠ مقاتل فلسطيني من قوات الثورة و٢٦٠٠ جندي من جيش التحرير الفلسطينين (قوات القادسية وحطين وكتيبة بدر).

المصادر والمراجع

أولاً - بالعربية:

١ - الجامعة اللبنانية، الفرع ٢، منشورات خاصة عن العرب واليهود ١٩٧٧ - ١٩٧٨.

٢ - اوبالانس، ادغار، الحرب الثالثة بين اسرائيل والعرب، ترجمة مارك البندك، المؤسّسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة ٢، ١٩٨٨

٣ - الاحدب، عزيز، حرب الأيام الستة، حقائق وعبر، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧١.

٤ - الأحدب، عزيز، كارثة الصحراء وصناعة النصر، طبعة أولى، شركة جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩١.

٥ - الأيوبي، هيثم، دراسات عسكرية في حرب تشرين، دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٥.

٦ - تشرشل، ونستون الابن، سقوط ايدن، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ١٩٥٩.

٧ - سويد، ياسين، حروب القدس، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٣.

٨ - شيمون، شيفر، عملية كرة الثلج، تعريب حسان يوسف، منشورات شركة الطباعة الشرقية، الطبعة ٢، ١٩٨٥.

٩ - شارون، ارييل، مذكّرات، مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٢.

١٠ - شيف، زائيف واهود يعاري، حرب الظلال، ترجمة وهيب أبو واصل، بيروت ١٩٨٥.

١١ - كيلاني، هيثم، الحرب العربية الاسرائيلية الخامسة، لبنان ١٩٨٢، الإدارة العامة للشؤون العسكرية، إدارة الدراسات والبحوث، تونس ١٩٨٣.

١٢ - يوميات الحرب الاسرائيلية في لبنان، مؤسّسة الدراسات الفلسطينية، منشورات شركة الخدمات النثرية المستقلّة المحدودة، نيقوسيا، قبرص ١٩٨٥.

١٣ - الفكر الاستراتيجي العربي، منشورات معهد الانماء العربي، لبنان العددان ٦ و٧، كانون الثاني ١٩٨٣ وأيار ١٩٨٣ - والعددان ٨، ٩ - تموز، تشرين الأول ١٩٨٩.

١٤ - جريدة البلد اللبنانية، العدد ٧٠٧ تاريخ ٢٤/١٢/٢٠٠٥، بيروت.

ثانياً - بالأجنبية:

1 - Schmell, Dr, Karl, Experiance of the Lebanon, War Military Technology, vol VIII, Issue 7, 1984.

2 - Aviation Week and Space Technology, Highstam (N.J.) 5, July 1982.

3 - Burt Hirschfeld, Israël, Etat Miracle, Alsatia, Paris, Colmar, 1969.

4 - Azean, Henri, Le piège de Suez, Robert Laffont, Paris, France, 1968.

5 - Hussein De Jordanie, Ma Guerre avec Israël, Edition, Albin Michel, Paris, 1968.

6 - Gabriel, Richard A. Operation Peace for Galilee, Hilland Wang 1984.

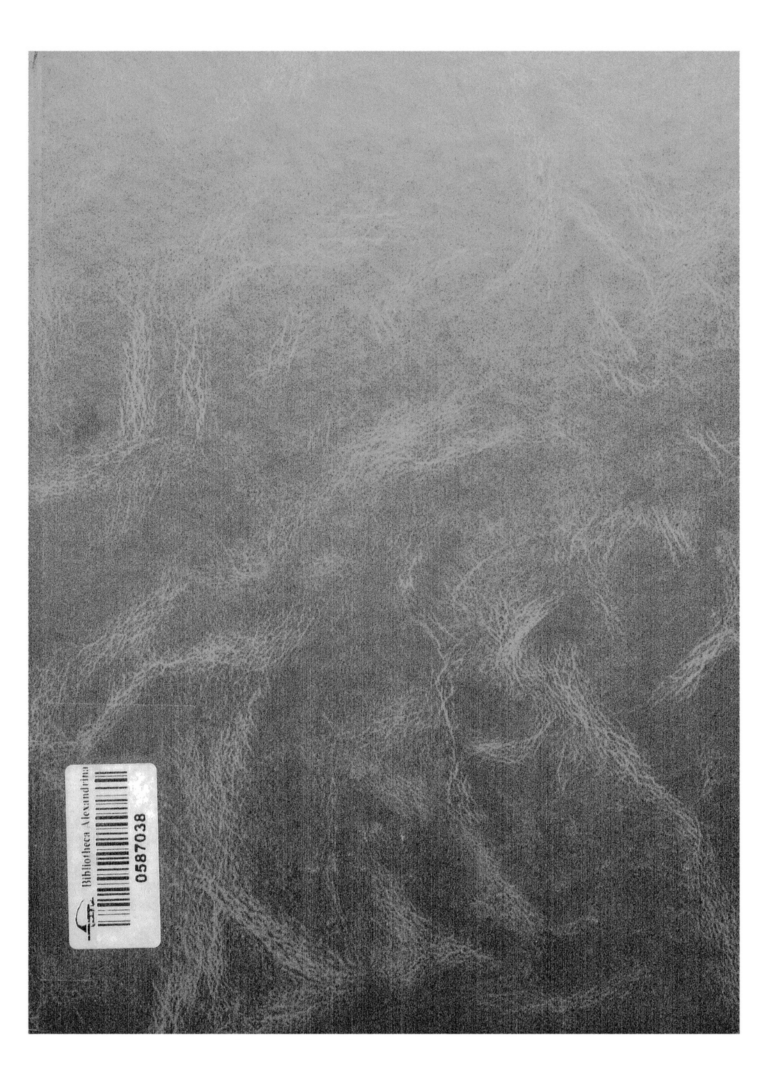
7 - Jansen, Michael - The Battle of Beirut - South and Press, Boston; MA 1983.

فهرس الجزء (٢٢)

فهرس الخرائط:

الخرائط:

الصور:


Bibliotheca Alexandrina
0587038